



جامعة الزقازيق
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

المسائل النحوية والصرفية في تفسير النسفي

بحث مقدم لنيل درجة الطكتوراة

إعداد

محمد سلمان عبد العزيز سلمان

المدرس المساعد بكلية التربية بالعريش
جامعة قناة السويس

إشراف الأستاذ الدكتور

فتحي أحمد عامر

رئيس قسم اللغة العربية ووكيل كلية الآداب الأسبق

الأستاذ الدكتور

علاء عبد المجيد القنصل

أستاذ اللغويات المساعد بكلية الآداب
جامعة الزقازيق

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم
أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض فنفجر به زرعاً
تأمله منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون
صدق الله العظيم

سورة السجدة الآية (١٧)

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، ملء السموات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شاء الله من شيء بعد، حمداً عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته والصلاة والسلام على خاتم الرسل والأنبياء ء سيدنا محمد بن عبد الله، **وبعد:**

فإننى أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى صاحب القلب الكبير والعطاء الوفير أستاذى الأستاذ الدكتور/ **فتحي أحمد عامر** رئيس قسم اللغة العربية ووكيل كلية الآداب الأسبق - جامعة الزقازيق الذى أحاطنى برعايته وغمرنى بفيض عطائه حتى تم إنجاز هذا البحث.

وكل الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور/ **علاء عبد المجيد القنصل**، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الزقازيق الذى أفاض على من توجيهاه السديدة طيلة سنوات الدراسة.

وأثقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور/ **أحمد محمد عبد الدايم** وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور/ **أحمد مصطفى أبو الخير** الأستاذ بكلية التربية بدمياط - جامعة المنصورة على تفضلهما بقبول مناقشة وتقييم البحث والباحث.

والله ولك التوفيق

الباحث

محمد سامان عبد العزيز

مقدمة

في منتصف القرن السابع الهجري حل التدهور في سلطة الخلفاء العباسيين، وازدادت مظاهر الضعف والانحلال في الدولة وضاعت هيبة الخلفاء مما أوقع البلاد الإسلامية فريسة للهجمات المغولية من جهة الشرق، كان أكثرها شراً وشراسة تلك التي استولى فيها التتار على بغداد ٦٥٦ هـ.

في ظل هذه الأحوال كان مولد الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي المفسر الفقيه، الذي عاش في بلدته وتكونت فيها ثقافته في تلك البلاد البعيدة ما بين «خورستان» وأصبهان من قرى سمرقند.

ألتبس النسفي بثاقب نظراته الأحوال الثقافية في تلك المنطقة في ضوء الظروف السياسية التي مرت بها فقد كانت تلك البلاد معبراً للمغول والتتار في طريقهم للاستيلاء على بغداد، وقد عاثوا فيها فساداً وأهلكوا الحرث والنسل، وكأنهم أرادوا أن يقتلعوا الإسلام من أفئدة أتباعه، وأنى لهم ذلك؟ فقد تصدى لهم بطريق غير مباشر ثلة من أبناء المنطقة حرصوا على استمرار التواصل الثقافي بنشر أهم مبادئ الإسلام وأحكامه من خلال مصنفات موجزة ومختصرة غير مخلة بالمقصود الأسمى للرسالة الإسلامية، وفقاً لما لمسوه وقدروه من احتياجات أبناء المنطقة فظهرت المختصرات في الفقه الحنفي، وكان لأبي البركات النسفي مختصرات في الفقه والعقيدة.

وقد وضع الإمام النسفي تفسيره المسمى «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» وجعله كتاباً وسطاً ضمنه العديد من المباحث والعلوم اللغوية والفقهية.

واختار الباحث هذا الكتاب للإمام النسفي لما احتواه من مباحث لغوية دقيقة وموجزة ومختصرة ومحكمة في ثنايا تعرضه لتفسير القرآن العظيم، فهي دراسة نصية على كتاب الله عز وجل، وذلك لبيان جهد الإمام النسفي في خدمة القرآن الكريم.

وقد جاءت هذه الدراسة في مدخل وخمسة فصول وخاتمة على الوجه الآتي:

المدخل: وفيه تعريف بحياة الإمام النسفي وثقافته وتلامذته ومصنفاته وفي نهايته بيان وتوضيح للصلة الوثيقة بين اللغة والقرآن.

الفصل الأول: وموضوعه: أدوات المفسر.

وفيهِ تعريف بالأدوات والعلوم التي يجب أن يتسلح بها من يتصدى لعمل مهم كتفسير

القرآن العظيم، ونماذج تطبيقية توضح تمكن النسفي من تلك الأدوات في تفسيره .

الفصل الثاني : النسفي النحوي :

X وهو العلم الرئيسي الذي أجمع علماء الشريعة على ضرورة التسليح به لمن يقوم بتفسير كتاب الله عز وجل، وفي مباحث متعددة تناول الباحث ظاهرة المطابقة في الجملة الاسمية والجملة الفعلية، والتوابع وبعض المسائل الخلافية في النحو موضحاً موقف النسفي منها .

الفصل الثالث : النسفي الصرفي :

وفي هذا الفصل دراسة لموقف النسفي من أهم المباحث الصرفية كالاشتقاق والتأنيث والإعلال والإبدال وغيرها.

الفصل الرابع : وعنوانه : النسفي عالم القراءات

لقد كانت القراءات القرآنية مصدراً من أهم المصادر التي تناولتها أبحاث النحاة، وإن اختلف موقفهم منها ما بين رفض بعض النحاة لبعض القراءات، ودفاع بعضهم عن هذه القراءات، وفي هذا الفصل استجلاء لتلك الآراء ولرأى الإمام النسفي خاصة في موقفه من القراءات من حيث اللغة.

الفصل الخامس : النسفي بين سابقه ولاحقيه :

فلا شك أن النسفي قد تأثر بمن سبقه من علماء خدموا كتاب الله عز وجل بالتفسير وقد أفاد منهم النسفي في تفسيره، وعلى رأس هؤلاء الزمخشري، وفي هذا الفصل توضيح لعلاقة التأثير والتأثير بين النسفي، وبين سابقه ولاحقيه من النحاة والمفسرين.

ثم جاءت المحاضرة وفيها أبرز النتائج التي توصلت إليها، وأعقبها بقائمة المصادر التي اعتمدت عليها.

وبعد فهذه محاولة استغرقت أربع سنوات في صحبة هذا العالم المفسر الفقيه اللغوي الإمام النسفي، وما كان فيها من صواب فهو من توفيق الله عز وجل، وما كان فيها من تقصير عن بلوغ المراد فهو مما خرج عن استطاعتي ومحاولتي..

وعلى الله قصص السبيل

مدخل إلى الرسالة

١ - النسب: اسمه وحياته ووفاته:

تتفق المصادر التي ترجمت للنسفي على أن اسمه: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي^(١). أحد الزهاد المتأخرين والأئمة المفسرين ولا تعرف له كنية غير أبي البركات. ولا تمدنا المصادر المترجمة بشيء عن أسرته وحياته إلا النذر اليسير، فقد ولد في بلدة «أيدج»^(٢). التي تقع بين «خورستان» و «أصبهان» من قرى «سمرقند» ويبدو أنه لم يغادرها إلى بغداد إلا في سنة ٧١٠ هـ الموافق سنة ١٣١٠ م^(٣) ويعنى ذلك أنه تكون فقيهاً وأصولياً وعقائدياً في بلدته (أيدج) هذه، وبها دفن، ومنهم من قال: إنه دفن في موضع يقال له (الجلال) ولا نجد في تراجم المترجمين ذكراً لسنة ميلاده، وإنما نجد ذكراً لتاريخ وفاته مع اختلاف كبير بينهم، ففي حين يجمع ابن قطلوبغا^(٤) واللكثوي^(٥) وكحالة^(٦) على أنه توفي في عام ٧١٠ هـ وهو الغالب في حين يرى ابن حجر^(٧) أنه توفي في عام ٧٠١ هـ ويبدو أن هذا من تحريف

(١) «انظر»:

أ - ابن أبي الوفاء القرشي: محيي الدين عبد القادر بن محمد بن محمد القرشي (٧٧٥ هـ): الجواهر المضئية في

طبقات الحنيفية. تحقيق عبد الفتاح الحلوجي للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٩٣ م ط أولى ج ٢ ص ٦٩٢.

ب - ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن الهند ١٣٤٩ هـ السفر الثاني ص ٢٤٧.

ج - ابن قطلوبغا: قاسم بن قطلوبغا (أبو العدل) الحنفي ت ٨٧٩ هـ: تاج التراجم فيمن صنف من الحنيفية. تحقيق إبراهيم صالح دارالمأمون للتراث دمشق ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م ط أولى ص ١١١

د - طاش كبرى زادة ت ٩٦٢، طبقات الفقهاء - أحمد محلي، مطبعة الزهراء الحديثة ١٩٦١ م ص ١١٣.

هـ - اللكثوي: محمد عبد الحى اللكثوي الهندى: الفوائد البهية في تراجم الحنيفية: تصحيح محمد بدر الدين النعساني القاهرة مطبعة السعادة. ص ٣٨.

و - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين اعتنى به وجمعه وأخرجه: مكتب تحقيق التراث ببيروت مؤسسة الرسالة ١٩٩٣ م ط أولى ص ٢٢٨.

(٢) الدرر الكامنة - سفر ٢ ص ٢٤٧.

(٣) تاج التراجم ص ١١٢

(٤) نفسه ص ١١١

(٥) الفوائد البهية ص ٣٨.

(٦) معجم المؤلفين ص ٢٢٨.

(٧) الدرر الكامنة ص ٢٤٧.

النساخ، ويتفرد طاش كبرى زاده في طبقاته بأنه توفي عام ٧٥١هـ (سنة إحدى وخمسين وسبع مائة^(١)).

٢ - بيئته المكانية والعلمية :

يُنسب النسفى إلى (نَسَف) بفتح النون والسين، وقيل بكسر السين وتفتح فى النسبة^(٢)، ~~خ~~ وهى من بلاد السند فى ما وراء النهر من بلاد الأعاجم.

ويصف ياقوت الحموى (نسف) وصفا جغرافيا محدداً موقعها بين نهر جيحون وسمرقند فيقول: (نسف) بفتح أوله وثانيه، مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرساق بين جيحون وسمرقند، خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم فى كل فن وهى (نخشب)^(٣) نفسها. قال الاصطخرى: وأما نسف فإنها مدينة كبيرة ولها أبواب أربعة، وهى على مدرج بخارى وبلخ، وبينها وبين جيحون مغارة لا جبل فيها، وبها نهر واحد يجرى فى وسطها، وهو مجمع مياة (كش) ويسير هذا النهر فيشرع إلى دار الإمارة وهى على شفا هذا النهر بمكان يعرف برأس القنطرة، و«لنسف» قرى كثيرة ونواح عديدة وليس «بنسف» نهر جار غير هذا النهر، ويتقطع فى بعض السنة، ولها آبار تسقى بساتينهم وزروعهم والغالب على «نسف» الخصب. وقد خرج منها خلق كثير من العلماء^(٤).

ويعنى ذلك أنها مدينة يتوافر فيها الخصب، والمناخ الطيب، والكثير من العلماء فهى بيئة طبيعية جيدة وبيئة علمية جيدة كثيرة العلم والعلماء، تخرج العلماء منها أمثال: أبو إسحاق إبراهيم بن معقل بن الحجاج بن خُراش النسفى من علماء الحديث الثقات^(٥)، وأبو المعين ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد بن محمد بن مكحول النسفى الإمام الزاهد الأصولى الحنفى^(٦).

(١) طبقات الفقهاء ص ١١٣.

(٢) الفوائد البهية ص ٣٨.

(٣) تسمية أخرى لمدينة (نسف). ~~خ~~

(٤) ياقوت الحموى: شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ت ٦٢٦هـ معجم البلدان. طبعة جديدة مصححة ومنقحة: بيروت. دار إحياء التراث العربى، مؤسسة التاريخ العربى ١٩٩٧م ط أولى ح ٤ ص ٣٨٧.

(٥) معجم البلدان ج ٤ ص ٣٨٧.

(٦) أبو المعين النسفى ت ٥٠٨هـ: التمهيد فى أصول الدين: تحقيق وتقديم: عبد الحى قابيل القاهرة دار الثقافة ١٩٨٧م ص ٢ (المقدمة).

وغيرهما كثير، وقد مثلت بيئة «نَسَف» بعلمائها بيئة علمية خصبة تخرج منها أوابر كرات ^X النسفى وغيره.

مصنفاته:

أحصى له بروكلمان ^(١) فى تاريخه خمسة عشر مؤلفاً، نال بعض منها التحقيق ولا زال البعض الآخر أسيراً فى أدراج المكتبات، كما حظيت بعض مؤلفاته بالشرح والتحليل والعناية والشهرة من العلماء، بينما لم ينل ذلك بعض مؤلفاته الأخرى.

فمن آثاره:

- ١ - منار الأنوار فى أصول الفقه وهو كتاب فى أصول الفقه عند الحنفية، وقد حظى الكتاب بشروح عدة: منها شرح للمؤلف نفسه طبع فى بولاق فى مجلدين، ولصدر الدين الثانى المحبوسى ت ٧٤٧هـ، وجامع الأسرار لمحمد بن أحمد السخاوى ت ٧٤٩هـ، وجامع الأسرار، وشرح لمحمد بن محمود البابر ت ٧٨٦هـ، وقد طبع كتاب المنار بتصحيح خادام أحمد، ومولوى محمد، ومولوى عبد الحكيم منبىء على نفقة شيخ إلهى نجش سلمة ^X عبد الرحمن مطبعة الأفضل: حجر ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م وطبعات أخرى، كما طبع بشرح المؤلف على المنار بعنوان كشف الأسرار بشرح المصنف على المنار فى طهران مطبعة محمود الكهرى ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، وبمطبعة بولاق ١٨٩٨م فى جزءين ^(٢).
- ٢ - الوافى فى الفروع وعليه شرح: الكافى، فرغ من تأليفه فى بخارى فى ٢٢ من شهر رمضان ٦٨٤هـ/ ٢١ نوفمبر ١٢٧٥م، وهو مخطوط.
- ٣ - كنز الدقائق فى الفروع: وهو مختصر للكتاب الثانى فى فروع الفقه الحنفى يقول فى مقدمته «لما رأيت الهمم مائلة للمختصرات، والطباع راغبة عن المطولات، أردت أن أخلص

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربى (القسم السابع (١٢)، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م، ص ١٨٣.

(٢) محمد عيسى صالحية: المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع بالقاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٥م. ج ١ ص ٥.

الوافى بذكر ما عم وقوعه وكثر وجوده، لتكثر فائدته، وتتوافر عائده^(١)، وله شروح متعددة منها:

أ - تبين الحقائق: لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي ت ٧٤٣هـ طبع لوكنو سنة ١٣٠٢هـ.

ب - كشف الحقائق (الرقائق): ليوسف بن محمود بن محمد الرازي الظهراني ت ٧٩٤هـ، وطبع في بولاق ١٢٨٥هـ.

ج - معدن الحقائق لمحمد بن حاجر بن محمد السمرقندي من القرن الثامن وغيرها. وقد طبع كنز الدقائق بتصحيح محمد رحم إلهي، وشير محمد خان، في دلهي طبع حجر ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م و ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م.

X

٤ - القونية في الفقه، وهو مخطوط.

٥ - كتاب في أصول الفقه لدى الستة وآرائهم تجاه المذاهب الأخرى مخطوط.

٦ - معيار النظر، وهو مخطوط.

٧ - المستصفي في شرح النافع في الفروع. مخطوط مفقود.

٨ - كتيب في الحشيش وتعاطيه واستخداماته. مخطوط.

٩ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل: وهو تفسير النسفي، تأثر فيه بكتاب الكشاف للزمخشري، وترك اعتزالات الكشاف، وهو يجمع بعض نكت الكشاف البلاغية والخسنيات البديعية والكشف عن المعاني الدقيقة الخفية، كما أورد فيه ما أورده الزمخشري في تفسيره من الأسئلة والأجوبة على غير طريقته، والتزم فيه بطريقة ومذهب أهل السنة والجماعة^(٢).

ويتميز أيضا بسهولة عباراته وإيجازها كما امتدحه صاحب كشف الظنون، وعده من التفاسير القيمة حيث قال «فهذا كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام أبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧٠١هـ إحدى وسبعمئة، وقيل عشر وسبعمئة فهو كتاب وسط في التأويلات، جامع لوجوه الإعراب والقراءات، متضمن لدقائق علم البديع والاشارات، حافل بأقاويل أهل السنة والجماعة، خال عن أقاويل أهل البدع والضلالة، ليس

(٢) كنز الدقائق للإمام النسفي ج ١ ص ٣.

(١) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون. القاهرة مكتبة وهبة ١٩٩٥م ج ١ ص ٣١٢٧ - ٣٩٣.

بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، وقد اختصره الشيخ زين الدين أبو محمد عبد الرحمن العيني ت ٨٩٣هـ وزاد فيه^(١) وأولى طبعاته في دلهي ١٢٧١هـ وبمباي ١٢٧٨هـ. وبالقاهرة ١٣٠٦هـ في ٤ مجلدات. وقد نال حظاً من الشروح: منها:

١ - التفسير المزيل لمعلقات مدارك التنزيل لعبد الأحد بن إسحاق القندهاري طبع في لاهور ١٩٠٤م.

ب - الإكليل على مدارك التنزيل محمد بن عبد الحق، طبع في الهند ١٣٣٦هـ وغيرهما.

١٠ - العمدة في العقائد: أو عمدة الكلام أو العقيدة الحافظة أو العمدة الحافظة، وهو في الرد على من انتقد كتاب العقائد للنسفي في فضح الملحدين، وقد طبع الكتاب تحت عنوان «عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة»^(٢) بعناية وليم كيورتن W.Curten. جمعية النشر الاستشراقية لندن ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م.

وقد شرح الكتاب، عدة شروح منها:

- أ - شرح للمؤلف بعنوان الاعتماد في الاعتقاد، وهو مخطوط.
- ب - الانتقاء في شرح عمدة الاعتقاد لأحمد بن أعوذ الأفشهرى الحنفى من القرن الثامن الهجرى، وهو مخطوط، وغيرهما.
- ١١ - اللآلئ الفاخرة في علوم الآخرة، وهو مخطوط.
- ١٢ - المعارك على الهداية، مفقود.
- ١٣ - المصفى، مفقود.
- ١٤ - فائدة مهمة لدفع كل نازلة مُلمة، مخطوط.
- ١٥ - فضائل الأعمال، وهو مخطوط.

ويلاحظ على هذه المصنفات أن صاحبها تخصص وتفوق في أربعة علوم أساسية وهى: الفقه الحنفى: فقد تبحر في معرفة الفقه الحنفى بتأليف الكتاب وشرحه ومختصره فقد ألف «الوافى في فروع الفقه الحنفى» وشرحه بكتاب آخر هو «الكافى» ثم اختصر الوافى بكتاب آخر

(١) المعجم الشامل ج ٥ ص ٢٣٧.

(٢) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خيفة ج ٢، دار الفكر ١٩٨٢، ص ١٦٤٠.

هو «كنز الدقائق». كما كتب «القوية في الفقه»، ولغرامه بالشرح ألف «المستصفى» في شرح المنظومة، وسماه بالمستصفى في شرح النافع في الفروع، ويورد اللكنوى أن النسفى هم بشرح كتاب الهداية لعلى بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغانى المرغيانى الرشتانى برهان الدين ت ٥٩٣هـ، غير أن صدر الشريعة وهو من أكابر عصره أنكر عليه ذلك وأن النسفى رجع عما نواه وصنف كتاب الوافى ثم شرحه بالكافى فكان شرحاً للهداية^(١). غير أن «بروكلمان» يثبت أن كتاب «المعارك» ماهو إلا شرح لكتاب الهداية وهو مخطوط بالاسكوريال. مما يعنى ويشير إلى غرام النسفى وولعه الشديد بالشروح في الفقه الحنفى.

أصول الفقه:

وقد برع فيه النسفى على طريقة الأحناف فألف كتابه «منار الأنوار» وشرحه بكتاب «كشف الأسرار» بل واصل ذلك بكتب صغيرة تتبع أصول الفقه عند أهل السنة عموماً.

التفسير:

وهو مجال آخر برع فيه النسفى، غير أنه مال إلى طريقته التى تنحوا إما إلى الشرح أو الاختصار، وهنا مال إلى الاختصار، مما يعنى أيضاً غرامه بالشرح والتبسيط.

العقيدة:

وتبحر النسفى فى العقيدة وأصول الدين بتأليفه كتاب العمدة وهو يتخصص فى فضح الإلحاد والرد على المنكرين، وألف فى ذلك اللاكىء الفاخرة فى علوم الآخرة.

٣ - شيوخ النسفى وتلاميذه:

لا يعرف من شيوخ النسفى إلا عالمان هما العتابى ت ٥٨٦هـ والكردى^(٢). وهو شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردى. ويضيف اللكنوى علمين آخرين، وهما على حميد الدين الضرير، وبدر الدين خواهر زاده^(٣). وقد قرأ عيهم النسفى واستفاد من علومهم بل روى عنهم فقد روى الزيادات عن أحمد بن محمد العتابى.

(١) الفوائد البهية ص ٣٩.

(٢) انظر: الجواهر المصنفة ج ٢ ص ٢٩٥، الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٤٧، تاج التراجم ص ١١٦.

(٣) الفوائد البهية ص ٣٨.

والعتابي هو أحمد بن محمد بن عمر، أبو نصر العتابي البخاري زين العابدين وله كتاب الزيادات وقد رواها عنه جماعة منهم حافظ الدين النسفي المذكور. والعتابي أحد أعلام فقهاء الحنفية وله جوامع الفقه وشرح الجامع الكبير والصغير. وتوفي عام ٥٨٦هـ^(١). وقد تشكك اللكنوي في صلة النسفي المتوفى ٧١٠هـ بالعتابي المتوفى ٥٨٦هـ قائلا: «وأني تصح رواية شخص مات سنة ٧١٠هـ عشر وسبع مائة عن شخص مات ٥٨٦هـ ستة وثمانين وخمسة مائة»^(٢). وهو محق X
في ذلك ويمكن القول بأن المترجمين استعملوا لفظ الرواية مجازاً أي روايتها عن شمس الأئمة الكردي الذي رولها عن العتابي. X

ولم تذكر كتب التراجم من تلاميذ النسفي غير الصغناقي: الحسين بن علي بن حجاج بن علي الإمام الملقب بحسام الدين الصغناقي (الصغناقي) ت ٧١٠هـ.

فقد روى الهداية بسماعها عن شمس الأئمة الكردي عن المصنف، وله شرح التمهيد للمكحول في مجلد ضخيم، وله أيضا الكافي في شرح «أصول الفقه لليزدوي»^(٣).

وبعد فهذه إطلالة قصيرة في حياة عالم اشتهر بالزهد والصلاح والعلم والإخلاص لمذهبه الحنفي ولعقيدته الإسلامية فأجاد في التفسير والعقيدة والفقه، فهو نبراس ونموذج طيب أفادنا الله بعلمه ورحمه وأكرم مثواه.

(١) الجواهر المصنفة ج ١ ص ٢٩٨ - ٣٠٠.

(٢) الفوائد البهية ص ٣٨ - ٣٩.

(٣) الجواهر المصنفة ج ٢ ص ١١٤ - ١١٦.

اللغة والقرآن

تقاس حضارات الأمم بمدى ما وصلت إليه من تطورها المادى والفكرى على حد سواء ولا جدال أن النهضة الفكرية تقوم على حصيلة ما أنتجه شعب ما، فى مجال العلوم والمعارف بوجه عام وتزداد هذه النهضة قيمة كلما عرف الشعب طريقه الفكرى من خلال نظام أيديولوجى نتيجة، أو نظريات يبتدعها ويتوفر عليها، ويظل يعدل فيها، أو يقوم منها حتى تستوى وتنضج وتمتزج بتاريخ الأمة كله لدرجة تجعله يستمد كيانه منها، يشير إليها ولكنه لا يعرف إلا بها^(١) ولغة الشعوب مرآة حياتها، وترجمان مشاعرها وخصائصها وإبداعها ووعاء ثقافتها وحضارتها واللغة العربية والقرآن الكريم متلازمان، فالقرآن الكريم يمد اللغة بأسباب القوة والبقاء، ويرقى بها ويرسخ فى النفوس أسسها، وهى الوعاء المبارك الذى يحمل ماجاء به من الهداية والغذاء الروحى قال الله عز وجل: ﴿ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢).

وقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٣).

وفى موضع ثالث يقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾^(٤).

فالملولى تبارك وتعالى خلق الألسن واللغات، ووضع الألفاظ للمعاني بحسب ما اقتضته حكمه البالغات، الذى علم آدم الأسماء كلها، وأظهر بذلك شرف اللغة وفضلها^(٥).

واللغة مع وضوح أمرها وجريانها على كل لسان وجد الدارسون فى تعريفها تعريفاً دقيقاً بعض المشقة والعنت وانقسموا بهذا الصدد إلى فرق وطوائف:

(١) نظرية الاكتمال اللغوى عند العرب د/ أحمد طاهر حسنين، الطبعة الأولى ١٩٨٧، القاهرة ص ١.

(٢) فصلت: ٣.

(٣) الزخرف: ٣.

(٤) الاحقاف: ١٢ وفى عشرة مواضع أخرى من القرآن نص على عريبته: المعجم المفهرس: ٤٥٦.

(٥) المزمهر فى علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطى، تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية ج ١ سنة ١٩٨٧، ص ٢٨ وما بعدها.

ومن هذه التعريفات:

١ - تعريف ابن جني (٣٩١ هـ)

حيث قال في باب القول على اللغة وما هي: «وأما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(١)، وقد نال هذا التعريف شهرة واسعة في كتب علم اللغة الحديث، وعده الكثيرون من الأساتذة والباحثين من أفضل التعريفات.

٢ - أما تعريف الدكتور محمد حسن عبد العزيز:

فيقول: «اللغة نظام من الرموز المنظورة المكتسبة تستخدمها جماعة معينة من الناس بهدف الاتصال وتحقيق التعاون فيما بينها»^(٢).

٣ - إن علم اللغة هو دراسة اللغة، والمعنى الاشتقاقي للغة هو أنها «تلك التي تتعلق باللسان الإنساني، فهي تلك التي تحمل معنى وهي كل شيء له معنى مفيد»^(٣)، ولعل خير تعريف للغة كما نألفها الآن، ذلك الذي ارتضاه وقبله معظم الدارسين وهو أن يقال: (إن اللغة نظام عرفي لرموز صوتية يستغلها الناس في الاتصال بعضهم ببعض»^(٤).

فباللغة وعاء الثقافة ولسان حاله، فارتباطهما وثيق وتفاعلهما أكيد فكلما ارتقت ثقافة أمة (ما) وعظم شأنها انعكس ذلك على لغتها ولا سيما إذا اعتمدت اللغة على أهم عناصر ثقافة الشعوب فلم يكتب للدراسات اللغوية العربية أن تنمو فيما بعد القرن الخامس الهجري فلقد كان كل جهد يبذل بعد ذلك القرن إما في سبيل الشرح وإما في سبيل التعليق وإما في سبيل التحقيق والتصويب^(٥).

أما العمل المبتكر والذهن المبدع فقد قضى عليهما ظهور العنصر التركي على مسرح السياسة واستبداده بأمر الخلافة وضيق أفقه في الفكر وقلة حماسه للعلم وتلك ظاهرة ظلت تتضح في العالم العربي والإسلامي يوماً بعد آخر وتستشري باطراد حتى انتهت آخر الأمر بما

(١) ابن جني: الخصائص - تحقيق محمد علي النجار - الهيئة المصرية، ١٩٨٦ م، الثالثة جـ ١ ص ٣٤.

(٢) فقه اللغة وعلم العربية: محمود سليمان ياقوت، دارالمعرفة الجامعية، سنة ١٩٩٣ م، ص ٩.

(٣) أسس علم اللغة: تأليف ماريوناي ترجمة د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب طبعة ثانية، ١٩٨٣ م.

(٤) اللغة بين القومية والعالمية: د/ إبراهيم أنيس، دارالمعارف بمصر، ١٩٧٠ م، ص ١١.

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها: د/ تمام حسان، الشركة الجديدة - دارالثقافة بالمغرب ص ١١.

سموه إقبال باب الاجتهاد، وكان معنى ذلك إضفاء الشرعية على التقليد والتماس النجاة في ظل أعواده اليابسة التي غرسها الشؤم في صحراء الجهل، فلم تعد البصرة والكوفة وبغداد ومكة والمدينة والقاهرة ودمشق من عواصم الابتكار التي تنبض بالحياة كما كانت في أيامها الخوالي وكان النحاة واللغويون من بين هؤلاء العلماء أرفعهم صوتاً وأجراًهم عقلاً وأصلهم فكراً وأثبتهم على الطريق قديماً^(١).

ولقد نشأ الدرس اللغوي عند العرب في رحاب القرآن الكريم؛ لأن العلماء المسلمين توقفوا أمام النص المقدس محاولين (فهمه) والتوصل إلى معانيه، وهذا لا يتأتى لهم إلا بدراسة اللغة التي نزل بها؛ لذلك وجدنا علوماً لغوية كثيرة نشأت في رحابه متخذةً من آياته القرآنية الكريمة نقطة الانطلاق، ومن بينها معاني ألفاظه وإعرابه وقراءاته وما سواها من العلوم اللغوية^(٢).

ولقد فضل كثير من الباحثين في تاريخ الدرس اللغوي عند العرب وبخاصة عند تعرفهم لتاريخ النحو، وهم يرجعون نشأة هذا الدرس إلى انتشار (اللحن) نتيجة دخول شعوب غير عربية في الإسلام أي: أن الدرس اللغوي نشأ لحفظ القرآن الكريم من اللحن، وذلك صواب لا شك فيه لكنه صواب غير كامل؛ لأنه لم يلمس السبب الأهم في نشأة هذا الدرس وتطوره والسبب الحقيقي فيما نعتقد لنشأة علوم اللغة عند العرب إنما هي السعي لفهم النص القرآني باعتباره ضابط الأحكام التي تنظم الحياة، وفرق كبير بين علم يسعى لفهم النص، وعلم يسعى لحفظه من اللحن، ولو كانت الغاية منه حفظ النص من اللحن لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس اللغوي، ومحاولة الفهم هذه هي التي حددت مسار المنهج لأنها ربطت درس اللغة بكل المحاولات الأخرى التي تسعى لفهم النص^(٣).

ولغة القرآن الكريم من اللغات الحية التي لا تموت ولا تتعرض لموت ولا ينتابها القصور وذلك؛ لأنها مرتبطة بكتاب سماوي مقدس وهو القرآن الكريم، وسر ذلك أنه مدام مسلم على وجه هذه المعمورة يتعبد كتاب الله تعالى فإن لغته باقية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤).

(١) المرجع السابق، نفس الموضع.

(٢) فقه اللغة وعلم اللغة، دراسات ونصوص، د/ محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٣م، ص ٩١.

(٣) فقه اللغة العربية في الكتب العربية، د/ عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٣٥.

(٤) الحجر: ٩.

وليست قضية لغة القرآن الكريم من القضايا التي تحتاج إلى إثبات أو نقض، وإن ما تحتاجه هو توضيحها وتقريبها إلى أذهان المعاصرين من أبنائها وغيرهم من الناس، وربما سأل سائل فقال: هل هناك فرق بين معنى «لغة القرآن» و«اللغة العربية»؟ فإن الجواب ربما يكون هناك فرق بين لغة قوم وقوم آخرين بما يتعلق بكتابهم المقدس، وفيما يتفاهمون به من لغتنا ولغة العرب هي سبيل فهم الإعجاز القرآني والقرآن نزل بها^(١)، وقد تناول إعجاز القرآن الكريم الكثير من العلماء بالدراسة والبحث، ومع ذلك فما زالت وجوه إعجازه بكرة لم تَفْصَحْ فكلما ظهرت معان تجددت معان أخرى وهكذا، فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي تتحدى البلغاء والفصحاء في كل العصور، ولا يمكن أن تضم كلماته القرآنية الكريمة كلمات دخيلة^(٢).

ولقد كان القرآن الكريم صاحب الفضل في نشأة الدراسات اللغوية في التراث الإسلامي فالقرآن نص لغوي اقتضت العناية الخوض في دراسات لغوية وأدبية تطورت بمرور الزمن، فالقرآن الكريم هو مفجر علوم اللغة، فالقرآن الكريم هو مقصد البلغاء حين ينشدون الكلام الجميل في أبيه صوره، والنحاة حين يتطلعون إلى العبارة الصحيحة في أقوى أشكالها ولا شك في أنه هو أفصح الكلام وأبلغ البيان، وهو أولى بالاحتجاج من غيره^(٣).

قال الفراء: «والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر»^(٤).

وقال ابن خالوية: «وقد أجمع الناس جميعاً على أن الكلمة إذا وردت في القرآن الكريم فهي أفصح مما في غيره»^(٥).

وقال الرازي: «إذا أجزنا إثبات اللغة بشعر مجهول فجواز إثباتها بالقرآن الكريم أولى»^(٦).

وفي اللغة العربية صنوان مرتبطان لا يكادان يفترقان: هما اللفظ والمعنى، ويعبر عن ذلك ابن جني فيقول: «إن العرب كما تعنى بالفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها، فإن المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها وحموا

(١) مناهج وآراء في لغة القرآن: د/ محمد بركات حمدي، دار الفكر للنشر والتوزيع، سنة ١٩٨٤م، ص ٥.

(٢) قضايا قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت أولى، ١٩٨٨م، ص ٢٢.

(٣) مقدمة في علوم اللغة: البدرأوى زهران، دارالمعارف، سنة ١٩٨٦م، ص ١٥.

(٤) معاني القرآن للفراء تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرين، دارالكتب المصرية ١٩٥٥، ج ١/١٤.

(٥) المزهر في اللغة وعلومها للسيوطي، سابق، ج ١/٢١٣.

(٦) مفاتيح الغيب للرازي، دار الغد العربي، الأولى، ١٩٨٧، ج ٤/٦٥٢.

حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وأرهفوها، فلا تَرَيْنَ أن العناية: إذ ذاك إنما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه بها، وتشريف لها»^(١)، ويؤكد الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز على أهمية النظم فيقول: «اعلم أن ليس «النظم» إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه «علم النحو» وتعمل على قوانينه وأصوله»^(٢)، وفي موضع ثان يقول: «وإذ قد عرفت أن مدار النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها أو نهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها من حيث هي على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض»^(٣).

وقد كان للنحاة إسهام كبير في تفسير كتاب الله عز وجل غير خاف على كل ناطق بالعربية، فلقد وقفوا وقفات طويلة عند آياته الكريمات وتفكروا في معانيها، وأحكامها اللغوية فظهرت مصنفاتهم التي تحمل بعضها عنوان: «معاني القرآن» أو لها للقرآن^(٤)، وثانيها للأخفش^(٥)، ثم الزجاج^(٦)، والبعض الآخر جاء بعنوان: «إعراب القرآن» كمصنفات أبي جعفر النحاس^(٧) وابن الأنباري^(٨)، وأبي البقاء العكبري^(٩)، وغيرهم.

✕ وكذلك اهتم المفسرون بلغة القرآن الكريم وقد أحس أسلافنا القدماء أن خير ما يعتمد عليه في إقامة صرح اللغة العربية: القرآن الكريم فقراءات القرآن مدد لا ينضب للنحويين في

(١) ابن جنى ت ٣٩٢هـ - الخصائص - تحقيق محمد على النجار - ط الهيئة المصرية العامة، أولى سنة ١٩٨٦ ج ١ ص ١٢٦ - ٢١٨.

(٢) عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧٤هـ - دلائل الإعجاز - تحقيق محمود محمد شاكر - مطبعة المدني، الثالثة، سنة ١٩٩٢، ص ٨١.

(٣) المرجع السابق ص ٨٧.

(٤) يحيى بن زياد ت ٢٠٧هـ - حققه بالقاهرة أحمد يوسف نجاتي وآخرين وطبعته دار الكتب في ثلاثة أجزاء سنة ١٩٥٥.

✕ (٥) سعيد ابن مسعدة ت ٢٢٥هـ - حققه في جزءين عبد الأمير محمد أمين - طبعته دار الكتب سنة ١٩٨٥.

(٦) إبراهيم بن السري ت ٣١١هـ - حققه في خمسة أجزاء د/ عبد الجليل شليبي، ط دار عالم الكتب، بيروت ١٩٨٨.

(٧) أحمد بن محمد ت ٣٣٨هـ - حققه في خمسة أجزاء د/ زهير غازي، مكتبة النهضة العربية ط الثالثة سنة ١٩٨٨.

(٨) أبو البركات ت ٥٧٧هـ - حققه د/ طه عبد الحميد، طبع الهيئة المصرية العامة، الأولى، سنة ١٩٨٠.

(٩) عبد الله بن الحسين ت ٦١٦هـ - تصحيح إبراهيم عطوه دار الحديث بالقاهرة، الأولى سنة ١٩٦٦.

استخلاص قواعدهم، وكتب التفسير حوت من القراءات ما لا يقع تحت حصر، فالمفسرون يجعلون النحر واللغة جزءاً من تفسير الأسلوب القرآني.

ولقد ظهر أثر القرآن الكريم في اللغة في الآتي:

- إقامة أداؤها على الوجه الذي نطقوا به وتيسير ذلك لأهلها في كل عصر، وإن ضَعُفَت الأصول واضطربت الفروع.
- لولا القرآن الكريم وأسراره البيانية ما اجتمع العرب على لفته، ولو لم يجتمعوا لتبدلت لغاتهم بالاختلاط الذي وقع ولم يكن منه بد، حتى تَنَقَّضَ الفطرة وَتَخَبَّلَ الطَّبَاعُ، ثم يكون مصير هذه اللغات إلى الفناء لا محالة.
- فالقرآن الكريم جمع العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها من محاسن هذه الفطرة اللغوية التي جعلت أهل كل لسان يأخذون بها ولا يجدون لهم عنها مرغاً فشاب هذه الحياة اللغوية أن تكون اللغة لينة شديدة كما يكون كمال الإنسان بقوة الخلق والخلق، وهذا وجه لو لم يقمها عليه القرآن الكريم لما استقامت أبداً ولا وقفت على طريق، ولا تلاقى فيه آخرها بأولها، كما أومأنا إليه^(١).

ومن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية:

فالقرآن الكريم صاحب الفضل في نشأة الدراسات اللغوية في التراث الإسلامي، فالقرآن نص لغوي اقتضت العناية به الخوض في دراسات لغوية وأدبية تطورت بمرور الزمن إلى ما نراه عليه الآن فقد خاف علماء المسلمين على القرآن الكريم من أن يصيبه ما أصاب الألسنة من لحن أو تحريف بعد أن تعددت ألسنة الداخلين في الإسلام واختلطت وتفشت ظواهر اللحن^(٢).

وقد ارتبطت الثقافة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم، ولقد كانت علوم العربية عند المسلمين بمثابة مفاتيح لفهم القرآن وتعاليم الدين الإسلامي، ولقد ظل هذا الارتباط الوثيق بين علوم اللغة وعلوم الشريعة مستمراً، وهذا نتيجة الارتباط للدروس اللغوية عند العرب بوجود النص

(١) إعجاز القرآن الكريم للبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الفكر العربي، سنة ١٩٩٥، ص ٧٧.

(٢) مقدمة في علوم اللغة: د/ البدر أوى زهران ط ثانية دار المعارف سنة ١٩٨٦ ص ١٥.

الدينى، ولقد كان الاهتمام بعلوم اللغة شيئاً أساسياً للتعلم فى دراسة الدين وفهمه فقد كان دراسة القرآن ومحاولة فهم ألفاظه ومعانيه دافعاً للاهتمام بالشعر العربى وجمعه.

ويقول أبو حاتم الرازى فى كتابه الزينة: «لولا ما بالناس من حاجة إلى معرفة لغة العرب والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين والأئمة الماضين لبطل الشعر وانقرض ذكر الشعراء ولغى الدهر على آثارهم ونسى الناس أيامهم»^(١)، وقد شغل العرب بإعجاز القرآن الكريم وتحديه وبلاغته وروعته فدرسوا ذلك وانتظم لهم ما يعرف بعلوم البلاغة وكان الغرض الرئيسى هو المحافظة على ضبط القرآن الكريم وقراءاته وتجويده، فعرفوا الوجوه التى نطقت بها العرب وطريقة أداء القرآن الكريم بالتلقى والمشافهة ودُرست اللهجات العربية فى ظل القراءات القرآنية، ولو دونها العلماء عند ذلك وعند جمع اللغة لأسدوا إلى لغتهم الجميل الوافر ولأراحونا^(٢)، كما أن هناك أيضاً مجموعة من الآثار الخاصة بأثر القرآن الكريم فى اللغة منها:

١ - تقوية سلطان اللغة العربية. فقد كان لنزول القرآن ومجيء الحديث بلغة قريش وهما دعامة الدين الإسلامى الذى اعتنقه معظم قبائل العرب أعظم أثر فى توطيد هذه اللغة وتثبيت دعائمها وتقوية سلطانها على الألسنة، فالقرآن الكريم جمع العرب على لغة واحدة، بما استجمع فيها من محاسن هذه الفطرة اللغوية التى جعلت أهل كل لسان يأخذون بها ولا يجدون لهم عنها مرغبا^(٣).

٢ - تهذيب اللغة العربية وتنقيحها والنهوض بها إلى أرقى مستوى للغات الآداب، ويبدو هذا الأثر فى مختلف النواحي اللغوية: فى الأغراض والمعانى الأصيلة والأساليب والألفاظ، أما الأغراض فقد اتسعت أيضاً اتساع بفضل القرآن والحديث وانتشار الإسلام فى أمم ذات ثقافات عريقة، وما أفاده العرب ولغتهم من الاحتكاك بهذه الثقافات^(٤)، فقد فتح القرآن الكريم أبواباً كثيرة من فنون القول فعولجت بها أمور لم تكن العربية لتعنى بعلاجها من قبل، وذلك كمسائل

(١) أصول تراثية فى علم اللغة: كريم ذكى حسام الدين ط ثالثة مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٩٣م، ص ١٦.

(٢) علم اللغة العام: محمد توفيق شاهين، مكتبة الناشر، طبعة أولى سنة ١٩٨٠م، ص ٤١.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعى، دار الفكر العربى سنة ١٩٩٥م، ص ٧٧.

(٤) فقه اللغة: على عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، سنة ١٩٨٨م، ص ٨٢.

القوانين والتشريع والقصص والتاريخ والعقائد الدينية والجدال فيما وراء الطبيعة والإصلاح الاجتماعي والنظم السياسية وشئون الأسرة وأصول القضاء والمعاملات، ومن هذه الآثار كذلك القضاء على كثير من الألفاظ العربية الجاهلية التي تدل على نظم حرمة الإسلام كأسماء الأنصبه التي كانت لرئيس الحرب في الجاهلية.

(كالرباع والصفايا والنشيط والفضول)^(١) وكذلك قضى على أسماء الأيام والأشهر في الجاهلية لاتصال بعضها في أذهان العرب بشئون وثنية أو نظم جاهلية واستبدالها بأسمائها الحالية^(٢).

والحديث عن اللغة ونشأتها وخصائصاتها، وعن النحو وعلاقته الوثيقة باللغة يصلح أن يكون مدخلا أو تمهيدا لرسالة في النحو والصرف جاءت مسائلها تبعا أو اقتضاء لتفسير النص القرآني عند عالم من علماء القرن السابع وأطراف من القرن الثامن الهجري هو الإمام أبو البركات النسفي.

وتأتي هذه الدراسة في خمسة فصول على الوجه الآتي:

- ١ - الفصل الأول: أدوات المفسر.
 - ٢ - الفصل الثاني: النسخ النحوي.
 - ٣ - الفصل الثالث: النسخ الصرفي.
 - ٤ - الفصل الرابع: النسخ عالم القراءات.
 - ٥ - الفصل الخامس: النسخ بين سابقه ولاحقه.
- ثم تأتي الخاتمة، وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث في الرسالة.

(١) المرباع: ريع الغنيمه، الصفايا: ما يصطفيه الرئيس ويختاره لنفسه قبل قسمتها.

(٢) فقه اللغة: على عبد الواحد وافي، دارنهضة مصر للطبع والنشر، سنة ١٩٨٨م، ص ٨٢.

الفصل الأول
أدوات المفسر

تقديم :

هناك مجموعة من المصطلحات لابد من التعرف عليها في بداية هذا الفصل منها:
(التفسير - التأويل، والفرق بينهما، والعلوم والأدوات التي يحتاج إليها المفسر).

التفسير في اللغة:

الإيضاح والتبيين، يقال: فسّرت الحديث أى بيّنته وأوضحته^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثلٍ إلا جفناك بالحقّ وأحسنَ تفسيراً﴾^(٢)، أى بياناً وتفصيلاً، وهو مأخوذ من الفسر، وهو الإبانة والكشف.

قال ابن منظور: «الفسرُ: البيان، فسّرَ الشيء يفسّره - بالكسر - ويفسّره - بالضم - فسّراً، وفسّره: أبانه، والتفسير مثله... والفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل»^(٣).

وقال الفيروز بادی: الفسر الإبانة وكشف المغطى، والفعل كضرب ونصر^(٤).
والمادة تدور حول معنيين: الكشف المادى المحسوس، والكشف المعنوى المعقول^(٥).

والتفسير في الاصطلاح:

ذكر له علماء السلف المهتمون بعلوم القرآن والتصنيف عدة تعريفات متقاربة منها:

١ - تعريف السيوطى بأنه «علم نزول الآيات وشئونها، وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ثم ترتيبها، ومكيها ومدنيها، وبيان مُحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها،

(١) الفيروز بادی: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد على النجار، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت ج ١ ص ٧٨.

(٢) الفرقان: ٣٣.

(٣) لسان العرب لابن منظور: تحقيق عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف، الأولى ١٩٨٤، ألفبائى (فسر).

(٤) القاموس المحيط للفيروز بادی: دار الجيل، بيروت د.ت (فسر).

(٥) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة بالقاهرة، الرابعة ١٩٨٩ م ج ١ ص ١٥.

ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفصلها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها»^(١).

٢ - قال أبو حيان: «هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب»^(٢).

٣ - قال الزركشى: «التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»^(٣).

وهناك تعريفات أخرى تتفق جميعها على أن علم التفسير «علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد»^(٤).

أما التأويل فهو في اللغة: الرجوع، وأصله من الأول، يقال: آل إليه، أولاً ومآلاً: رجع وعنه ارتد، وأول الشيء رجعته وألت عن الشيء: ارتددت، وأول الكلام، وتأوله دبره وقدره، وأوله تأوله: فسره^(٥).

وقيل: اشتقاقه من الإيالة بمعنى السياسة، يقال: آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة، وهو مؤتال لقومه، أى سانس محتكم^(٦).

وله في كتاب الله تعالى عدة معان منها:

أ - التفسير والتعيين في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٧).

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث بالقاهرة، د.ت ج ٢ ص ٢٩٤.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان: دارالكتاب الإسلامي، الثاني ١٩٩٢ ج ١ ص ١٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالفكر العربي، الأولى سنة ١٩٥٥ ج ١/٣٣.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، الثالثة د.ت ج ١ ص ٤٠٦، والتفسير والمفسرون للذهبي، سابق ج ١ ص ١٧.

(٥) لسان العرب (أول) والقاموس المحيط (أول).

(٦) أساس البلاغة للزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الأولى ١٩٨٢ ج ١ ص ٢٥، والمفردات للراغب الأصفهاني، دار التحرير للنشر الأولى ١٩٩٠، وبصائر ذوي التمييز للفيروزبادي ٨٠/١.

(٧) آل عمران: ٧.

ب - العاقبة والمصير كما فى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١)، ومثله قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^(٢).

ج - وقوع اغتربه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^(٣).

وفى الاصطلاح له عدة تعريفات منها:

١ - قال أبو القاسم النيسابورى والبغوى الفراء: «التأويل صرف آية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة، من طريق الاستنباط»^(٤).

وهو مرخص فيه لأهل العلم، فالماعون فى قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٥) قيل: الزكاة المفروضة، وقيل: العارية أو الماء، أو النار، أو الكلاء أو الرق أو المغفرة، وكلها صحيح؛ لأن مانع الكل آثم^(٦).

وقيل: «هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتضيه»^(٨).

الفروق بين التفسير والتأويل:

قال الراغب الأصفهاني: التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعمالاً فى الألفاظ وأكثر استعمال التأويل فى المعانى^(٩).

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الأعراف: ٥٣.

(٣) يونس: ٣٩.

(٤) البرهان فى علوم القرآن للزركشى: ج ٢ ص ١٥١.

(٥) الماعون: ٧.

(٦) تفسير البغوى الفراء المسى معالم التنزيل دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٩٩٣ ج ١ ص ١٠، والبرهان للزركشى ١٥١/٢.

(٧) بصائر ذوى التمييز للفيروزى: سابق ج ١ ص ٧٩.

(٨) التفسير والمفسرون للذهبي سابق ج ١ ص ٢٠، والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٣١.

(٩) المفردات للراغب ٣٨٠، والبرهان للزركشى ج ٢ ص ١٤٩.

قال البجلي فيما ذكره الزركشى ونقله السيوطي: «التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية»^(١).

وقال المازني: «التفسير إبانة حكم اللفظ، والتأويل تحميلة ما هو يحتمله من المعنى»^(٢).
وقيل: «التأويل صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، والتفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها»^(٣).
وكتاب الله عز وجل بحره عميق وفهمه دقيق، لا يصل إلى فهمه إلا من تبحر في العلوم، وعامل الله بالتقوى في السر والعلانية، وأجله عند مواقف الشبهات، والحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السمع وهو شهيد.

لذلك تناول العلماء أدوات المفسر التي لا يصح لمن يقوم بعمل عظيم كتفسير كتاب الله سبحانه أن يترك شيئاً منها، وعلوماً لا بد من التبحر فيها.

وفيما يلي استعراض موجز لما قاله علماء السلف في ذلك:

- ١ - عن الشيخ أبي عمرو عثمان رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: «يحتاج من تكلم في تفسير كتاب الله عز وجل إلى عشر خصال إنْ أخطأ واحدة منها كان السكوت به أولى وهي:
- (١) أن يكون عالماً بظاهر التنزيل عارفاً باختلاف القراءات، وما يختلف به المعنى، وما لا يختلف.
- (٢) أن يكون عارفاً بلغة العرب، وطريقة النحو والإعراب.
- (٣) أن يكون عالماً بأبواب السر والإخلاص، والتوكل والتفويض والأذكار التي افترضها الله تعالى على عباده»^(٤).

(١) البرهان في علوم القرآن ١٥٠/٢ والاتقان في علوم القرآن سابق ج ٢ ص ١٧٣.

(٢) مقدمة كتاب المباني - ضمن «مقدمتان في علوم القرآن، مع مقدمة ابن عطية - وهي مجهولة المؤلف - تحقيق

آثر الجفري - الخانجي - الأولى ١٩٧٢ - ص ١٧٣.

(٣) تفسير البغوي الفراء سابق ١١/١، والبرهان في علوم القرآن ١٥١/٢، وبصائر ذوي التمييز ٨٠/١.

(٤) مقدمتان في علوم القرآن: سابق ص ١٧٤.

- (٤) أن يكون عالماً بأحكام الشريعة من العبادات، والمعاملات، والسنن الواردة فيها. ✕
- (٥) أن يكون عارفاً بالأقاصيص والأخبار وشأن نزول الآيات؛ ليحمل كل آية على ما تقتضيه، وليفرق بين الناسخ والمنسوخ.
- (٦) أن يحفظ أقاويل المفسرين من السلف والخلف.
- (٧) أن يكون جيد القريحة ذكي الفهم قوى الفكرة.
- (٨) أن يكون مفوضاً أمره إلى الله تعالى متضرعاً إليه أن يلهمه الرشد والتوفيق، ويحذر الإعجاب بنفسه والاتكال على عقله.
- (٩) أن يكون من أهل الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة^(١).
- وكما يرى فهي مجموعة آداب وأخلاقيات فيما عدا الثانية، والرابعة، والخامسة وكلها لازمة وضرورية.

قال الزركشى: «يحتاج المفسر إلى التبحر في معرفة لسان العرب، ويحتاج إلى معرفة أنواع من العلوم:

- علم العربية واللغة والتبحر فيهما.
- ومن علم الأصول ما يدرك به حدود الأشياء.
- وصيغ الأمر والنهي، والخبر، والمجمل والمبين، والعموم والخصوص، والظاهر والمضمر، والمحكم والمتشابه، والمؤول والحقيقة والجاز، والصريح والكناية، والمطلق والمقيد^(٢).
- وقريب منه ما ذكره الفيروزبادي^(٣).

وكان السيوطي أكثر دقة وتحديداً لأدوات المفسر في «الاتقان في علوم القرآن» وهو عنده النوع الثامن والسبعون.

فقال: «يجوز تفسير القرآن لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج إليها المفسر، وهي خمسة عشر علماً، وهي:

-
- (١) مقدمتان في علوم القرآن - سابق ص ١٧٥، قال المحقق أسقطت الخصلة الرابعة من مخطوطة الكتاب الوحيدة التي اعتمد عليها في التحقيق فلم يذكر إلا تسعاً فقط.
- (٢) البرهان في علوم القرآن للزركشى ج ٢ ص ١٦٨.
- (٣) بصائر ذوي التمييز - سابق ج ١ ص ٥٥ وما بعدها.

١ - اللغة: لأن بها يُعرفُ شرحُ المفردات الألفاظ، ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: « لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب. »

وقد روى البيهقي: «عن مالك بن أنس أنه قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا»^(١).

٢ - النحو: لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، وعن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسنَ المنطق، ويقيمُ بها قراءته فقال: حَسَنٌ فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها.

٣ - التصريف: لأن به تُعرفُ الأبنية والصيغُ، قال ابن فارس: ومن فاته علمه، فاته معظمه.

٤ - الاشتقاق: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين، اختلف المعنى باختلافهما كالسيح، هل هو من السياحة أو المسح؟

٥، ٦، ٧: الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يُعرف بالأول: خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يُدرك بهذه العلوم^(٢).

وفي علوم البلاغة كأداة من أدوات المفسر يرى الزمخشري أنها أهم الأدوات على الإطلاق: فيقول: «أملأ العلوم.. علمُ التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه لكل ذي علم.. فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن عللَّ اللغات بقوة لحيه، لا يتصدى منهم أحد

(١) البرهان في علوم القرآن - سابق ج ٢/ ١٦٠.

(٢) الانتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج ٤ ص ١٨٥، ١٨٦.

لسلوك تلك الطرائق إلا رجلٌ قد برع في عِلْمَيْنِ مُخْتَصِّينَ بالقرآن ، وهما : علم المعاني ، وعلم البديع ... وتمهّل في ارتيادهما آونة^(١) .

ويستكمل السيوطي فيقول :

الغامن : علم القراءات ؛ لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، والقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

التاسع : أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى ، فالأصوليُّ يُؤَوِّلُ ذلك ، ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز .

العاشر : أصول الفقه إذ به يُعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

الحادي عشر : أسباب النزول والقصص إذ بسبب النزول يُعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه .

الثاني عشر : الناسخ والمنسوخ ليُعلم المحكم من غيره .

الثالث عشر : الفقه

الرابع عشر : الأحاديث المبينة لتفسير الجمل والمبهم .

الخامس عشر : علمُ الموهبة ، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمِلَ بما عِلِمَ^(٢) .

ويلاحظ أن سبعة من تلك العلوم ، وهي المقدمة منها علوم لغوية بحتة تعادل تماماً العلوم

الشرعية وعددها سبعة كذلك ، وعلم الموهبة قاسم مشترك ما بين العلوم اللغوية والعلوم الإسلامية ، ولا يعني ذلك الفصل المطلق .

ويقسم الدارسون التفاسير من حيث الاتجاه العلمي ومصدر التفسير إلى :

١ - تفسير بالمأثور أو بالمنقول عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ، وتفسير القرآن بالقرآن .

(١) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري : تحقيق عادل أحمد عيد الموجود وآخر ، مكتبة العبيكان بالرياض ، الأولى ١٩٩٨ ج ١ ص ٩٦ .

(٢) الانتقان في علوم القرآن للسيوطي : سابق ج ٤ ص ١٨٢ - ١٨٥ .

وأبرز كتب التفسير التي تمثل ذلك:

- ١ - جامع البيان في علوم القرآن للطبري.
- ٢ - معالم التنزيل للبغوي الفراء.
- ٣ - المحرر الوجيز في لطائف الكتاب العزيز لابن عطية.
- ٤ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير^(١).
- ٢ - التفسير بالرأى أو بالمعقول؛ وهو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومفاهيمهم في القول، ومعرفة الألفاظ ووجوه دلالتها، والوقوف على أسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ وغير ذلك وأشهر كتب التفسير التي تمثل هذا النوع:
 - ١ - مفاتيح الغيب للإمام الرازي.
 - ٢ - الكشاف للزمخشري.
 - ٣ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي.
 - ٤ - البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي^(١).
 - ٥ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي.

وفيما يلي في هذا الفصل توضيح لامتلاك النسفي في تفسيره «مدارك التنزيل وأسرار التأويل» لتلك الأدوات:

قال الزركشي: «لنناظر في طلب القرآن لتفسيره مآخذ كثيرة منها:

- ١ - النقل عن النبي ﷺ وهذا هو الطراز الأول.
- ٢ - الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره بمنزلة المرفوع، كابن عباس وغيره.
- ٣ - الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وهو رأى لأحمد بن حنبل.
- ٤ - المقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع^(٢).

(١) رجع الباحث إلى جميع هذه المصنفات القيمة في إعداد هذا البحث، وأفاد منها.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي - سابق جـ ١ ص ١٦٠ وما بعدها ونقله السيوطي في الانتقان ٤/ ١٨٠.

وفى موضع ثان قال: «أحسن طريق التفسير، أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل فى مكان فقد فصل فى مكان آخر»^(١).

وقد امتلك النسفى هذه الأدوات وسلك ذلك الطريق، واثقاً من أدواته يجيد مواضع استخدامها.

فقد استخدم النسفى أكثر من ألف آية من ستة الاف ومائتين وست وثلاثين آية هى مجمل آيات كتاب الله عز وجل، فى تفسير للقرآن بالقرآن، وهو ما يقترب من سدس آيات الكتاب الكريم ومن ذلك تمثيلاً لاحصراً:

١ - فى قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا يَهُوداً أَوْ نَصَارَى﴾^(٢)، فقال: «ثم أمر الله نبيه ﷺ أن يقول مستفهماً راداً عليهم بقوله: «قل أنتم أعلم أم الله»، يعنى أن الله شهد لهم بملة الإسلام فى قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾^(٣)، ففسر آية من البقرة بآية من آل عمران^(٤).

٢ - فى قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾^(٥) فيقول: «.. (فمن نفسك) فمن عندك أى فيما كسبت يداك يقول الله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٦).

فهنا يفسر آية من سورة النساء بأخرى من سورة الشورى^(٧).

٣ - وفى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهُمْ، إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾^(٨)، فيقول: «فإذا الأولى للشرط، والثانية جوابها، وهى للمفاجأة، وهو كقوله:

(١) نفسه ج ٢ ص ١٧٥.

(٢) البقرة: ١٤٥٠.

(٣) آل عمران: ٦٧.

(٤) النسفى: مدارك التنزيل وأسرار التأويل - مروان الشعار - النفائس - بيروت ج ١ ص ١٣١.

(٥) النساء: ٧٩.

(٦) الشورى: ٣٠.

(٧) النسفى: مدارك التنزيل ج ١ ص ٣٤٧.

(٨) يونس: ٢١.

﴿وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾^(١).

وكذلك هنا يفسر آية من سورة يونس بأخرى من سورة الروم^(٢).

أما تفسيره للقرآن بالحديث، وكما فسر بعضه النبي ﷺ فهو أداة من أدوات النسخ في تفسيره الموجز، وقد استعان بحوالى أربعمائة وخمسين حديثاً مرفوعاً للنبي ﷺ، ومئات الآثار عن الصحابة - رضوان الله عليهم - .

ومن ذلك تمهيداً لا حصراً:

١ - من تفسير النبي ﷺ لمعنى الظلم فى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾^(٣) أنه الشرك، قال النسفى «أى بشرك، عن الصديق ،رضى الله عنه»^(٤) ، أى رواه أبو بكر الصديق عن رسول الله ﷺ .

وقد روى البخارى^(٥) أنه «لما نزلت: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعو ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: (يا بُنَى لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)^(٦) .

ومن ذلك قوله فى تفسير الفاتحة «عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: قال الله تعالى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ - أى الفاتحة - بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل ، فإذا قال: العبد: (الحمد لله رب العالمين) قال الله تعالى: حمدنى عبدى، وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال الله تعالى: أثنى علىّ عبدى، وإذا قال (مالك يوم الدين) قال: مجدنى عبدى، وإذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ، قال: هذا لعبدى، ولعبدى ما سأل»^(٧) .

(١) الروم: ٣٦.

(٢) النسفى: مدارك التنزيل ج ٢ ص ٢٢٧.

(٣) الأنعام: ٨٢.

(٤) النسفى: مدارك التنزيل ج ٢ ص ٣٢.

(٥) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى تحقيق: طه عبد الرؤوف، دارالغد العربى الأولى ٩٢ ج ١٠/١٩٥.

(٦) لقمان: ١٣.

(٧) النسفى مدارك التنزيل ج ١ ص ٣٠، والحديث رواه الترمذى فى الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج ٥ ص ٢٠١ رقم ٢٩٥٣، وابن أبى الدبيع الشيبانى فى تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول / مكتبة التراث - القاهرة د.ت وقال أخرجه الستة فيما عدا البخارى ج ٢ ص ٢٤٢.

وفى موضع ثالث يدل على تمكن النسفى ودقته فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(١)، حيث يقول: «وفى الحديث: ألا إنَّ القوة الرمي، قالها ثلاثاً على المنبر»^(٢)، وهكذا جاءت رواية الحديث عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال: «ألا إنَّ القوة الرمي ثلاث مرات»^(٣).

وفى موضع رابع عن تشدد بنى إسرائيل يقول: «وفى الحديث لو اعترضوا أدنى بقرة فذبوها لكفتهم، ولكنَّ شددوا فشدد الله عليهم»^(٤).

وغير ذلك كثير، وما يظهر هنا من دقة فى الألفاظ فى تفسير الفاتحة وأن هذا من كلام الله تعالى - رواه عنه النبي ﷺ، وهو الحديث القدسى فى اصطلاحات علماء الحديث^(٥).

أما تفسيره لبعض الآيات بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم فأكثر من أن يحصى، ومن ذلك ما أورده فى تفسير قوله تعالى: ﴿المص﴾^(٦)، «قال الزجاج: اختار فى تفسيره ما قاله ابن عباس - رضى الله عنهما - أنا الله أعلم وأفضل»^(٧)، وهكذا ذكره الزجاج فى معانى القرآن^(٨) وسبقهما بذكره الطبرى فى جامع البيان^(٩).

أما تفسيره بأقوال التابعين فخير شاهد له على كثرته ما جاء فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^(١٠)، فقال: «عن الحسن رحمه الله أن رجلاً سأله: أمؤمن أنت؟ قال: إن كنت تسألنى عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار، والبعث

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) النسفى: مدارك التنزيل ج٢ ص ١٥٨.

(٣) رواه الترمذى فى سننه سابق ج٥ ص ٢٧٠ رقم ٣٠٨٣.

(٤) النسفى: مدارك التنزيل ٩٨/١، وجامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى، دارالريان، ١٩٨٧ ج١ ص ٢٧٥.

(٥) الأحاديث القدسية - لجنة من علماء الأزهر - المحمدية بالقاهرة، د.ت، ص ٥.

(٦) الأعراف: ١.

(٧) النسفى: مدارك التنزيل ج٢ ص ٦٥.

(٨) معانى القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق عبد الفتاح شلبى، عالم الكتب الأولى ١٩٨٨، ج٢ ص ٣١٣.

(٩) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى - سابق ج٨ ص ٨٥.

(١٠) الأنفال: ٤.

والحساب، فأنا مؤمن، وإن كنتَ تسألني عن قوله (إنما المؤمنون) فلا أدري أنا منهم أم لا، وعن الثوري: من زعم أنه مؤمن بالله حقاً ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية، أي كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقاً فلا يقطع بأنه مؤمن حقاً، وبهذا يتشبه من يقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

وكان أبو حنيفة رحمه الله لا يقول ذلك، وقال لقتادة: لم تستثنى في إيمانك؟ قال اتباعاً لإبراهيم في قوله: «والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين»^(١). فقال الله: هلا اقتديت به في قوله: «أو لم تؤمن قال بلي»^(٢)، وعن إبراهيم التيمي: قل أنا مؤمن حقاً، فإن صدقت أثبت عليه، وإن كذبت فكفرك أشد من كذبك، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من لم يكن منافقاً فهو مؤمن حقاً، وقد احتج عبد الله بن المبارك على أحمد فقال: إيش اسمك؟ فقال: أحمد، فقال أتقول: أنا أحمد حقاً، أو أنا أحمد إن شاء الله؟ فقال: أنا أحمد حقاً، فقال: حيث سماك والدك لا تستثنى، وقد سماك الله في القرآن مؤمناً تستثنى^(٣).

وفي هذا المثال دليل على تمكن النسفي فهي مسألة في العقيدة، حشد لها طاقاته واستجمع حولها آراء الصحابة والتابعين والفقهاء في مزيج مختصر موجز، حذف فيه الأسانيد وتكرار الروايات لاختلاف يسير في اللفظ ويكتفى بالمضمون الواضح في عرضه، ولا يعنيه ورود الرواية بأكثر من لفظ أو طريق.

والاستثناء مذهب ابن مسعود وجمع عظيم من الصحابة والتابعين، وبه قال الشافعي ونسب إلى مالك وأحمد^(٤).

أما معرفته بالناسخ والمنسوخ فهي واضحة في عدة مواضع منها:

(١) النسفي: مدارك التنزيل ج٢ ص ١٣٦، وجامع البيان للطبري ج٩ ص ١٢١، ومعالم التنزيل للبغوي للفراء سابق

ج٢ ص ١٩٣، وروح المعاني لألوسي ج٩ ص ١٦٨.

(٢) روح المعاني لألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الرابعة ١٩٨٥ ج٩، ص ١٦٨.

١ - فى قوله تعالى: ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾^(١) قال: «أى يتولى بعضهم بعضاً فى الميراث، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوى القربات حتى نسخ ذلك بقوله: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض»^{(٢)،(٣)}.

٢ - وفى نسخ السنة بالقرآن، ما جاء فى حكم تغريب البكر بعد الجلد مائة فى حكم الزنا، قال ابن كثير: «الزانى لا يخلو إما أن يكون بكراً، وهو الذى لم يتزوج، أو محصناً، وهو الذى قد وطئ فى نكاح صحيح، وهو حر بالغ عاقل، فإما إذا كان بكراً، لم يتزوج فإنَّ حدَّه مائة جلد كما فى الآية يُزاد على ذلك أن يُغرَّب عاماً عن بلده عند جمهور العلماء خلافاً لأبى حنيفة رحمه الله، فإنَّ عنده أن التغريب إلى رأى الإمام إن شاء غرَّب وإن شاء لم يغرَّب»^(٤).

فيستدل النسفى على نسخ القرآن بالسنة فى قوله تعالى: «فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلد»^(٥) فيقول: «والتغريب المروى منسوخ بالآية، كما نسخ الحبس والأذى فى قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ﴾^(٦)، وقوله ﴿فَاذْهَبَا﴾^(٧) بهذه الآية»^(٨).

وقيل: إن قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ﴾ نسخ بالسنة لا بالكتاب^(٩).
أما معرفته بأسباب النزول فخير دليل عليها ما أورده فى تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١٠).

(١) الأنفال: ٧٢.

(٢) الأحزاب: ٦.

(٣) النسفى مدارك التنزيل ج٢ ص ١٦٣، والناسخ والمنسوخ لأبى القاسم ابن أبى النصر، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة د.ت ص ١٨١.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير دار إحياء الكتب العربية - د.ت ج٣ ص ٢٦٠.

(٥) النور: ٢.

(٦) النساء: ١٥.

(٧) النساء: ١٦.

(٨) النسفى: مدارك التنزيل ج٣ ص ١٩٦.

(٩) الناسخ والمنسوخ سابق ص ١١٩.

(١٠) الكهف: ٢٣.

حيث ذكر: «وقال الزجاج : معناه ولا تقولن إني فاعل ذلك إلا بمشيئة الله تعالى»^(١) ...
وهذا نهى تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح، وعن أصحاب
الكهف وذى القرنين، فسألوه، فقال: انتنسى غداً سأخبركم ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي
حتى شقَّ عليه»^(٢).

وفى موضع ثان: «قيل أسلم مع النبي ثلاثة وثلاثون رجلاً، وستُ نسوة ثم أسلم عمرُ
فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾»^(٣).

تلك كانت بعض أدواته من العلوم الشرعية، وفيما يلي استعراض لأدواته اللغوية والبلاغية.

فى اعتقادى أن الإمام النسفى اطلع على ما ذكره ابن تيمية فى المقدمة التى ذكرها فى
أصول التفسير، ووقع من نفسه موقعا حسنا، فالمقدمة التى ذكرها ابن تيمية تبسط الحديث فى
الأدوات التى يجب أن يُسلح بها المفسر نفسه، وهى أدوات لازمة لا غنى عنها لمن يعد نفسه /
ويهيئها لتفسير القرآن الكريم وأول هذه الأدوات اللغة^(٤).

(١) معانى القرآن وإعرابه للزجاج سابق جـ ٣ ص ٢٧٨.

(٢) النسفى: مدارك التنزيل جـ ٣ ص ٢١، وسباب النزول للسيابرى: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت: ص ٢٨٢ حديث رقم
٤٧٢١ فى كتاب التفسير لقوله تعالىك ويسألونك عن الروح، الإسراء: الآية ٨٥ ومدارك التنزيل للنسفى جـ ٢
ص ٤٧٢.

(٣) النسفى: مدارك التنزيل جـ ٢ ص ١٥٩، وفتح البارى لابن حجر جـ ١٣ ص ١٢١.

(٤) التفسير الكبير لابن تيمية: عبد الرحمن عميرة - دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٩٨٨، جـ ٢ ص ٢٣١.

لأن المفسر باللغة يعرف شرح المفردات ومدلولاتها بحسب الوضع، ويستطيع أن يميز الكلمة من حيث صيغتها وبنائها وإبدال حروفها والإعلال فيها ووزنها، وما علاقتها بغيرها، إلى غير ذلك مما يقف عنده علماء اللغة في كتبهم ومصنفاتهم.

ولقد سلح صاحب مدارك التنزيل وحقائق التأويل نفسه باللغة تسليحاً يؤكد تمكنه من اللغة، وسبحه في عابها، وتمكنه من شواردها وعلى مساحة تفسيره كله تجدد ذلك واضحاً منذ السورة الأولى وهي سورة الفاتحة وحتى آخر سورة وهي سورة الناس.

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة، فحين عرض لقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، مطلع سورة الفاتحة يقول: "الحمد والمدح أخوان، وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول: حمدت الرجل على إناعامه، وحمدته على شجاعته وحسبه، وأما الشكر فعلى النعمة خاصة، وهو بالقلب واللسان والجوارح.

ويذكر قول الشاعر: (الطويل)
أَفَادَتْكُمْ النَّعْمَاءُ مِنْي ثَلَاثَةً . . . يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرُ الْمُحَجَّبُ^(٢)
أى القلب، والحمد باللسان وحده، وهو إحدى شعب الشكر، ومنه الحديث «الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبد لم يحمده»^(٣).

وجعله رأس الشكر، لأن ذكر النعمة باللسان أشيع لها من الاعتقاد وآداب الجوارح خفاء عمل القلب، وما فى عمل الجوارح من الاحتمال ونقيض الحمد (الذم) ونقيض الشكر (الكفران) وقيل: المدح ثناء على ما هو له من أوصاف الكمال، ككونه باقياً قادراً عالماً أبدياً أزلياً والشكر ثناء على ما هو منه من أوصاف الأفضال، والحمد يشملهما.

(١) سورة الفاتحة: آية رقم ٢.

(٢) لابن الحاج حسين بن أحمد ت ٣٩١ هـ.

(٣) ورد بمعناه «من لم يحمد الناس لم يحمد الله، فى مفاتيح الغيب للرازى، سابق، ج ١ ص ٢٧٠.

يقول: والرب: المالك: ومنه قول صفوان لأبي سفيان: لأن يُرَبِّيَ رجل من قريش أحب إليّ من أن يُرَبِّيَ رجل من هوازن.

تقول: رَبِّهِ يُرَبِّهِ رَبًّا فَهُوَ رَبٌّ، ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة ولم يطلقوا الرب إلا في الله تعالى، وهو في العيد مع التقييد ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَقْوَايَ﴾^(١)، ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾^(٢).

ويذكر رأى الواسطي في الرب، بأنه الخالق ابتداء، والمربى غذاء، والغافر انتهاء، وهو اسم الله الأعظم، والعالم كل ما علم به الخالق من الأجسام والجواهر والأعراض^(٣).

من خلال هذا المثال تبين سعة علم النسفي باللغة، وتمكنه من دلالاتها فهو يتنقل تنقلا يسيرا بين مختلف الدلالات للصفة الواحدة، ويسوق رأى غيره من كبار العلماء لتوثيق ما يذهب إليه.

فتراءى لك الصورة، صورة العالم الباحث المدقق، واسع الاطلاع دقيق النظر، فإذا انتقلت إلى قوله تعالى في سورة البقرة: مطلعها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰكَ الْكِتَابَ لَا رَبَّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

وجدته يقول: (لا رب) لا شك، وهو مصدر (رأى) إذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها، ومنه قوله عليه السلام: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيكَ»^(٥).

فإن الشك ريبة، وإن الصدق طمأنينة، أي فإن كون الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس/ ولا تستقر، وكونه صادقا صحيحا مما تطمئن له وتسكن ومنه رب الزمان، وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوابه^(٦).

(١) سورة يوسف آية ٢٣.

(٢) سورة يوسف آية ٥٠.

(٣) تفسير النسفي، سابق، ج ١ ص ١٨، ١٩.

(٤) سورة البقرة آية ٣.

(٥) رواه الترمذي والنسائي وأحمد كما في جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، دار التراث، الأولى، ٨٩ ص ١٤١.

(٦) تفسير النسفي المجلد الأول: دار القلم: بيروت ج ١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٩ م ص ٢٦.

فانظر كيف تعمق النفسى معنى الريب، وأخذ يقلبه على وجوهه المختلفة ويشفع ذلك بحديث رسول الله ﷺ «دع ما يريبك....» ويقيم علاقة بين الشك والريبة، وبين الصدق والطمأنينة، ويحيى تمكنه اللغوى دليلا على أنه يعطى اللغة حقها من النظر، ويوليها أهميتها فى بناء المفسر الذى يتعرض لكتاب الله العزيز، ففى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

يقول صاحب مدارك التنزيل وحقائق التأويل^(٢): «إلا وسعها» إلا طاقتها وقدرتها، لأن التكليف لا يرد إلا بفعل يقدر عليه المكلف، وقال صاحب الكشاف^(٣): «الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، ولا يخرج فيه أى لا يكلفها. إلا ما يتسع له طوقه، ويتيسر عيه دون مدى غاية الطاقة والاجتهاد» فقد كان فى طاقة الإنسان أن يصلى أكثر من الخمس، ويصوم أكثر من الشهر، ويحج أكثر من حجة^(٤).

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

ينفعها ما كسبت من خير، ويضرها ما اكتسبت من شر، وخص الخير بالكسب والشر بالاكْتَسَابِ، لأن الافتعال للانكماش، والنفس تنكمش فى الشر، وتكلف للخير^(٥).

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾.

عِماً بأصِر حامله، أى يحبس مكانه ثقله، استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك. ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ أى امح سيئاتنا.

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦.

(٢) تفسير النفسى: ج ١ ص ٢٩، وجامع العلوم والحكم لابن رجب، سابق، ١٤٢.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: للزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخر، مكتبة العبيكان الرياض، الأولى، ١٩٩٨، ج ١ ص ٥٢٠.

(٤) تفسير النفسى: ص ١٢٧.

(٥) نفسه: ص ١٢٩.

﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ واستر ذنوبنا، وليس بتكرار، فالأول للكبائر، والثاني للصغائر^(١).

إن النفسى فى هذا المثال يقف وقفة لغوية فاحصة عند الصيغ والألفاظ يتأملها تأملاً شديداً فى دلالاتها القرينة، ثم ينظر فى التفرعات التى تتفرع عنها، وأحيانا يعلل لها، كما رأينا فى ﴿كسبت، واكتسبت﴾ فاغترى خص بالكسب والشر خص بالاكْتِسَاب، لأن الافتعال للانكماش ~~والنفس تنكمش فى الشر، وتكلف للخير. والإصر هو العبء، لأنه يأمر حامله، أى يحبس مكانه~~ لقله ولن يتاح مثل هذا التفسير اللغوى إلا لعالم بلغ شأواً بعيداً فى الإدراك اللغوى، ويمكن بشكل واضح من دلالات الألفاظ.

وفى الآية السابعة من سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

يقول: «الكتاب» القرآن «منه» من الكتاب «آيات محكمات» أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه «هن أم الكتاب» أصل الكتاب.

تحمل المتشابهات عليها، وترد إليها، «وأخر» وآيات آخر «متشابهات» مشتبهات محتملات^(٣)، مثال ذلك «الرحمن على العرش استوى»^(٤)، فلاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء، ولا يجوز الأول على الله تعالى، بدليل المحكم وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٥)، أو المحكم ما أمر الله به فى كل كتاب أنزله. نحو قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾^(٦).... الآيات ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٧).... الآيات. والمتشابه ما

(١) تفسير النسفى: ص ١٩٩.

(٢) آل عمران آية ٧.

(٣) تفسير النسفى: ج ١ / ٢٢١، ٢٢٢. والتفسير الوسيط. محمد سيد طنطاوى، جامعة الأزهر ١٩٧٨ ج ١ / ٢٣٦.

(٤) طه: ٥.

(٥) الشورى آية ١١.

(٦) الانعام آية ١٥١.

(٧) الإسراء آية ٢٣.

وراءه، أو ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، وما احتمل أو جُهِأ، أو ما يعلم تأويله، وما لا يعلم تأويله، أو الناتج الذى يعمل به، والمنسوخ الذى لا يعمل به، وإنما لا يكن كل القرآن محكما لا فى التشابه من الابتلاء به، والتمييز بين الثابت على الحق، والمتزلزل فيه، ولما فى تقادح العلماء واتعابهم القرائح فى استخراج معانيه، ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة، والعلوم الجملة ونيل الدرجات عند الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾^(١) ميل عن الحق، وهم أهل البدع «فيتبعون ما تشابه» فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق الحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق، «منه ابتغاء الفتنة» طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلّوهم، «وابتغاء تأويله»، وطلب أن يؤولوه التأويل الذى يشتهونه «وما يعلم تأويله إلا الله» أى لا يهتدى إلى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه إلا الله «والراسخون فى العلم» والذين رسخوا أى ثبتوا فيه، وتمكنوا، وعضوا فيه بضرس قاطع^(٢).

«يقولون آمنا به» وهو ثناء منه تعالى عليهم بالإيمان على التسليم، واعتقاد الحقيقة بلا تكليف، وفائدة إنزال التشابه الإيمان به واعتقاد حقيقة ما أراد الله به، ومعرفة قصور أفهام البشر عن الوقوف على ما لم يجعل لهم إليه سبيلا كل من متشابهه ومحكمه «من عند ربنا» من عند الله الحكيم الذى لا يتناقض كلامه، «وما يذكر» وما يتعظ، وأصله يتذكر «إلا أولوا الألباب» أصحاب العقول، وهو مدح للراسخين بإلقاء الذهن، وحسن التأمل^(٣).

فإنظر كيف أطل النسفى التأمل بحسه اللغوى المتمكن الدقيق فى مفهوم الأحكام والتشابه، ليصل إلى معنى المحكم والمتشابه فالآيات المحكمات هن اللواتى حفظن من الاحتمال والاشتباه، والمتشابهات من احتمالات، ويضرب أمثله لكل منها:

فالحكم كقوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات، وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ الآيات.

(١) آل عمران آية ٧.

(٢) تفسير النسفى ج ١ ص ١٥٦.

(٣) نفسه: ج ١ / ١٥٧.

- X ومثال المشتبهات المحتملات : «الرحمن على العرش استوى» ويفسر الاستواء تفسيراً لغوياً
فقد يكون بمعنى الجلوس، وقد يكون بمعنى القدرة والاستيلاء ولا ينسب في خصم هذا التفسير
X أن يوجه كل معنى توجيهاً يليق بهذا المعنى وبما يتصف به، فالجلوس لا يليق بذات الله عز وجل
لأنه ليس كمثله شيء... ويستطرد النسفي في التفسير اللغوي للمحكم والمتشابه، فالأول ما لا
يحمل إلا وجهاً واحداً والثاني ما احتمال أوجهاً.

أو المحكم ما يعلم تأويله، والمتشابه لا يعلم تأويله^(١)

وهكذا لما يكشف عن سعة اطلاع هذا العالم الجليل، وهضمه للغة، وتمكنه من الفهم
والاستيعاب والتفسير اللغوي عند هذا العالم لا يكلف اللفظ فوق ما يحتمله، ولا يبعد به عن
مجال الدلالة التي هي أقرب إليه.

وبمعنى آخر لا يتكلف الرجل الشطط من أمره، ولا يتوسع في دائرة اللفظ، بل يتعلق به
من قريب، حتى يكون أقرب إلى الصواب، أو ما يعتقد أنه الصواب، وهي لغة أهل التحري
والاجتهاد.

انظر تفسيره القريب من ناحية اللغة

«يقولون آمنا به» وهو ثناء منه تعالى عليهم بالإيمان على التسليم واعتقاد الحقيقة بلا
تكليف.

- وانظر تفسيره «منه ابتغاء الفتنة» طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلّوهم «وابتغاء
تأويله» وطلب أن يؤولوه التأويل الذي يشتهونه «وما يعلم تأويله إلا الله» أي لا يهتدى إلى تأويله
X الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله «والراسخون في العلم» والذين رسخوا أي ثبتوا فيه
وتمكنوا وعضوا فيه بضرر قاطع.

(١) تفسير النسفي: ج ١ ص ١٦٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الفد العري، القاهرة، الأولى، ١٩٨٨،
ج ١ ص ١٣٦٨، وما بعدها.

فالرجل يتحرك في دائرة اللفظ لا يبعد عنه، فيذكر المعنى القريب، ويفسر التفسير الذي يتفق عليه كل الناس، ولا يختلف فيه أحد من أهل اللغة.

وفي مطلع سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١).

يقول: «يا أيها الناس» يا بني آدم. «اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة» فرعكم من أصل واحد، وهو نفس أبيكم آدم «وخلق منها زوجها» معطوف على محذوف، كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها من تراب، وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعه، «وبث منها» ونشر من آدم وحواء «رجالا كثيرا ونساء» كثيرة، أي وبث منهما نوعي جنس الإنس، وهما الذكور والإناث، فوصفها بصفة هي بيان وتفضيل لكيفية خلقهم منها، أو على خلقكم.

والخطاب في يا أيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله ﷺ، والمعنى خلقكم من نفس آدم، وخلق منها أمكم حواء، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفاتية للحصر ﴿اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظا أو عالما.

«وآتوا اليتامى أموالهم» يعني الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم، واليتيم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة، وقيل: اليتيم في الأناس من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات، وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء، إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم، وقوله عليه السلام: «لا يتم بعد الحلم»^(٢) شريعة لا لغة، يعني أنه إذا احتلم لم تجز عليه أحكام الصغار.

والمعنى: وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ، وسماهم يتامى لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر. «ولا تبدلوا الخبيث بالطيب» ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلal، وهو مالكم، أو

(١) سورة النساء آية ١.

(٢) رواه أبو داود في سننه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د.ت، ج ٣، ص ١١٥ برقم ٢٨٧٣ هـ كذا -

«لا يتم بعد احتلام»، ومفاتيح الغيب للرازي: ج ٤ ص ٦٥٧.

والأداة الثانية التى تسلح بها الإمام النسفى هى النحو، وهو لا يقل أهمية عن اللغة بالنسبة لمن يتعرض لتفسير القرآن.

يتبين ذلك فى وضوح شديد عندما تسترسل فى قراءة تفسير العالم، إذ ينتقل من اللغة إلى النحو، ومن النحو إلى اللغة، وهما ركنان أساسيان يقوم عليهما تفسير القرآن، اقرأ هذا التفسير للآية الثامنة عشرة من سورة النساء وما بعدها:

﴿ وَلَيْسَتِ الْعَرْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضِلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنْتُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِهِتَانًا وَلَوْ أَنَّمَا مِثْلُهُنَّ وَأَنْتُمْ أَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِّثْلًا غَلِيظًا ۝ ١١ ﴾

يقول الإمام النسفى: أى ولا توبة للذين يذنبون، ويسوفون توبتهم إلى أن يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت، ومعاناة ملك الموت فإن توبة هؤلاء غير مقبولة لأنها حالة اضطرار لا حالة اختيار، وقبول التوبة ثواب، ولا وعد به إلا لاختار^(١).

«والذين يموتون» فى موضع جر بالعطف على للذين يعملون السيئات أى وليست التوبة للذين يعملون السيئات، ولا للذين يموتون «وهم كفار» قال سعيد بن جبير: الآية الأولى فى المؤمنين وهى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْعَرْبَةُ عَلَىٰ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾، والوسطى فى المنافقين، والأخرى فى الكافرين، وفى بعض المصاحف والوسطى بلامين وهو مبتدأ خبره «أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما» أى هينا، من العتيد وهو الحاضر، أو الأصل أعددنا، فقلبت الدال تاء، كان الرجل يرث امرأة مورثه، بأن يلقي عليها ثوبه، فيتزوجها بلا مهر

(١) سورة النساء: ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١.

(٢) تفسير النسفى: ج ١ ص ٣٠٤.

فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها» أى أن تأخذوهن على سبيل الإرث، كما تحاز الموارث، وهن كارهات لذلك، أو مكراهات، كرها بالفتح من الكراهة، وبالضم من الإكراه، مصدر فى موضع الحال من المفعول والتقييد بالكُره لا يدل على الجواز عند عدمه، لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه، كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾^(١)، وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدى منه بمالها، وتختلع، فقليل: «ولا تعضلوهن» وهو منصوب عطفاً على أن ترثوا، ولا لتأكيد النفي أى لا يحل لكم أن ترثوا النساء، ولا أن تعضلوهن، أو مجزوم بالنهى على الاستئناف، فيجوز الوقف حينئذ على (كرها)، والعصل الحبس والتضييق^(٢).

«لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن» من المهر، واللام متعلقة بتعضلوها «إلا أن يأتين بفاحشة» هى النشوز وإيذاء الزوج وأهله بالنداء أى إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن، فقد عُدَّرتُم فى طلب الخلع، وعن الحسن: الفاحشة الزنا، فإن فعلت حلَّ لزوجها أن يسألها الخلع «مبيّنة» وبفتح الياء مكى وأبو بكر، والاستثناء من عموم الظرف، أو المفعول له، كأنه قيل: ولا تعضلوهن فى جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة، أو ولا تعضلوهن لعله من العلل إلا لأن يأتين بفاحشة^(٣).

وكانوا يسيئون معاشرة النساء، فقليل لهم: «وعاشروهن بالمعروف» وهو النصف فى البيت والنفقة والإجمال فى القول «فإن كرهتموهن» لقبهجن، أو سوء خلقهن، «فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه» فى ذلك الشيء أو فى الكره «خيراً كثيراً» ثواباً جزيلاً، أو ولداً صالحاً.

والمعنى: فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح فى الدين، وأدنى إلى الخير، وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر فى أسباب الصلاح.

وانما صح قوله: فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط، لأن المعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة، فلعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً ليس فيما تحبونه^(٤).

(١) الإسراء: ٣١.

(٢) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك - نجقيق محمد محيى الدين ، طبع صبيح، المشرون ١٩٧٥، ج ٣ ص ٢٢٥.

(٣) التفسير: ج ١ / ٣١٧.

(٤) نفسه: ج ١ / ٣١٨.

وكان الرجل إذا رأى امرأة فأعجبته بهت التي تحته، ورمها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها فقليل: «وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج»^(١).

أى تطليق امرأة وتزوج أخرى: «وآتيتم إحداهن» وأعطيتم إحدى الزوجات فالمراد بالزوج الجمع، لأن الخطاب لجماعة الرجال «قنطارا» مالا عظيما.

وقال عمر رضى الله عنه على المنبر: لا تغالبوا بصدقات النساء، فقالت امرأة: أنتع قولك أم قول الله: وآتيتم إحداهن قنطارا؟ فقال عمر: كل أحد أعلم من عمر، تزوجوا على ما شئتم.

«فلا تأخذوا منه» من القنطار «شيئا، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً» أى بيناً، والبُهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو برىء منه؛ لأنه يهت عند ذلك أى يتحير.

وانتصب بهتاناً على الحال، أى باهتين وآثمين، ثم أنكر أخذ المهر بعد الإفضاء قال:

«وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض» أى خلا بلا حائل^(٢).

ومنه الفضاء، والآية حجة فى الغلوة الصحيحة أنها تؤكد المهر حيث أنكر الأخذ، وعلل بذلك «وأخذنا منكم ميثاقاً غليظاً» عهداً وثيقاً، وهو قول الله تعالى: ﴿فإمساكاً بمعروف، أو تسريح بإحسان﴾.

والله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لأجلهن، فهو كأخذهن أو قول النبی عليه الصلاة والسلام: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان فى أيديكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»^(٣).

من هنا نرى أن النسفى يتخذ لتفسيره أرضية من اللغة والنحو يبدأ باللغة، ويصل إلى النحو، أو يبدأ بالنحو ويصل إلى اللغة، إذ لا يمكن الفصل بينهما فى بيان المعنى، لأن المعنى القرآنى كامن فى نظام اللغة وفى نظام النحو، ولا يعقل هذا المعنى بعيداً عن دائرة النحو واللغة معا.

(١) أسباب النزول لليسابورى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص ١٠٨، وتفسير النسفى: ج ١/ ٣١٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، سابق. ج ٢/ ١٧٥٦.

(٣) الجامع الصحيح للبخارى، لجنة من الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ج ٧/ ٣٤.

والنفسى مولع ببيان المعانى الأول التى تتكشف للقارىء من الدلالات اللغوية حيناً^١ والدلالات النحوية حيناً آخر.

وهى الدلالات البسيطة، أو الدلالات الواضحة الظاهرة التى تبدو للوهلة الأولى من الصيغ أو السياقات.

يتأكد هذا المذهب فى التفسير فى هذا الموقف من خلال عطف الجمل على الجمل «ولا الذين يموتون» وهى فى موضع جر بالعطف على الذين يعملون السيئات، أى وليست التوبة للذين يعملون السيئات، ولا للذين يموتون وهم كفار، وهو مبتدأ خبره، «أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً»^(١).

وينتقل إلى اللغة فى (كرها) بالفتح، وهى من الكراهة، وبالضم وهى من الإكراه، وهى مصدر فى موضع الحال من المفعول به.

والتقييد بالكراه لا يدل على الجواز عند الإطلاق، لأن تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفي ما عداه. ﴿ولا تعضلوهن﴾ منصوب عطفاً على أن ترثوا، ولا لتأكيد النفي أو مجزوم بالنهى على الاستئناف، فيجوز الوقف حينئذ على كرها.

﴿لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾ والام متعلقة بتعضلوا، ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ مبينة بكسر الياء وفتحها، والإستثناء من عموم الظرف، ليشمل جميع الأوقات، أو المفعول له، أى لعللة من العلل إلا أن يأتين بفاحشة، ﴿فعمسى أن تكرهوا شيئاً﴾ جزء للشرط^(٢).

وهكذا تتحرك المضامين والدلالات فى أرضية من النحو واللغة، أو فى أرضية من اللغة والنحو، إذ هما سياقان فى سياق واحد، وسياق واحد فى سياقين.

(١) إملأ ما من به الرحمن = التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى، المكتبة الترفيقية، الأولى، ١٩٨٩، ج ١/ ١٧١، ١٧٢.

(٢) شرح ابن عقيل (سابق) ج ٣ ص ٢٢٧.

وانظر هذا النموذج أيضاً من تفسير النفسى لقوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَكَّنُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٣) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١)

يقول: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ ، تعجب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به ويكتابه، مع أن الحكم منصوص فى كتابهم الذى يدعون الإيمان به ويكتابه.

«فيها حكم الله» حال من التوراة، وهى مبتدأ وخبره عندهم، ﴿ثم يتولون من بعد ذلك﴾ عطف على «يحكمونك» أى ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به (٢)

﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾ ، انقادوا لحكم الله فى التوراة، وهو صيغة أجريت للنبيين على سبيل المدح.

﴿للذين هادوا﴾ تابوا من الكفر، واللام يتعلق بـ(يحكم).

﴿والرهبانيون والأحبار﴾ معطوفان على (النبيون) أى الزهاد والعلماء.

﴿بما استحفظوا﴾ استودعوا، قيل: ويجوز أن يكون بدلاً من «بها» فى «يحكم بها» (٣).

وقوله: أن النفس بالنفس: نصب «نافع وعاصم وحمزة» المعطوفات كلها للعطف على ما عملت فيه أن، ورفعها على - يقصد الكسائى - للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا

(١) المائدة الآيات ٤٣، ٤٤، ٤٥.

(٢) معانى القرآن وإعرابه - تحقيق عبد الجليل شلبى - عالم الكتب، بيروت الأولى ١٩٨٨، ج ٢، ص ١٧٦، ١٧٨.

(٣) النفسى: التفسير ج ١ ص ٤٢٠.

الفصل الأول

عليهم النفس بالنفس اجراء لكتبنا مجرى قلنا، ونصب الباكون (الكل)، ورفعوا «الجروح»^(١).

ويظهر من ذلك أن النسفى يتخذ لنفسه طريقة النحو فى بيان الدلالات القريبة فى التفسير، وهى طريقة العالم المدقق الورع الذى يربط بين المعنى وتشكيله النحوى واللفوى فى السياق.

فجملة الحال تكشف عن حال التوراة، وكيف أنها تشكل على حكم الله والعلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه توضح صلة توليهم بتحكيمهم النبى ﷺ فى سياق من التعجب المبشر، إذ كيف يترتب هذا على هذا؟ وجملة ﴿يحكم بها البنيون الذين أسلموا﴾ صفة أجريت للبنيين على سبيل المدح^(٢).

واللام فى جملة «للذين هادوا» تتعلق بيحكم، والربانيون والأجبار معطوفان على «البنيون» وهى فاعل (يحكم).

﴿ بما استحفظوا ﴾ يجوز أن يكون بدلا من «بها» فى يحكم بها^(٣).

ولا يكتفى النسفى بذلك، وإنما يقف عند الآية الأخيرة فى هذه الفقرة، فيذكر قراءة «نافع وعاصم وحزمة» فى المعطوفات كلها «أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن...» وهى منصوبة عند هؤلاء للعطف على اسم أن، ورفعها غيرهم للعطف على محل «أن النفس» لأن المعنى: وكتبنا عليهم النفس بالنفس على الرفع، لتزليل «كتبنا» منزلة: قلنا^(٤).

فالرجل متمكن من اللغة والنحو لا شك فى ذلك فهو يدير معانيه التى يأخذها من مباشرة الآيات فى إطار صحيح مدروس موثق من اللغة والنحو.

(١) نصب الكل، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بنصب الكل ورفع «الجروح»، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بنصب الكل ورفع «الجروح»، فى السبعة لابن مجاهد، تحقيق: شوقى صنيف، دار المعارف، الثانية، ١٩٨٠، ص ٢٤٤، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكى بن أبى طالب القيسى، تحقيق: محيى الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الرابعة، ١٩٨٧، ج ١ ص ٤٠٩.

(٢) النسفى: التفسير ج ١ ص ٤١٠.

(٣) إعراب القرآن المنسوب للزجاج - تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتب الإسلامية بيروت، الأولى ١٩٨٨ ج ١/١٩٥.

(٤) النسفى: التفسير ج ١/٤١١.

واليك مثالا آخر برع فيه الإمام النسفى: فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
* لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَآرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ
فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا
وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ
إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى
اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

يقول: إن الذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون، دل عليه قوله: ﴿لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ
فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٢).

✗ ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ قال سيبويه وجميع البصريين: ارتفع الصائبون
بلا ابتداء، وخبره محذوف، والنية به التأخير عما فى حيز (إن) من اسمها وخبرها (٣)، كأنه قيل:

إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف

✗ عليهم ولا هم يحزنون)، والصائبون كذلك أى: من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم، فقدم
وحذف الخبر كقول الشاعر: (الطويل)

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلَهُ . . . فَبَنِي وَقِيَّارٍ بِهَا لَفَرِيبٌ (٤)

(١) المائدة: الآيات من: ٦٩: ٧٢

(٢) المائدة: ٤١.

(٣) نظرية النحو القرآنى لأحمد مكى الإنصارى، القبلة للثقافة الإسلامية - مكة ١٤٠٥ هـ، ص ٨٥ وما بعدها.

(٤) لصنابلى بن الحارث البرجمى (قيار) اسم رجل، وزعم الخليل أنه اسم فرس، حاشية الصبان على شرح

الأشمونى، دار إحياء الكتب العربية، الأولى ١٩٥٥، ج ١، ص ٢٨٦، وهو من شواهد سيبويه فى الكتاب، تحقيق:

عبد السلام هارون، الخانجى، الثانية، ١٩٩٢، ج ١ ص ٧٥.

أى فإنى لغريب، وقيار كذلك، ودل اللام على أنه خبر إن، ولا يرتفع بالعطف على محل إن واسمها؛ لأن هذا لا يصح قبل الفراغ من الخبر، لا تقول: إن زيدا وعمرو منطلقان، وإنما يجوز: إن زيدا منطلق وعمرو والصائبون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: إن الذين آمنوا إلى آخره، ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها، وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابين وهم آيين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدهم غياً يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان، فما الظن بغيرهم، ومحل (من آمن) الرفع على الابتداء، وخبره فلا خوف عليهم، والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط^(١).

ثم الجملة كما هي خبر إن، والراجع إلى اسم إن محذوف، تقديره (من آمن منهم)، ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ بالترجيد «وأرسلنا إليهم رسلاً، ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم»، ﴿كلما جاءهم رسول﴾ جملة شرطية وقعت صفة لـ (رسلاً)، والراجع محذوف أى رسول منهم «بما لا تهوى أنفسهم» بما يخالف هواهم، ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع، وجواب الشرط محذوف دل عليه «فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون» كأنه قيل: كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه.

وقوله: (فريقاً كذبوا) جواب مستأنف لقائل كأنه يقول: كيف فعلوا برسلمهم. وقال: (يقتلون) بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل، وتبنيها على أن القتل من شأنهم. وانتصب (فريقاً) و(فريقاً) على أنه مفعول (كذبوا) و(يقتلون). ﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾، ﴿ألا تكون﴾ بالرفع - عند حمزة وأبى عمرو على أن (أن) مخففة من الثقيلة أصله: أنه لا تكون، فخففت (أن)، وحذف ضمير الشأن، ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم، فلذا دخل فعل الحسابان على أن التى هى للتحقيق، «فتنة» بلاء وعذاب، أى وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل^(٢).

(١) السفي: التفسير جـ ١/٤٢١. وللمزيد: إملاء ما من به الرحمن في إعراب القرآن للعكبرى، سابق، جـ ١/٢٢٢،
(٢) السفي: جـ ١/٤٢٤، والحجة في القراءات لأبى زرعة، تحقيق: سعيد الأفغانى، دمشق، الأولى ١٩٥٧، ص ٢٣٣.

وسد ما يشتمل عليه صلة (أن) من المسند والمسند إليه مسد مفعولى (حسب). «فعموا وصموا»، فلم يعملوا بما رأوا، ولا بما سمعوا، أو فهموا عن الرشد وصموا عن الوعظ.

«ثم تاب الله عليهم» رزقهم بالتوبة/ «ثم عموا وصموا كثير منهم» هو بدل من الضمير أى الواو، وهو بدل البعض من الكل، أو هو خبر مبتدأ محذوف أى أولئك كثير منهم/ «والله بصير بما يعملون» فيجازيهم بحسب أعمالهم^(١).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم فى أنه عبد مروب لىكون حجة على النصارى (إنه من يشرك بالله) فى عبادته غير إله/ «فقد حرم الله عليه الجنة» التى هى دار الموحدين، أى حرمه دخولها ومنعه منه «ومأواه النار» أى مرجعه «وما للظالمين» أى الكافرين من أنصاره وما من إله إلا إله واحد، من للاستغراق أى وما إله قط فى الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية، لا ثانى له، وهو الله وحده لا شريك له^(٢).

﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم﴾ من للبيان وهى مثل التى فى قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٣).

ولم يقل: ليمسنهم، لأن فى إقامة الظاهر مقام الضمير تكريرا للشهادة عليهم بالكفر، أو للتبعيض، أى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم، لأن كثيرا منهم تابوا عن النصرانية/ «عذاب أليم» نوع شديد الألم من العذاب.

﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه﴾ ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه، وفيه تعجيب من إصرارهم، «والله غفور رحيم» يغفر لهؤلاء إن تابوا، ولغيرهم.

فيلاحظ أن النسفى من خلال هذا التفسير نحوى متمكن من الوقوف على مدارس النحو المتعددة مشبعا بآراء النحويين الكبار. فسيبويه، وجميع ابصريين يرفعون «الصائون» بالابتداء، واخبر محذوف والنية به التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها، فهى تجيء فى آخر الجملة: (والصائون كذلك)^(٤).

(١) النسفى: التفسير ج١/ ٤٢٥.

(٢) نفسه: ٤٢٦/١.

(٣) الحج آية ٣٠.

(٣) إملاء ما من به الرحمن للعكرى، سابق ج١/ ٢٢٢.

(٤) النسفى ج١ ص ٤٢٦.

ويستدل على ذلك بما استدل به علماء البصرة من شواهد مثل (طويل)
فمن يك أمسي بالمدينة رحله . . . فإني وقيار بها لغريب
أى إني لغريب، وقيار كذلك:

وللنحويين طرق شتى فى حذف المبتدأ والخبر، فيتمثلون بقول عمرو بن أمية القيس
الأنصاري، أو قول قيس بن الخطيم أحد فحول الشعراء فى الجاهلية (منسرح)
نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا . . . عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ^(١)
التقدير: نحن بما عندنا راضون.

يقولون: وقد يحذف المبتدأ: مثل أن يقال: كيف زيد ؟ فتقول: صحيح، أى هو صحيح،
وإن شئت صرحت بكل واحد منهما: فتقول: زيد عندنا، وهو صحيح، ومثله قوله تعالى:
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾^(٢)، أى من عمل صالحا فعمله لنفسه، ومن أساء
فإساءته عليها^(٣).

قيل: وقد يحذف الجزءان - المبتدأ والخبر - للدلالة عليهما كقوله تعالى: ﴿ وَاللَّائِي يَمْسَنَ
مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبَعْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾^(٤) أى فعدتهن ثلاثة
أشهر، فحذف المبتدأ والخبر، وهو «فعدتهن ثلاثة أشهر» لدلالة ما قبله عليه، وإنما حذفنا
لوقوعهما موقع مفرد، والظاهر أن المحذوف مفرد والتقدير: «واللائى لم يحضن كذلك...»
يقول النسفى: واللام فى خبر إن دلالة على أن كلمة (غريب) خبر ولا يصح أن يكون
مرفوعا بالعطف على محل إن واسمها بإعتبار أنها جملة ابتدائية، لأن ذلك لا يصح قبل الفراغ من
الخبر إذ هو متمم للجملة^(٥).

(١) نسبه له سيبويه فى الكتاب سابق، ج١ ص ٧٥، نسبه ابن الأنبارى لدرهم بن زيد فى الإنصاف فى مسائل
الخلافة، تحقيق: محمد محبى الدين، المكتبة العصرية، الأولى د.ت، ج١ ص ٩٥، ونسبه البغدادي لعمرو بن
أمروء القيس فى خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، الخانجى، الثالثة، ١٩٨٩، ج٤
ص ٢٧٥، وهو الصواب، وهو بلانسية فى المقتضب للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية، الأولى، ١٩٧٣، ج٣ ص ١١٢، وأمالى ابن الشجرى، طبع دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد
الهند، الأولى، ١٩٤٩، ج١ ص ٤٩.

(٢) فصلت: ٤٦.

(٣) النسفى: التفسير ج١ ص ٤٢٨.

(٤) الطلاق: ٤.

(٥) النسفى: نفسه ج١/٤٢٨.

هذا كلام فى صميم النحو، لا يصدر إلا عن رجل نحوى متمرس بأساليب النحاة، ورضع من لبنائها، وتعلق بها تعلقاً شديداً، ومن منطلق أنها أداة ضرورية لابد أن يتمسك بها مفسر القرآن.

وقد عده الإمام الزركشى فى البرهان فى النوع العشرون من علوم القرآن فقال: «النوع العشرون: معرفة الأحكام من جهة إفرادها وتركيبها ويؤخذ من علم النحو... فالإعراب يبين المعنى وهو الذى يميز المعانى ويوقف على أغراض المتكلمين»^(١).

وفى موضع آخر يقول: «ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذى سيق له، وإن خالف الوضع اللغوى لثبوت التجوز»^(٢).

ويؤكد ذلك الإمام السيوطى فيقول: «وعلى الناظر فى كتاب الله تعالى الكاشف عن أسرارها، النظر فى الكلمة وصيغتها ومحلها، ككونها مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً وعليه مراعاة عدة أحوال منها:

- ١ - أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفرداً أو مركباً قبل الإعراب، فالإعراب فرع المعنى.
- ٢ - أن يراعى ما تقتضيه الصناعة فربما راعى المَعْرَب وجهاً صحيحاً ولا ينظر فى صحته فى الصناعة فيخطئ.
- ٣ - أن يكون ملماً بالعربية لئلا يُخَرَّج على ما لم يَثْبُت.
- ٤ - أن يتجنب الأمور البعيدة والأوجه الضعيفة واللغات الشاذة ويَخَرَّج على القريب والقوى والفصيح.
- ٥ - أن يستوفى جميع ما يحتمله اللفظ على الأوجه الظاهرة.
- ٦ - أن يراعى الشروط المختلفة بحسب الأبواب...»^(٣).

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربى، القاهرة، الأولى ١٩٥٥، ج١ ص ٣٠١.

(٢) نفسه: ج١ ص ٣١٧.

(٣) الإتيان فى علوم القرآن للسيوطى: تحقيق محمد أبو الفضل، دار التراث، القاهرة، ١٩٦٧، ج٢ ص ٢٦٠: ٢٦٥.

٧ - أن يراعى فى كل تركيب ما يشاكله فربما خرج كلاماً على شىء، ويشهد استعمال آخر فى نظيره ذلك.

٨ - أن يتأمل عند ورود المشتبهات.

٩ - ألا يُخَرَّج على خلاف الأصل ^(١).

ولذلك يقول النسفى فى قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّمْ يَسْتَهْوَ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

من للبيان: انظر: من فى الآية الأولى للاستغراق، وفى الثانية للبيان ومعنى ذلك أن النسفى

يفرق تفريقاً واضحاً بين معنى (من) الأولى ومعنى (من) الثانية، وذلك من خلال السياق الذى

تقع فيه كل منهما، والفرق واضح ودقيق، بين الاستغراق فى الأولى، والبيان فى الثانية ولم يكتف

النسفى بهذا التوضيح، وإنما زاد الأمر وضوحاً فى التفريق بين الاستغراق والبيان، فقال: ^(٢)والتى

للبيان مثل التى فى قوله تعالى: ﴿فَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.

وانتصاب «فريقاً» وفريقاً على أنه مفعول به لكذبوا، ويقتلون وانظر معرفته الوثيقة بالعلاقة

والصلة بين (أن) التى هى للتوكيد والنصب، و(أن) التى هى مخففة من الثقيلة، فى تفسير قوله

تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئَةً﴾.

فمن قرأ بالرفع عند النحاة على (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف

والتقدير (أنه) وهذه ثنائية لفظاً ثلاثية وصفاً أما المصدرية ثنائية لفظاً ومعنى وباتفاق العلماء إنَّ

(أن) المصدرية سبقت بعلم بطل عملها ووجب رفع المضارع بعدها على أنها مخففة من الثقيلة

واسمها ضمير شأن محذوف، وإن سبقت بظن جاز النصب على جعل أن من نواصب المضارع

والرفع على جعل أن مخففة من الثقيلة ومثلها قوله تعالى: ﴿لَمَن أَرَادَ أَن يَتِمَّ﴾ ^(٣).

(١) الإتيان: السابق، ج٢/٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) البقرة: ٢٣٣، شرح ابن عقيل، سابق، ج٤ ص ٤.

والى ذلك أشار ابن مالك:

وبلن انصبه وكى، وكذا بان . . . لا بعد علم والتي من بعد ظن
فانصب بها والرفع صحح واعتقد . . . تخفيفها من (أن) فهو مطرد^(١)

«ثم عموا وصموا كثيرا منهم»

قال النحاة: يُبدل الاسم الظاهر بدل بعض من كل من الضمير، بشرط أن يكون دالا

على الاحاطة والشمول فهنا أبدل الاسم الظاهر وهو (كثير منهم) من الواو كقولك

اعجنى وجهك، وقول الشاعر: (رجز)

أوعدني بالسجن والأدهم . . . رجلى فرجلى شنة المناسم^(٢)

(أوعدني.... رجلى) بدل بعض من الياء فى أوعدنى وهو إبدال الظاهر من ضمير الحاضر

وفى تفسير قوله عز وجل: ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ .

يقول: (من) للاستغراق، أى وما إله قط فى الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية، لا ثانى

له، وهو الله وحده، لا شريك له. ﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب

آليم﴾^(٣)

من للبيان: : فى الآية الأولى يحدد أنها للاستغراق، وفى الثانية للبيان، ومعنى ذلك أن

النسفى يفرق تفريقا واضحا بين معنى (من) الأولى ومعنى (من) الثانية، وذلك من خلال السياق

الذى تقع فيه كل منهما.

(١) متن الألفية لابن مالك، مكتبة أهل السنة بالقاهرة، الأولى، ١٩٩٨، ص ٢٤.

(٢) البيت للعديل ابن فرخ فى إصلاح المنطق، لابن السكيت ٢٥٣ وابن يعيش شرح المفضل، مكتبة المتنبى،

القاهرة، د.ت ٧٠/٣، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى، تحقيق عبد السلام هاون، سابق، ج ٥ ص

١٩٠، وأدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق: على فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت ص ٢٣٢، والاقتضاب لابن

السيد تحقيق مصطفى السقا، الهيئة العامة لكتاب ١٩٨٣، ج ٣/٢١٥، وحاشية الصبان شرح الأشموني وشواهد

العنى ج ٣ ص ١٢٩.

(٢) المائدة آية ٧٣.

وهكذا فإن النسفى يتجنب الأمور البعيدة ويستوفى جميع ما يحتمله اللفظ على الأوجه الظاهرة ويخرج على القريب والقوى والفصيح، ويراعى فى كل تركيب ما يشاكله من نظائره حتى لا تتعارض شروط كل باب.

ويفرق بين الضمير والظاهر فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهِوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فالمفعول ظاهر هو الاسم الموصول، ولم يقل: ليمسهم؛ ليجيء المفعول ضميرا، لأن فى إقامة الظاهر مقام الضمير تكريرا للشهادة عليهم بالكفر. وقد تكون (من) للتبعض، أى ليمس الذين بقوا على الكفر منه، لأن كثيرا منهم تابوا عن النصرانية^(١).

وأنت لا تجد هذا التشبع النحوى فى آية دون آية، أو فى سياق دون سياق، وإنما تجده شاعرا على مستوى القرآن كله، ومن ثم توقن بأن النحو من أهم الأسلحة التى سلع بها هذا المفسر نفسه فى وقوفه بين يدي الآيات والصور القرآنية.

ولم يقف النسفى عند اللغة والنحو، يبين هينات الصيغ، وحالات الاشتقاق ويقتصر على الإعراب، وبيان موقع الجملة من الجملة، والحال من صاحبها والكشف عن مضمون الحرف من التبعض والبيان والتعليل، وإنما كان ينتقل أحيانا من المعانى اللغوية والنحوية والاشتقاقية إلى المعانى البلاغية متأثرا بالإمام الزمخشري فى تفسيره المشهور الذى فسر فيه المعانى البلاغية وهو (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل)، التى وقف عندها إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني فى نظرية النظم، وهو ما سوف نقف عنده فى فصل خاص يكشف عن العلاقة التأثيرية بين النسفى من جهة وكل من سبقه كالإمام الزمخشري والإمام البيضاوى، ولاحقه من جهة ثانية^(٢)، والأمر المؤكد فى هذه المناسبة أن الإمام النسفى يعد النحو واللغة قاعدته العريضة التى ينطلق من خلالها فى تفسيره للقرآن، ثم تجيء البلاغة عرضا دون أن يطب

(١) توضيح المقاصد والمسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، الأولى.

١٩٨٨، ج ٣/ ١٩٥.

(٢) وهو الفصل الخامس من هذه الدراسة.

فى ذكر خصائصها، كما يطنب فى الخصائص النحوية، ولا بد من وقفة مع الأمثلة والنماذج القرآنية التى تؤكد ما قلناه:

قال تعالى فى سورة المائدة:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرَهَبَانٌ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝﴾^(١)

يقول الإمام النسفى فى تفسير هذه الآيات:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ هو مفعول ثان لتجدن، و«عداوة» تمييز /
 ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ عطف عليهم /
 ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ اللام تتعلق بعداوة ومودة /
 وصف اليهود بشدة الشكيمة، والنصارى بلين العريكة، وجعل اليهود قرناء المشركين فى
 شدة العداوة للمؤمنين، ونبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين.
 (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) أى علماء وعبادا^(٢).

﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

علل سهولة مأخذ النصارى، وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا، وأن فيهم تواضعا واستكانة، واليهود على خلاف ذلك^(٣).

(١) المائدة الآيات ٨٢ : ٨٧.

(٢) إعراب القرآن للحاس: تحقيق زهير غازى، عالم الكتب والنهضة المصرية، بيروت الثالثة، ١٩٨٨، ج٢ / ص ٣٧.

(٣) تفسير النسفى: ج١ / ٤٢٧.

وفيه دليل على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير، وأدله على الفوز وإن كان علم القسيسين، وكذا علم الآخرة، وإن كان في راهب، وكذلك غم الآخرة، والتحدث بالعاقبة، إن كان في راهب، والبراءة من الكبر إن كانت في نصراني^(١).

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ وصفهم بركة القلوب، وأنهم يكون عند استماع القرآن، كما روى عن النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب، حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون، وهم يقرأونه عليهم: هل في كتابكم ذكر مريم؟ قال جعفر: فيه سورة تنسب إلى مريم، فقرأها إلى قوله ﴿هل أتاك حديث موسى﴾^(٢)، فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وهم سبعون رجلاً حين قرأ عليهم سورة «يس» فبكوا.

X (تفيض من الدمع) تمتلئ من الدمع حتى تفيض، لأن الفيض أن يمتلئ من الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء، فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من أجل البكاء. (ومن) في مما عرفوا لابتداء الغاية، على أن فيض الدمع ابتداء ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله.

﴿ومن﴾ في من الحق لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا، أو للتبويض، على أنهم عرفوا بعض الحق، فأبكاهم، فكيف إذا عرفوه كله، وقرأوا القرآن وأحاطوا بالسنة ﴿يقولون﴾ حال من ضمير الفاعل في عرفوا^(٣).

﴿ربنا آمنا﴾ بمحمد ﷺ، والمراد إنشاء الإيمان والدخول فيه.

﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ مع أمة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة، وقالوا ذلك، لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك^(٤).

(١) الكشف سابق، ج ٢ ص ٢٨٠، ٢٨.

(٢) النسفي: مدارك التنزيل ج ١ / ٤٢٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، سابق ج ٣ / ٢٣٤٨ وما بعدها.

(٤) إعراب القرآن: تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتب الإسلامية - بيروت، الأولى ١٩٨٢ ج ٢ / ٢٢٣.

﴿وما لنا لا نؤمن بالله﴾ إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان، مع قيام موجه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين.

﴿وما لنا﴾ مبتدأ وخبر.

﴿ولا نؤمن﴾ حال، أى غير مؤمنين، كقولك: مالك قائما.

﴿وما جاءنا﴾ وبما جاءنا.

﴿من الحق﴾ يعنى محمد عليه السلام والقرآن.

﴿ونطمع﴾ حال من ضمير الفاعل فى نؤمن، والتقدير: ونحن نطمع.

﴿أن يدخلنا ربنا﴾ الجنة ﴿مع القوم الصالحين﴾ الأنبياء والمؤمنين.

﴿فأثابهم الله بما قالوا﴾، أى بقولهم: ربنا آمنا، وتصديقهم لذلك.

﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها وذلك جزاء المحسنين﴾.

وفيه دليل على أن الإقرار داخل فى الإيمان، كما هو مذهب الفقهاء.

وتعلقت الكرامة فى أن الإيمان مجرد القول بقوله: بما قالوا: لكن الثناء بفيض الدمع فى السياق، وبالإحسان يدفع ذلك، وكيف يكون مجرد القول إيماناً وقد قال الله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾^(١)

نفى الإيمان عنهم مع قولهم: آمنا بالله، لعدم التصديق بالقلب وقال أهل المعرفة: الموجود منهم ثلاثة أشياء: البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء، والرضا بالقضاء، فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق فى دعواه.^(٢)

﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾.

هذا أثر الرد فى حق الأعداد، والأول أثر القبول للأولياء، ونزل فى جماعة من الصحابة

رضى الله عنهم^(٣).

(١) البقرة: آية ٨.

(٢) أهل المعرفة من الصحابة رضوان الله عليهم مثل سيدنا عمر وعبد الله بن عباس وسيدنا عبد الله بن عمر.

(٣) النسفى: مدارك التنزيل ج ١ ص ٤٣٠، وأسباب النزول للنيسابورى، سابق، ص ١٥٣، والكرامية هم أصحاب أبى عبد الله محمد بن كرام السجستاني المتوفى ٢٥٥ هـ، وكان من المرحلة، وهم عدة فرق أهمها: الحقائقية والطرائقية، والإسحاقية، والعبادية، ولكل فرقة رأى إلا أنه جرى العمل على اعتبارهم فرقة واحدة، ينظر فى ذلك الفرق بين الفرق للأسفرايينى التميمى، ت ٤٢٩، تحقيق محمد محبى الدين، المكتبة المصرية، الأولى ١٩٩٠ ص ٢١٥، والمثل والنحل للشهرستاني - تقديم وإعداد عبد اللطيف العبد، الأنجلو المصرية، الأولى ١٩٧٧ ص ١٣٥.

حلفوا أن يترهبوا، ويلبسوا المسوح، ويقوموا الليل، ويصوموا النهار، ويسبحوا في الأرض،
ويجبوا مذاكيرهم، ولا يأكلوا اللحم والودك، ولا يقربوا النساء والطيب فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(١).

فما لذ وطاب من الحلال، ومعنى لا تحرموا: لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا:
حرمانها على أنفسنا، مبالغة منكم في العزم على تركها ترهدا منكم وتقشفا.
روى أن رسول الله ﷺ كان يأكل الدجاج والفالوذ، وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال:
«إن المؤمن حلو يحب الحلوة»^(٢).

وعن الحسن أنه دعى إلى طعام ومعه فرقد السبخى وأصحابه فقعدوا على المائدة، وعليها
الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك، فاعتزل فرقد ناحية،
فسأل الحسن: أهو صائم؟ فقالوا: لا، فأقبل الحسن عليه.
وقال: يا فرقد أترى لعاب النحل، بلباب البر، بخالص السمن، يعيه مسلم؟
وعنه أنه قيل لـ: فلان لا يأكل الفالوذ، ويقول:
لا أودى شكره، فقال: أفيشرب الماء البارد؟ قالوا: نعم، قال: إنه جاهل.
إن نعمة الله في الماء البارد أكبر من نعمته عيه في الفالوذ^(٣).

﴿ولا تعدوا﴾ ولا تجاوزوا الحد الذي حدَّ عليكم في تحليل أو تحريم، أو ولا تعدوا حدود ما
أحل لكم إلى ما حرّم عليكم، أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات.

﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ حدوده.

من خلال هذا النموذج القرآني نجد النفسى نحويًا بلاغيًا مؤرخًا في تفسيره أى أنه يتخذ
أدوات له في التفسير اللغة والنحو البلاغة والتاريخ وعلم أسباب النزول وعلم الاشتقاق وغيرها،
وكلها علوم لازمة لمن يتعرض لشرح الآيات القرآنية وتأويلها.

(١) المائدة آية ٨٧.

(٢) ضعيف كما قال الصغاني، قاله المعجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة

الناس - تصحيح أحمد القلاص، نشر دار الفرائد القاهرة - الأولى - د. ٢٠٠٦ ص ٣٨٦.

(٣) الفالوذ: الحلواء ويضع من لب الحنطة (لسان العرب) لابن منظور (فلذ)، فارسي معرب. وكذلك المعرب للجواليقي

ت ٥٤٠هـ، تحقيق: أحمد محمود شاكر، دار الكتب المصرية، الأولى ١٩٦١، ص ٢٤٦.

ومعنى ذلك أن المفسر لابد له من إتقان اللغة العربية بفروعها، وما يتصل بها مما يتطلبه السياق القرآنى من معرفة الأخبار والقصص وأسباب النزول والمكى والمدنى والدراية بالحديث . وهكذا ترى هذا العالم من خلال هذا النموذج يطوف ما شاء له التطواف فى حقول اللغة والنحو والبلاغة والسيرة وأسباب النزول والفقه والحديث وأخبار الصالحين وكلها أدوات ضرورية يسلك بها المفسر نفسه، حتى يتمكن من النظر فى كتاب الله عن علم ودراية ونظر ومعرفة .

واليك هذا المثال الأخير، حيث جاء فى تفسيره لقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ السَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١)

جاء فى تفسيرها : ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾

من قرأ بالتاء قدر مضافاً محذوفاً، أى ولا تحسبن بخل البخلين، هو فضل، وخيرا لهم مفعول ثانٍ / وكذا من قرأ بالياء، وجعل فاعل (يحسبن) رسول الله أو ضمير أحد، ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير، ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خير لهم. وهو فضل، وخيرا لهم مفعول ثانٍ. ﴿بل هو﴾ أى البخل ﴿شر لهم﴾؛ لأن أموالهم ستزول عنهم، ويبقى عليهم وبال البخل، ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ تفسير لقولهم: بل هو شر لهم، أى سيجعل مالهم الذى منعه عن الحق طوقاً فى أعناقهم، كما جاء فى الحديث: (من منع زكاة ماله يصير حية ذكراً أقرع له نابان، فيطوق فى عنقه فينهشه، ويدفعه إلى النار) (٢)، (ولله ميراث السموات والأرض) وله ما فيهما مما يتوارثه أهلها من مال وغيره، فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيل الله (٣).

(١) آل عمران: الآيات من ١٨٠ : ١٨٣ .

(٢) فى الجامع الكبير للطبرانى، تحقيق حمذى السلفى، طبع وزارة الأوقاف العراقية، الثانية، ١٩٨٥، جـ ٩/ ٢٣٠ (يطوقه شجاعاً أقرع بفيه زبيبتان ينقر رأسه ويدنشه لهزمته، وقريب منه فى المعنى مع اختلاف يسير فى اللفظ، فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، دار الفد العبرى، الأولى، ١٩٨٨، جـ ٤/ ٥٦، والترمذى جـ ٥، ٢٣٢ وغيرها.

(٣) السلفى: جـ ١/ ٢٩٢، وقرأها بالتاء حمزة كما فى السبعة لابن مجاهد، سابق ص ٢٢٠ .

والأصل في (ميراث) موراثة: فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ﴿والله بما تعملون خبير﴾
وبالياء مكى وأبو عمرو، فالتاء على طريقة الالتفات، وهو أبلغ في الوعيد، والياء على الظاهر.
﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾

قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى: ﴿من الذي يقرض الله قرضا حسنا﴾ وقالوا: إن
إله محمد يستقرض منا، فنحن إذن أغنياء وهو فقير ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه، وأنه
أعد له كفاء من العقاب.

﴿سنكتب ما قالوا﴾ سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوا في الصحائف، أو سنحفظه. إذ الكتاب
من الخلق، ليحفظ ما فيه، فسمى به مجازا، وما مصدرية أو بمعنى الذى .
﴿وقتلهم الأنبياء بغير حق﴾ معطوف على ما.

جعل قتلهم الأنبياء قرينة له، إيذانا بأنهما فى العظم إخوان، وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد
منه الاجترار على مثل هذا القول.

(ونقول) لهم يوم القيامة ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ أى عذاب النار كما أذقتم المسلمين
الغصص. قال الضحاك: يقول لهم ذلك خزنة جهنم، وإنما أضيف إلى الله تعالى لأنه بأمره.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم من عقابهم ﴿بما قدمت أيديكم﴾ أى ذلك العذاب بما
قدمتم من الكفر والمعاصي، والإضافة إلى اليد لأن أكثر الأعمال يكون بالأيدي فجعل كل عمل
كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب، ولأنه يقال للأمر بالشئ فاعله، فذكر الأيدي للتحقيق
يعنى أنه فعل نفسه، لا غيره بأمره.

﴿وإن الله ليس بظلام للعبيد﴾ وبأن الله لا يظلم عباده؛ فلا يعاقبهم بغير جزم. ﴿الذين
قالوا﴾ فى موضع جر على البدل من الذين قالوا، أو نصب بإضمار أعنى أو رفع بإضمارهم.

﴿إن الله عهد إلينا﴾ أمرنا فى التوراة، وأوصانا ﴿ألا نؤمن﴾ ألا نؤمن^(١).

﴿لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ أى يقرب قربانا، فتتزل نار من السماء فتأكله،

(١) السفي: التفسير، ج١/٢٩٣ - ٢٩٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢ ص ١٦٢٨، وما بعدها.

فإن جئنا به صدقناك وهذه دعوى باطلة، وافتراء على الله، لأن أكل النار القربان سبب الإيمان للرسول الآتى به، لكونه معجزة، فهو إذا وسائر المعجزات سواء. ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات سوى القربان ﴿وبالذي قلتم﴾ أى بالقربان، يعنى قد جاء أسلافكم الذين أنتم على ملتهم^(١).

﴿فلم تلتزموهم﴾ أى إن كان امتناعكم عن الإيمان قولكم إنما نؤخر الإيمان لهذا. فى هذا النص القرآنى من سورة آل عمران نجد النفسى متمكنا من أدواته، لا يحيد عنها فى تفسيره، يستخدمها أداة بعد أداة وينتقل من أداة لأخرى، فهو يقف فى الآية الأولى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وقفة عالم بالقراءات، فيقول: من قرأ بالتاء (أى ولا تحسبن) قدر مضافا محذوفا، ومعناه ولا تحسبن بخل الباخلين، وخيرا لهم مفعول ثان. وكذا من قرأ بالياء أى (ولا يحسبن) وجعل فعل يحسبن ضمير رسول الله ﷺ، أو ضمير أحد، ومن جعل فاعله الذين يخلون كان التقدير، ولا يحسبن الذين يخلون بخلهم هو خيرا لهم وهو فضل، وخيرا لهم مفعول ثان.

والنفسى عالم القراءات^(٢) لا ينفصل عن النفسى عالم النحو، فالأدوات متشابهة، تعد من خصيصات الرجل، فهو ينتقل من القراءة إلى النحو من النحو إلى البلاغة أو إلى الصرف أو إلى السيرة، أو إلى الحديث حسبما يتطلب السياق القرآنى فى التفسير، والسياق القرآنى هو الذى يقود هذا العالم إلى ما يتطلبه المقام من علوم اللغة العربية. ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقول النفسى: هو تفسير لقوله عز وجل: بل هو شر لهم، وهو هنا يقصد إلى البيان بعد الإبهام وتلك خصيصة بلاغية، ويؤكد هذا البيان فى الطوق بحديث رسول الله ﷺ (من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا أقرع له نابان، فيطوق فى عنقه، فينهشه، ويدفعه إلى النار)^(٣).

﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ يقول: الأصل فى ميراث موراثة قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، الرجل هنا صرفى.

(١) تفسير بالنفسى ج ١ ص ٤٣٠.

(٢) لذلك جاء الفصل الرابع من هذه الدراسة بعنوان: النفسى عالم القراءات.

(٣) سبق تخريجه ص ٥٨.

﴿والله ما تعملون خبير﴾

وبالياء مكى ﴿ما تعملون﴾ وأبو عمرو، فالتاء ﴿ما تعملون﴾.

على طريقة الالتفات، وهو أبلغ في الوعيد، والرجل هنا بلاغى، والياء على الظاهر.

والرجل هنا لغوى. ﴿سنكتب ما قالوا﴾ الكتاب من الخلق، ليحظ ما فيه، فسمى به مجازاً

وما مصدرية، أو بمعنى الذى.

فانظر كيف يلتقى النسفى البليغ بالنسفى النحوى فى تركيب من جملتين.

﴿وقتلهم الأنبياء بغير حق﴾ معطوف على ما.

﴿ونقول لهم ذوقوا عذاب الحريق﴾ قال الضحاك: يقول لهم ذلك خزنة جهنم، وإنما

أضيف إلى الله تعالى لأنه بأمره، وهنا مجاز عقلى، استفادة بالرواية من منطلق: قال الضحاك.

﴿ما قدمت أيديكم﴾

الإضافة إلى اليد، لأن أكثر الأعمال يكون بالأيدي، فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على

سبيل التغليب، ولأنه يقال للأمر بالشئ فاعله، فذكر الأيدي للتحقيق.

﴿الذين قالوا﴾ فى موضع جر على البدل من الذين قالوا، أو نصب بإضمار أعنى أو رفع

بإضمارهم.

يتبين من هذا كله أن الإمام النسفى يستخدم أدوات يعدها ضرورية فى التفسير

لا يحيد عنها.

وهو من هذا المعتقد يرى أن كل أداة تكمل الأداة الأخرى وعلوم اللغة العربية يأخذ بعضها

بأيدي بعض، فلا يستغنى النحوى عن الصرف، ولا يستغنى كلاهما عن علم البيان ولا عن علم

القراءات.

وفى الفصول التالية سنفرد لكل أداة منها فصلاً خاصاً، فسيأتى الفصل الثانى فى الأداة

النحوية وموضوعه «النسفى النحوى»، ويأتى الفصل الثالث فى الأداة الصرفية وموضوعه:

«النسفى الصرفى»، ويأتى الفصل الرابع فى تسلح النسفى بعلم القراءات وهى أداة ضرورية

للمفسر.

الفصل الثاني
النسفي النحوي

تقديم :

يتناول هذا الفصل بعض الظواهر النحوية مثل ظاهرة المطابقة النحوية كقرينة لفظية تعين على الفهم والإدراك بين ركني الإسناد: المسند والمسند إليه في ثلاثة مباحث:

الأول : المطابقة في الجملة الأسمية.

الثاني : المطابقة في الجملة الفعلية.

الثالث : المطابقة في التوابع.

ويمكن القول إن ارتباط ظاهرة المطابقة النحوية ارتباطاً وثيقاً بركني الإسناد: المسند والمسند إليه، سواء أكان ذلك في الجملة الأسمية أم كان في الجملة الفعلية أم كان في التوابع، يرجع إلى كون المطابقة النحوية قرينة لفظية تمنع وقوع اللبس، وهذه القرينة متعددة العناصر، متنوعة الدلالة، فمشرح المطابقة يشمل التطابق في النوع (تذكير - تأنيث) والتطابق في التعيين (التعريف - التنكير)، والتطابق في العدد (الإفراد - التثنية - الجمع)، والإعراب (الرفع - النصب - الجر - الجزم)، وقد أثارت تلك العناصر عدة مناقشات بين النحاة كانت الأدلة المستعملة فيها أمثلة متناثرة، أو أبيات متقطعة مبتورة عن سياقها، أو أمثلة مصطنعة أفادت إلى حد كبير، لكن المطابقة النحوية لم تنل حظها من الدراسة المستقلة، ومن ثم ظل الباب أمام الدراسة التطبيقية على النصوص اللغوية لبيان مدى اتساق أحكام الظاهرة على النصوص موصداً، وقد اخترت التطبيق على تفسير النسفي، وكان لزاماً في بداية هذا الفصل التقديم بمفهوم الجملة العربية بنوعها، وكذلك الحديث بإيجاز عن أهم الأحكام النحوية التي تتعلق بعناصر الجملة الأسمية والفعلية ثم تأتي دراسة ظاهرة المطابقة في مباحثها الثلاثة المشار إليها.

الجملة :

الجملة في اللغة: هي الجماعة غير المنفصلة، وجماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره. يقال: أجملت له الحساب والكلام، وجاءت كلمة الجملة في القرآن الكريم في موضع واحد، بمعنى الجمع في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾^(١) والجمع: جمل^(٢).

(١) الفرقان: ٣٢

(٢) ابن منظور: لسان العرب - سابق، (جمل)، والزيدي: تاج العروس - دار الفكر (جمل).

الجملة في الاصطلاح: لم يتعرض قدماء النحاة لمصطلح الجملة، ويذكر بعض الباحثين أن سيويه لم يقدم تعريفاً مستقلاً للجملة، وعندما أراد أن يتحدث عن الجملة فكان يعبر عن ذلك بمصطلح الكلام^(١) مثل «هذا باب الاستقامة في الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن، ومحال / ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن كقولك: (أتيتك أمس)، وسأتيتك غداً... وأما المحال فإن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غداً، وسأتيتك أمس»^(٢) وكذلك استخدام الفراء مصطلح «الكلام» للدلالة على الجملة، في كتابه «معاني القرآن» فيقول: «... وقد وقع الفعل في أول الكلام...»^(٣).

وأول من استخدم مصطلح الجملة صراحة هو المبرد في سفره العظيم «المقتضب» إذ يقول: «... وإنما كان الفاعل رفعا؛ لأنه هو والفعل جملة يحسن عليهما السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت: «قام زيد» فهو بمنزلة قولك: «القائم زيد»»^(٤).

ويرى بعض النحاة أن مصطلح الكلام مرادف لمصطلح «جملة» منهم ابن جني، فيقول: «... أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو (زيد أخوك)، و(قام محمد) ... فكل لفظ مستقل بنفسه، وبنيت منه ثمرة معناه فهو كلام»^(٥)، وقد وافق في ذلك سيويه، وتبعهما ابن مالك والزمخشري^(٦).

وهناك اتجاه آخر مختلف تبناه فريق من النحاة المتأخرين كالرشي الاسترياذي وابن هشام يفرق بين «الكلام» و«الجملة»، من حيث العموم والخصوص يقول الرشي: «والفرق بين الكلام

(١) محمد زين العابدين: الجملة النحوية، مجلة الأزهر العدد ٣ السنة ٥٦ ديسمبر سنة ١٩٨٣، ص ٤٧٢، وفتحى عبد الفتاح، الجملة النحوية - مكتبة الفلاح، الكويت - الثانية ١٩٨٧ ص ١٩.
(٢) سيويه: الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون - الفانجي - سابق، ج ١ ص ٢٤، ٢٥.
(٣) الفراء: معاني القرآن - أحمد يوسف ومحمد علي النجار - دار الكتب، الأولى ١٩٥٥ ج ٢ ص ١٠.
(٤) المبرد: المقتضب - تحقيق محمد عبد الخالق عضية - سابق، ج ١ ص ٨.
(٥) ابن جني - الخصائص - محمد علي النجار - سابق ج ١ ص ١٨.
(٦) د. محمد إبراهيم عبادة: الجملة العربية - دراسة لغوية نحوية - منشأة المعارف - الاسكندرية، الأولى ١٩٨٣ م ص ٢٨.

والجملة أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، كالجمله التي هي خبر المبتدأ، وسائر ما ذكر من الجمل... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي، وكان مقصوداً لذاته فكل «كلام» «جملة» ولا ينعكس»^(١).

ويتفق معه ابن هشام في ذلك ويزيد الأمر وضوحاً في كتابه المغنى فيقول: «... الكلام هو القول المفيد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد، والمبتدأ وخبره كـ «زيد قام»، وما كان بمنزلة أحدهما.... وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين، كما توهمه كثير من الناس، وهو ظاهر قول صاحب المفصل»^(٢).

رأى المحدثين في الجملة

أخذ بعض المحدثين على القدماء من النحاة أنهم لم يهتموا بالجملة الاهتمام الذي كان ينبغي أن يكون، وإنهم لذلك «انحرفوا عن أوجه البحث النحوي الصحيحة، وذلك حين قصروا النحو على أواخر الكلمات، وعلى تعرف أحكامها فضيّقوا من حدوده الواسعة، وسلّكوا به طريقاً منحرفاً إلى غاية قاهرة وضيعوا كثيراً من أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارة»^(٣).

ويوافق بعض المحدثين رأى الاتجاه القائل بترادف مدلول «الكلام» والجملة كسيبويه وابن جنى وابن مالك والزمخشري، فالأستاذ عباس حسن يقول: «الكلام أو الجملة هو ما تركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد مستقل»^(٤).

أو يتابعون الاتجاه الآخر الذي يفرق بين مدلول الجملة وبين مدلول الكلام فبين الجملة والكلام عموم مطلق، فالجملة أعم من الكلام لصدقها بدونه، وعدم صدقه بدونها، فكل كلام

(١) الرضى الاسترياذى ٦٨٦هـ - شرح كافية ابن الحاجب - تحقيق يوسف حسن عمر - طبع جامعة بنغازى - الأولى سنة ١٩٧٣ ج ١ ص ٣٣.

(٢) ابن هشام الانصارى ت ٧٦١هـ - مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق محمد محيى الدين - مطبعة المدنى بالقاهرة، د ت ص ٣٧٤، والزمخشري ٥٣٨هـ - المفصل فى علم العربية - دار إحياء العلوم - الأولى سنة ١٩٩٠، ص ١٥، وللمزيد يراجع - شرح الأشمونى لألفية ابن مالك - دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٥٥ ج ١ ص ٢١.

(٣) إبراهيم مصطفى: إحياء النحو - القاهرة سنة ١٩٥٥ ص ١٢.

(٤) عباس حسن - النحو الوافى - دارالمعارف - القاهرة، الثامنة سنة ١٩٨٦ ج ١ ص ١٥٢.

جملة؛ لوجود التركيب الإسنادى ولا ينعكس، أى: ليس كل جملة كلاماً، إذ لابد فيه من الإفادة/ بخلافها ألا ترى أن جملة الشرط نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ﴾ من قوله تعالى ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَغَالِبٌ لَكُمْ﴾^(١) تسمى جملة لاشتمالها على المسند والمسند إليه، ولا تسمى كلاماً؛ لأنها لا تفيد معنى يحسن السكوت عليه^(٢).

أما فى الدراسات اللغوية الحديثة: «فالكلام هو معقد الفائدة، والجملة هى وحدة الكلام الصغرى، وكون الجملة هى الوحدة الكلامية التى تتمثل فيها خصائص اللغة، والبعد عن المنطق العقلى العام، والاهتمام بمنطق اللغة المرن، التابع من ألسنة المتكلمين وعاداتهم اللغوية التى لا تعرف الجمود والتحجر هى الأسس التى تحكم تناول المحدثين للجملة»^(٣).

وقد كان للدكتور إبراهيم أنيس رأيه الخاص فى نظام الجملة يرتبط بمفهومه لأقسام الكلام، فأقسام الكلام عنده ليست كما قرر النحاة: اسم، وفعل، وحرف فقال: «إن الجملة فى أقصر صورها أو أطولها تتركب من ألفاظ هى مواد البناء التى يلجأ إليها المتكلم، أو الكاتب أو الشاعر يترتب فيها، وينظم، ويستخرج لنا من هذا النظام كلاماً مفهوماً، نظمناً إليه، ولا نرى فيه خروجاً عما ألفناه فى تجاربنا السابقة»^(٤).

أما المعايير التى فى ضوئها يحدد أقسام الكلام فى رؤية خاصة مستقلة فيقول عنها: «ومن رأينا أنه يجب أن تتخذ فى تحديد أجزاء الكلام وتعريفه أسساً ثلاثة:

– المعنى – الصيغة – وظيفة اللفظ فى الكلام...

ولا يصح الاكتفاء بأساس واحد من هذه الأسس، ويقدم تقسيماً رباعياً للكلام فى ضوء هذه الأسس يتضمن الأقسام الآتية:

الاسم: ويشمل (الاسم العام – العلم – الصفة).

الضمير: ويشمل (الضمير – الإشارة – الموصول – العدد).

الفعل: وظيفته الأساسية فى الجملة إفادة الإسناد.

(١) آل عمران: ١٦.

(٢) سبق أنه هذا رأى قال به الرضى الأسترياذى وابن هشام الانصارى.

(٣) محمد حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية فى الجملة بين القديم والحديث – دار الفكر العربى – القاهرة – الأولى

سنة ١٩٨٣ ص ١٨، ٤٢.

(٤) دكتور إبراهيم أنيس – من أسرار اللغة – الأنجلو المصرية – القاهرة سنة ١٩٧٨، أساسة ص ٢٧٨ وما بعدها.

الأداة : وهو قسم عام يتناول ما بقى من ألفاظ اللغة ^(١).

أما الأساس فى تحديد نوع الجملة عنده فيتوقف على الترتيب بين المسند والمسند إليه /
وكون الأسلوب مثبتاً أم منفيّاً فى الجمل التى تعرف عند النحاة بالجمل الفعلية، ويرتبط بتعيين
المسند والمسند إليه من حيث التعريف والتكثير ^(٢).

ويتحفظ بعض المعاصرين على هذا التقسيم؛ لأنه محاولة قد نقلت الظروف من نطاق
الاسمية إلى حيز الأدوات مع بقية الحروف وهناك على حد تعبيره «فوارق أسلوبية لا سبيل إلى
تجاهلها بين الظروف وبقية الأدوات» ^(٣).

الجملة الاسمية فى تفسير النفسى

الجملة فى نظر النحاة ما تكون من ركنين أساسيين، وأفاد فائدة يحسن السكوت عيها،
وركنها الجملة الأساسيان هما: الفعل ومرفوعه، أو المبتدأ وخبره، فالجملة الاسمية: ما كان صدرها
اسماً صريحاً أو مؤولاً أو وصفاً رافعاً لمكتفى به، أو اسم فعل، والمعتبر ما هو صدر فى الأصل ^(٤).

والمبتدأ فى الجملة الاسمية هو كل اسم مرفوع فى أول الجملة غالباً، مجرد من العوامل
اللفظية الأصلية، محكوم عليه بالخبر، وقد يكون وصفاً مستغنياً بمرفوعه عن الإفادة وتام الجملة /
والخبر هو اللفظ الذى يكمل الجملة مع المبتدأ ويتم معناها الأساسى، فهو كالشئ المحكوم به /
إذا كان المبتدأ غير وصف، وحكمهما الرفع: إما ظاهراً أو مقدراً أو محلاً إذا كان الخبر جملة أو
نحوها ^(٥)، ويرى الكوفيون أنهما يترافعان، ويرى البصريون أن المبتدأ يرتفع بالابتداء، أما الخبر
فيرتفع بالمبتدأ أو بالابتداء أو بهما معاً ^(٦).

(١) د. إبراهيم أنيس - من أسرار اللغة - سابق، ص ٢٧٨ وما بعدها.

(٢) د. على أبو المكارم - مسائل نحوية - دار الثقافة العربية - القاهرة د.ت ص ٦٣، ٦٤.

(٣) ابن هشام الانصارى: مغنى اللبيب، سابق - ج ٢ ص ٣٧٢، والرضى الاسترناذى - شرح الكافية سابق - ج ١ ص ٨٥، والسيوطى: همع الهوامع شرح جمع الجوامع - عناية محمد النعسانى - الأولى سنة ١٣٧٢ هـ، ط الخانجى بالقاهرة ج ١ ص ١٣.

(٤) عباس حسن: النحو الوافى ج ١ ص ٤٤٢، ٤٤٣.

(٥) ابن الانبارى ت ٥٧٧ هـ - الانصاف فى مسائل الخلاف - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - التجارية الكبرى، الأولى سنة ١٩٥٤ ج ١ ص ١٤، وأسرار العربية - محمد بهجت البيطار - المجمع العلمى بدمشق مطبعة الترقى الأولى ١٩٥٧، ص ٦٧، ٦٨، والمعبرى: ت ٦١٦ هـ - اللباب فى علل البناء والإعراب - تحقيق غازى مختار وآخر - دار الفكر - دمشق، الأولى ١٩٩٥ ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٨ وغير ذلك.

ولا يكاد النسفى فى تفسيره يخرج فى الغالب عما اتفق عليه جمهور النحاة فيما أورده فى ثنائيا تناوله للنص القرآنى وقد تعرض الإمام النسفى لركنى الجملة الاسمية تعرض البصير بعناصرها، المحيط بشروطها، كمواضع الحذف الجائز والواجب فى عنصرها الأساسيين: المبتدأ والخبر.

وفى ما يلى استعراض لهذا التناول فى ضوء العناصر الأساسية للجملة الاسمية لدى جمهور النحاة، والشروط التى ذكروها فى كل ركن منها، وكيف استنبط النسفى النص القرآنى المعبر عن عنصرها النحوى فى دقة بالغة وكفاءة عالية.

أولاً: المبتدأ:

قسم النحاة المبتدأ إلى أنواع: منها الصريح، والمؤول، والمسبوق بعوامل لفظية غير أصلية/ ووصف له مرفوع يغنى عن الخبر^(١).

أ - الاسم الصريح: وهو ما لا يكون مصدراً مؤولاً أو جملة مؤولة بمشتق ومن ذلك: الاسم الظاهر - الضمائر - أسماء الإشارة - الاسم الموصول - أسماء الشرط والاستفهام، وهذا النوع أكثر الأنواع شيوعاً فى القرآن الكريم^(٢) وما تعرض له النسفى بالبيان من هذا النوع ما يلى:

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٣) و ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾^(٤) ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ﴾^(٥) ﴿ اَللّٰهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٦) ﴿ وَالَّذِينَ يَعْرِفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾^(٧)، ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٨)،

(١) ينظر: مجمع الهراع للسيوطى. سابق جـ ٢ ص ٤، وخالد الأزهرى - شرح التصريح على التوضيح - دار إحياء الكتب، الأولى سنة ١٣٢٠هـ، جـ ١/١٥٤، والصبان على بن محمد: حاشية الصبان على شرح الأشموني - دار إحياء الكتب، الأولى، ١٩٥٥ جـ ١/١٨٨، وسيبويه: الكتاب ١/٢٢ - ٢٤، ٢٨، وابن عصفور: المقرب - تحقيق عادل أحمد وآخر - دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ ص ١٢٢، وغيرها.

(٢) عبد الفتاح الحموز: المبتدأ والخبر فى القرآن الكريم - دار عمار - الأردن الأولى ١٩٨٦ ص ١١ وما بعدها.

(٣) الفاتحة: ١.

(٤) البقرة: ٢.

(٥) البقرة: ٨٥.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

(٧) البقرة: ٢٣٤.

(٨) آل عمران: ١٦٦.

﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾^(٢) ومثلها ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾^(٣)، و ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾^(٤).

فالمبتدأ في هذه الآيات جاء صريحاً كقوله «الحمد» و«ذلك» و«أنتم» و«الله» و«الذين» «ما». و«ماذا» وفي توضيح تلك المواضع في التفسير يقول النسفي: «الحمد» هو رفع بالابتداء، وأصله النصب، وقد قرئ لم بإضمار فعله على أنه من المصادر المنصوبة بأفعال مضمرة في معنى الإخبار نحو «شكراً» و«كفراً» والعدول من النصب إلى الرفع للدلالة على ثبوت المعنى واستقراره»^(٥).

ويؤيده ما ذكره الزجاج في الآية: «الحمد رفع بالابتداء لله إخبار عن الحمد، والاختيار في الكلام الرفع، أما القرآن فلا يقرأ فيه «الحمد» إلا بالرفع»^(٦)، ومثل ذلك الاسم الظاهر قوله: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٧)، وفي إعرابها يقول النسفي: «لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع بالضمّة، و(لا) مع اسمها وخبرها، وما أبدل من موضعه في موضع رفع خبر المبتدأ»^(٨)، ويؤيده ما قاله العكبري في الآية قال: «مبتدأ وخبر»^(٩).

وقال الزجاج: «... وهو محمول على موضع الابتداء، والمعنى ما إله للخلق إلا هو»^(١٠).
ومن الاسم الظاهر: الضمير، وهو شائع في النص القرآني ومن ذلك ما تعرض له النسفي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ﴾^(١١).

(١) التوبة: ٧.

(٢) الاعراف: ١٢.

(٣) طه: ٨٣.

(٤) المائدة: ٤.

(٥) النسفي ج ١ ص ٥.

(٦) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه - سابق، ج ١ ص ٤٥.

(٧) البقرة: ٢٥٥.

(٨) النسفي: التفسير ج ١ ص ١٨٦، ١٨٧.

(٩) العكبري: أملاء ما من به الرحمن في إعراب القرآن - سابق، ج ١ ص ١٠٦.

(١٠) الزجاج: معاني القرآن - السابق ج ١ ص ٣٣٦.

(١١) البقرة: ٨٥.

قال النسفي: «أنتم مبتدأ، وهو صريح، وإنه أعرف المعارف، وهؤلاء بمعنى الذين، صلة هؤلاء، وهؤلاء مع صلته خبر المبتدأ الذي هو أنتم»^(١).

وقد ذكر العكبري أن اعتبار «هؤلاء» «بمعنى الذين» ومع صلته خبر، وجه ضعيف لا يجيزه البصريون، وهو رأى الكوفيين ووافقهم الزجاج^(٢).

ومن الاسم الظاهر في المبتدأ: الاسم الموصول، ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾^(٣).

قال النسفي: «وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن، أى: يعتدون، أو يتربصن بعدهم/ فحذف (بعدهم) للعلم به، وإنما احتيج إلى تقديره؛ لأنه لا بد من عائد يرجع إلى المبتدأ في الجملة التي وقعت خبراً»^(٤).

وحكى العكبري في الآية أقوالاً للنحاة منها:

- أن «الذين» مبتدأ واخبر محذوف تقديره «فيما يتلى عليكم حكم الذين يتوفون منكم، وقوله فيترصد» بيان حكم المتلو، وهذا قول سيبويه.
- أن المبتدأ محذوف، واخبر يتربصن، وقام (الذين) مقام المبتدأ.
- أن «الذين» مبتدأ، يتربصن اخبر، والعائد محذوف تقديره «يتربصن بعدهم» وهو قول الكسائي، وهو اختيار النسفي كما مر.
- الرابع أن «الذين» مبتدأ، وتقدير اخبر أزواجهم يتربصن، فأزواجهم مبتدأ، يتربصن اخبر وحذف المبتدأ^(٥).
- وللغراء رأى آخر أنه ترك الإخبار عن «الذين»، وأخبر عن الزوجات المتصل ذكرهن بالذين^(٦).

(١) النسفي: التفسير ج ١ ص ٦٠.

(٢) العكبري: إملاء ما من به الرحمن - ٤٨/١، والزجاج - معاني القرآن وإعرابه - سابق ج ١ ص ١٦٧.

(٣) البقرة: ٢٣٤.

(٤) النسفي: التفسير ١/١٣٩.

(٥) العكبري: إملاء ما من به الرحمن ١/٩٨.

(٦) الغراء: معاني القرآن - سابق ج ١ ص ١٥٠.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره النسفى فى قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾^(١) حيث قال: «هى جمع «التي» وموضعها رفع بالابتداء»^(٢).

ومن الاسم الظاهر: أسماء الإشارة، ففى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾^(٣)، يقول النسفى «ذلك» إشارة إلى (الم) إن جعلت (الم) بمنزلة الصوت كان «ذلك» مبتدأ وخبره الكتاب، أى: ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب، وإن جعلت (الم) اسماً للسورة كان (الم) مبتدأ، و «ذلك» مبتدأ ثان، والكتاب خبر المبتدأ الثانى، والجملة من المبتدأ الثانى وخبره، خبر المبتدأ الأول»^(٤) وهو اختيار جمهور النحاة^(٥).

ومن الاسم الظاهر: أسماء الاستفهام كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْلِكَ يَا مُوسَى﴾^(٦)، ومما ذكره النسفى فى تفسيرها: «... استفهام وإنكار، و(ما) مبتدأ، وأعجلتك خبر»^(٧) وكذلك فى قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾^(٨)، قال: «... وماذا» مبتدأ، وأحل لهم خبره كقولك: أى شىء أحل لهم، ومعناه وماذا أحل لهم من المطاعم؟^(٩)، وفى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾^(١٠)، قال: «موضع من رفع على الابتداء وهو استفهام وأظلم خبره»^(١١).

(١) النساء: ١٥.

(٢) النسفى: التفسير جـ ١ ص ٣١٦.

(٣) البقرة: ٢.

(٤) النسفى: جـ ١/١٣٩.

(٥) ابن الإنبارى - البيان فى غريب إعراب القرآن - تحقيق: طه عبد الحميد وآخر - الهيئة المصرية، الأولى سنة ١٩٨٠ جـ ١ ص ٤٣، وأبو عبيدة مجاز القرآن تحقيق: محمد فؤاد سزكين - الخانجى الأولى ١٩٥٤ جـ ١ ص ٢٨، والنحاس: إعراب القرآن - زهير غازى، سابق، جـ ١ ص ١٧٨ وغيرها.

(٦) طه: ٨٣.

(٧) النسفى: التفسير جـ ٣ ص ٩٥.

(٨) المائدة: ٤.

(٩) النسفى - السابق ١/٣٩٣.

(١٠) البقرة: ١١٤، وتفسير النسفى ١/١١٩.

(١١) النسفى: السابق ١/١٨٨.

ب - المصدر المؤول:

وهو ما يكون مصدراً مؤولاً من حرف مصدرى وما فى حيزه، والحرف المصدرى إما أن يكون (أنّ)، أو (أنّ) أو (ما) وما فى حيز كل منها..

والمصدر المؤول من (أنّ) المخففة وما فى حيزها وقع مبتدأ فى كثير من الآيات القرآنية، وقد بينه النسفى فى عدة مواضع من تفسيره، ومن ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(١) إذ قال النسفى: «و.. وأن تعفو» مبتدأ، خبره أقرب للتقوى^(٢)، ومثله فى قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرَ لَكُمْ﴾^(٣) ففى توجيهها إعرابياً قال: «فى محل الرفع على الابتداء»^(٤) أى: وصبركم عن نكاح الإماء.. خير لكم^(٥).

أما المصدر المؤول من «أنّ» المشددة وما فى حيزها بالمبتدأ فهو على كثرة وروده فى النص القرآنى فلم يتعرض النسفى له إلا فى موضع واحد فى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(٥).

قال النسفى: «والبحر» قرأ أبو عمرو، ويعقوب عطفاً على اسم (أنّ)، وهو (ما) والرفع على محل (أنّ) ومعمولها، أى ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً وثبت البحر ممدوداً لسبعة أبحر...^(٦).

والمصدر المؤول من (ما) وما فى حيزها لم يرد مبتدأ فى القرآن الكريم إلا فى وضع واحد لم يتعرض له النسفى فى تفسيره^(٧).

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٢) النسفى: السابق ١/١٨٨.

(٣) النساء: ٢٥.

(٤) النسفى: نفسه ١/٣٢٤.

(٥) لقمان ٢٧ - فى قراءة البحر، بالنصب لأبى عمرو - السبعة ٣/٥.

(٦) التفسير ج ١١/٣ وللمزيد: الحجة فى القراءات لأبى زرعة - تحقيق سعيد الأفغانى - الرسالة سنة ١٩٩٧ ص ٥٦٦، ٥٦٧.

(٧) فى قوله تعالى: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما علمتم حريص عليكم، ١٢٩ التوبة، هكذا ذكر فى البحر المحيط لأبى حيان - دار الحديث - الثانية ١١٨/٥ والعبرى - املاء ما من به الرحمن ٢/٢٣.

ج - المسبوق بالعوامل اللفظية:

نظمت نظرية العامل النحوي القواعد التركيبية للغة العرب، وأولها النحاة اهتماماً كبيراً وعلى حد تعبير أحد الباحثين المعاصرين «... ولم تكن معاييرهم التي نادوا بها إلا صورة معبرة عن طبيعة العربية الفصحى في بنائها الصوتي ودلالاتها الموحية، وفي جميع مظاهرها البسيطة والمركبة، والمقيسة والمسموعة، والمستعملة والمهملة، والمشتقة والمنحوتة..»^(١) .. ومن مظاهر هذا الاهتمام اختصاص موضوع العوامل النحوية ببعض المصنفات كما فعل عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ. في مصنفه «العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية» جمع فيه هذه العوامل مبيناً أنواعاً وآثارها وشروط أعمالها^(٢).

والمقصود بالعوامل اللفظية الأصلية عند النحاة: نواسخ المبتدأ: الفعلية والحرفية، أما غير الأصلية فهي الزائدة وشبه الزائدة من حروف الجر، وهي (من - الباء - رب)^(٣).

وهذا النوع أقل شيوعاً من سابقه ذكراً في تفسير النسخ؛ لأن القرآن الكريم لم يأت بزائد إلا لحكمة بلاغية تؤكد وتقوى المعنى؛ وكثيراً ما أشار النحوي إلى هذا المعنى في المواضع التي جاء فيها المبتدأ بمسبوق به (من) في سياق النفي أو الاستفهام، حيث لم يرد في القرآن مسبوقة برب أو الباء، ومن ذلك قوله تعالى في سياق النفي ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٤) برفع (غيره) وهي قراءة الجمهور^(٥)، وقرأها الكسائي وحده «غيره» بالكسر^(٦).

(١) صبحي الصالح - دراسات في فقه العربية - دار العلم للملايين - بيروت - الثالثة عشر سنة ١٩٩٧، ص ١٢٦.

(٢) عبد القاهر الجرجاني - العوامل المائة النحوية - بشرح خالد الأزهرى - تحقيق البدرأوى زهران - دار المعارف، الثانية سنة ١٩٨٨، ص ٣٤.

(٣) نفسه (٩٣) ١٠٣، ١١٨، وابن عقيل - شرح الألفية - سابق، ٢٠١/١.

(٤) هـ: ٥٠. ومثلها في سورة هود ٥٣ - ٥٦، ٧٩.

(٥) ابن عطية - المحرر الوجيز - تحقيق عبد السلام عبد الشافى - دار الكتب العلمية، الأولى سنة ١٩٩٣ ج ٣/١٧٩.

(٦) أبو حيان: البحر المحيط، المكتب الإسلامى، الثانية، ١٩٩٢، ج ٥/٢٣٢، القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ٣٣٦٩/٤ وغيرها.

قال النسفي: ﴿وغيره﴾ بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور، وبالجر - على - يقصد الكسائي - على اللفظ^(١)، وتقدير الرفع على أنه بدل من موضع من إله وهو الرفع^(٢) على أنه مبتدأ.

ولكن النسفي كان حريصاً في المواضع المتشابهة على الإشارة بأن (من) زيدت لتؤدى معنى، ومن ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى ﴿وما من إله إلا الله﴾^(٣) حيث قال: «من بمنزلة البناء على الفتح في لا إله إلا الله في إفادة معنى الاستغراق»^(٤)، وفي قوله تعالى: ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾^(٥) قال: «ومن ... للاستغراق»^(٦).

أما في سياق الاستفهام كما في قوله تعالى: ﴿هل من خالق غير الله﴾^(٧) فقال النسفي: «برفع غير على الوصف؛ لأن خالق مبتدأ خبره محذوف أى لكم»^(٨).

د - وصف له صرفوع يغني عن الخبر:

للنحاة في مجيء هذا الوصف (مبتدأ) رأيان: أولها رأى البصريين الذي يجيز ذلك بشرط أن يأتى الوصف معتمداً على نفى أو نهى أو استفهام، الثانى: رأى الكوفيين والأخفش الجواز على الإطلاق^(٩).

وفى معرض تناول النسفي لهذا النوع تابع الفريقين، دون ترجيح، فقد تابع البصريين فى موضعين فقط، وأخذ برأى الكوفيين فى عدة مواضع، وقد أخذ برأى الفريق الأول فى قوله تعالى:

(١) النسفي ٢٧٦/٢.

(٢) النحاس: إعراب القرآن ٢٨٧/٢، والزجاج - معاني القرآن ٥٧/٣، ومكي بن أبى طالب القيسى - مشكل إعراب القرآن - يس السواس، الترقى دمشق، الثانية، ١٩٧٥، ج١/٤٠٦.

(٣) آل عمران: ٦٢.

(٤) النسفي: التفسير ٢٤٤/١.

(٥) المائدة: ٧٣.

(٦) النسفي: ٤٢٦/١.

(٧) فاطر: ٣.

(٨) النسفي: التفسير ٤٨٤/٣.

(٩) السيوطى: همع الهوامع ٦/٢، خالد الأزهرى شرح التصريح: ١٥٦/١، ١٥٧.

﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون﴾^(٢) ، فقال في الأولى: «وقدم الخبر على المبتدأ لأنه كان أهم عنده»^(٣) ، وفي الثانية: «هذا مبتدأ، أفسحر خبره، يعنى كنتم تقولون للوحي هذا سحر، أفسحر هذا، يريد أهذا المصدق أيضاً سحراً؟»^(٤) .

أما متابعته لرأى الكوفيين والأخفش ففي قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾^(٥) ، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهٗ أَثَمَ قَلْبِهٖ﴾^(٦) ، وقوله: ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾^(٧) ، في قراءة الرفع^(٨) ، وقوله عز وجل: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^(٩) .

قال النسفي في الأولى: «ما للإبهام، وهم مبتدأ، وقليل خبره»^(١٠) ، وكذلك قال في الثانية: «ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية، أو بالابتداء، وآثم خبره مقدم، والجملة خبر إن»^(١١) ، أما في الثالثة فقال: «بالرفع على أنه خبر، والمبتدأ مؤخر، أى العاكف فيه والباد سواء»^(١٢) ، وقال في الرابعة: «ماهى الإسلامه، خبر ومبتدأ»^(١٣) .

الابتداء بالنكرة:

من المباحث التركيبية التي اعتنى بها النحاة مبحث الابتداء بالنكرة؛ وذلك؛ لأن معناها غير معين والإخبار عن غير المعين لا يفيد ما لم يقارنه ما يحصل به نوع فائدة^(١٤) ، وهذه القرائن

(١) مريم: ٤٦.

(٢) الطور: ١٥.

(٣) النسفي جـ ٣ ص ٦٠.

(٤) نفسه: جـ ٤ ص ٢٧٨.

(٥) ص ٢٤.

(٦) البقرة: ٢٨٣.

(٧) الحج: ٢٥.

(٨) بالنصب قرأها عاصم وحده، وباقي السبعة بالرفع - ابن مجاهد - السبعة ٤٣٥.

(٩) القدرة - ٥ - .

(١٠) النسفي: التفسير ٦٠/٤.

(١١) نفسه جـ ١ ص ٢١٦.

(١٢) نفسه ١٤٩/٣ ومثلها الآية ٢١ من سورة الجاثية جـ ٤ ص ٢٠١ ومعاني القرآن للأخفش جـ ٢/٢٩١.

(١٣) نفسه جـ ٤ ص ٥٤٤، ومعاني القرآن للأخفش ٧٤٠/٢ والعكبري: إملاء ما من به الرحمن جـ ٢ ص ٢٩٠.

(١٤) الصبان: حاشية الصبان جـ ١ ص ٢٠٥.

هى التى اصطلح عليها لدى النحاة بالمسوغات أى مسوغات الابتداء بالنكرة، «ولم يشترط سيويه والمتقدمون لجواز الابتداء بالنكرة إلى حصول الفائدة»^(١)، وتتبعها المتأخرون فمن مقل ومن مكثر^(٢).

وقد أشار النسفى فى تفسيره إلى بعض هذه القرائن موضحاً، ومن ذلك ما قاله فى تفسير قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾^(٣)، حيث قال: «إنما صح الإخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة»^(٤).

وفى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾^(٥) قال: «ويل مبتدأ، خبره المطففين»^(٦) لما فى ذلك من معنى الدعاء^(٧).

وفى موضع ثالث يقول فى قوله تعالى: ﴿كُلْ نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٨): «كل نفس مبتدأ، واخبر (ذائقة الموت)، وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم»^(٩).

ثانياً: الخبر:

واخبر عند النحاة هو الجزء المسند الذى تتم به مع المبتدأ الفائدة، وكما عرفه ابن جنى بأنه: «كل ما أسندته إلى المبتدأ أو حدثت به عنه، وذلك على ضربين: مفرد وجملة»^(١٠).

ومن النحاة من جعل الخبر ثلاثة أنواع:

١ - المفرد. ٢ - شبه الجملة. ٣ - الجملة: اسمية وفعلية.

ومنهم من يرى أن شبه الجملة ليس قسماً مستقلاً كابن هشام^(١١).

(١) الأشمونى: شرح الأشمونى ج ١ ص ٢٠٥.

(٢) ابن هشام: مغنى اللبيب ص ٤٦٧، والسيوطى: الأشباه والنظائر - طه عبد الرؤوف، الأولى د.ت ج ٢ ص ٦١.

(٣) البقرة ٢٦٣.

(٤) النسفى: التفسير ٢٠٥/١.

(٥) المطففين: ١.

(٦) النسفى: نفسه ٤٩٦/٤.

(٧) الأشمونى - السابق ج ٢١ ص ٢٠٥.

(٨) آل عمران: ١٨٥.

(٩) النسفى: التفسير ٢٩٦/١ والعكبرى: الإملاء ١٦١/١.

(١٠) ابن جنى: اللمع فى العربية - تحقيق حسين شرف - عالم الكتب، الأولى ١٩٧٩ ص ١١٠.

(١١) ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - تحقيق الفاخورى، دار الجيل، الأولى ١٦٣/١، وابن عصفور شرح

الجمال، تحقيق: صاحب أبو جناح، الرشيد، بغداد، د.ت، ٣٤٥/١.

الخبر في تفسير النسفى

١ - الخبر المفرد ^(١) :

وهو الذى تتسلط على لفظه العوامل، فيظهر أثرها على آخره أو يقدر، وهو ليس جملة أو شبه جملة ويندرج تحته المضاف إلى غيره أو المثنى أو الجمع ^(٢).

والخبر المفرد : جامد ومشتق، وقد تعرض النسفى للخبر الجامد قليلاً، ومن ذلك ما أورده فى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ ^(٣).

قال النسفى: «.. الأمنية أفعولة من التمنى مثل الأضحوة... وتلك أمانيتهم اعتراض» أى جملة معترضة بين مبتدأ وخبر، ومعترضة بين ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ﴾ ^(٤) وبين ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ ^(٥).

أما المشتق فقد تعرض له النسفى بالذكر كثيراً فى عدة مواضع منها:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ ^(٦) حيث جاء فى تفسيرها قوله: «... ويرتفع سماعون على أنه خبر مبتدأ مضمّر، أى هم سماعون، وموضع (من) رفع بالابتداء» ^(٧).

٢ - ومن اسم الفاعل وهو كثير قوله تعالى: ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ ^(٨). قال النسفى: «هم فصل، وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة أو هم مبتدأ والمفلحون خبره، والجملة خبر أولئك» ^(٩)، ومثلها قوله تعالى:

(١) مصطلح «المفرد» له أكثر من مدلول فى أبواب متعددة منها (الداء - الكلمة - العلم - الضمير - كنايةات العدد - الأعداد - الإعراب وغيرها - للمزيد: أحمد عبد العظيم: المصطلح النحوى - دار الثقافة سنة ١٩٩٠ ص ٧٠٦).

(٢) السيوطى: همع الهوامع ج٢/١٠ وخالد الأزهرى: شرح التوضيح ١/١٦٠.

(٣) البقرة: ١١١.

(٤) النسفى: التفسير ج١ ص ١١٨.

(٥) البقرة: ١١١.

(٦) المائدة: ٤١.

(٧) النسفى: التفسير ١/٤١٠.

(٨) البقرة: ٥.

(٩) النسفى: التفسير ١/٤٧.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١) جاء في تفسيرها: «أولئك مبتدأ هم فصل ، والخبر الخاسرون»^(٢)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(٣)، قال: «مبتدأ وخبر»^(٤).

٣ - الخبر أفعل التفضيل جاء في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾^(٥) فقال النسفي في تفسيرها: «موضع من رفع على الابتداء، وهو استفهام، وأظلم خبره»^(٦).

٢ - الخبر الجملة:

يرى النحاة أن الجملة تقع خبراً عن المبتدأ، وهي تحمل محل المفرد واقعة موقعه ولذلك يحكم على موضعها بالرفع على معنى أنه لو وقع المفرد الذي هو الأصل موقعها؛ لرفع، وإنما يطلق عليها جملة بحسب الأصل^(٧).

وقد أجمع جمهور النحاة على وجوب أن تشتمل الجملة الواقعة خبراً على رابط يربطها بالمبتدأ^(٨).

الخبر بالجملة الفعلية في تفسير النسفي

وهو أكثر نوعي الجملة الواقعة خبراً في تفسير النسفي ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِنَّ﴾^(٩) ففي تفسيرها قال النسفي: «يتربصن: خبر في معنى الأمر، وأصل الكلام، ولتربص المطلقات، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة في امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجوداً، ونحوه

(١) البقرة: ٢٧.

(٢) النسفي: التفسير: ٧٧/١.

(٣) الانعام: ١٨.

(٤) النسفي: التفسير ج ٢ ص ١٠.

(٥) البقرة: ١١٤.

(٦) النسفي: التفسير ٢١٩/١.

(٧) للمزيد: ابن يعيش شرح المفصل - سابق ج ١ ص ٨٨، وابن جني الخصائص: ج ٣ ص ١٨١.

(٨) للمزيد ابن عقيل - شرح ألفية ابن مالك - سابق ٢٠٣/١ والسيوطي: مع الهوامع ٩٦/١، ٩٧.

(٩) البقرة: ٢٢٨.

قولهم في الدعاء: رحمك الله، أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة، كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها، وبناءه على المبتدأ مما زاده أيضاً فضل تأكيد؛ لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت بخلاف الفعلية،^(١) وفي قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾^(٢)، قال: «خبر في معنى الأمر المؤكد كيتربصن»^(٣).

قال الزجاج: «اللفظ لفظ الخبر والمعنى الأمر كما تقول: حسبك درهم، فلفظه لفظ الخبر، ومعناه: اكتف بدرهم، وكذلك معنى الآية لِتُرْضَعَ الْوَالِدَاتُ»^(٤).

ويؤكد النسفي في موضع ثالث ضرورة اشتغال الجملة التي تقع خبراً على رابط يعود على المبتدأ ففي قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾^(٥).

يقول النسفي: «أى وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن، أى يعتددن أو معناه يتربصن (بعدهم) بأنفسهن، فحذف (بعدهم) للعلم به، وإنما احتيج إلى تقديره؛ لأنه لا بد من عائد إلى المبتدأ في الجملة التي وقعت خبراً»^(٦).

وقد حكى العكبري أن في الآية أقوالاً للنحاة منها قول لسيبويه بأن «الذين» مبتدأ والخبر محذوف تقديره: وفيما يتلى عليكم حكم الذين يتوفون منكم، وقوله: (يتربصن) بيان الحكم المتلو، وقول آخر للكسائي يتربصن الخبر والعائد محذوف تقديره (يتربصن) بعدهم^(٧).
ويظهر أن النسفي اختار أو رجح رأى الكسائي في تقدير العائد وحذفه.

الخبر بالجملة الاسمية

ولا يقل هذا النوع من أنواع الخبر عن سابقه شيوعاً، بل قد يزيد وما تعرض له النسفي في تفسيره مبنياً هذا النوع في عدة مواضع منها:

- (١) النسفي: التفسير ج ١ ص ١٧٩.
- (٢) البقرة: ٢٣٣.
- (٣) النسفي: التفسير ١/١٨٣، ١٨٤.
- (٤) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه: ج ١/٣١٣.
- (٥) البقرة: ٢٣٤.
- (٦) النسفي: التفسير: ج ١ ص ١٨٥، ١٨٦.
- (٧) العكبري: إملأ ما من به الرحمن ١/٩٨.

١ - فى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾^(١) حيث جاء فى تفسيرها قوله: «أولئك مبتدأ وجزاؤهم مبتدأ ثان خبره «أن عليهم لعنة الله» وهما خبر أولئك»^(٢)، ومثلها فى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَا وَاهُم النَّارُ﴾^(٣)، قال فى تفسيرها: «أولئك مبتدأ، وما واهم مبتدأ ثان، والنار خبره، والجملة خبر أولئك»^(٤)، وفى موضع ثالث حول قول الله عز وجل: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥) يقول: «هم مبتدأ، والمفلحون خبره، والجملة خبر أولئك»^(٦).

الإخبار بالجملة الإنشائية

يرى فريق من النحاة كابن السراج وابن الأنبارى وابن هشام الانصارى أن الجملة الإنشائية لا تكون خبراً^(٧)، ويرى فريق آخر جواز مجيء الجملة الإنشائية خبراً كالرضى والصبان «يستدل الفريق الثانى بوروده كثيراً فى المسموع ومنه فى القرآن الكريم قول الله عز وجل «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ»^(٨).

وقد وافق النسفى رأى الفريق الثانى القائل بالجواز وذلك فى موضعين من مواضع تناوله لآيات الكتاب الكريم.

١ - فى قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾^(٩) قال: «فأصحاب الميمنة مبتدأ وهم الذين (يؤتون) صحائفهم بأيمانهم، ما أصحاب الميمنة، مبتدأ وخبر، وهما خبر المبتدأ الأول، وهو تعجيب من حالهم فى السعادة وتعظيم لشأنهم كأنه قال: ما هم؟ وأى شيء هم؟»^(١٠).

(١) آل عمران: ٨٧.

(٢) النسفى: التفسير ٢٥٤/١.

(٣) يونس: ٨.

(٤) النسفى: التفسير ٢٥٤/١.

(٥) البقرة: ٥.

(٦) النسفى: التفسير ٤٧/١.

(٧) ابن السراج: الأصول - سابق ٧٣/١، ابن هشام مغنى اللبيب ٤١/٢، وأبو حيان: إرشاد الضرب من لسان العرب - تحقيق مصطفى النماس - الخانجى - الأولى ج ٢ ص ٤٩. الرضى: شرح كافية ابن الحاجب ٩٢/١ والصبان حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٩٥/١، وعبد السلام هارون - الأساليب الإنشائية فى النحو العربى - مكتبة الخانجى الثالثة ١٩٨١ ص ٣٥ وما بعدها.

(٨) الواقعة: ٢٧.

(٩) الواقعة: ٨.

(١٠) النسفى: التفسير ٣١٨/٤.

٢ - وفي قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾^(١) قال النسفي: «مبتدأ وخبر وهما خبر الحاققة» والأصل، الحاققة ماهي؟ أى: أى شيء هي؟ تفخيماً لشأنها وتعظيماً لهولها أى: حقها أن يستفهم عنها لعظمها»^(٢).

٣ - شبه الجملة:

سبق أن بعض النحاة لم يعتبر هذا نوعاً مستقلاً كابن هشام، وقد توسع العرب في هذا النوع، واختلف النحاة في العامل فيه وتقديره، فالكوفيون يرون أن العامل فيه معنى المخالفة التي اتصف بها الخبر، ولا يحتاج عندهم إلى تقدير شيء يتعلق به الخبر، أما البصريون فقالوا: لا بد للظرف من محذوف يتعلق به»^(٣).

واختلف النحاة في كونهما مع متعلقهما المحذوف خبراً أو جزءاً من الخبر أو المتعلق وحده الخبر، وقد اختار الرضى الأول واختار ابن هشام الثاني^(٤). كذلك اختلف النحاة في تقدير المتعلق فالأخفش والفارسي والزمخشري يرونه فعلاً (كان - استقر) وجمهور البصريين يقدرونه اسماً بكائن أو مستقر^(٥)، وقال ابن هشام: «والحق عندي أنه لا يترجح تقديره اسماً ولا فعلاً بل بحسب المعنى»^(٦).

الإخبار بشبه الجملة في تفسير النسفي

تعرض النسفي في تفسيره لآيات الذكر الحكيم لهذا النوع في كثير من المواضع مبيناً وموضحاً ومن ذلك:

١ - يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾^(٧) جاء في تفسيرها قول النسفي: «أزواج مبتدأ، ولهم الخبر فيها ظرف الاستقرار»^(٨).

(١) الحاققة: ٢، ١.

(٢) النسفي: التفسير ٤/٤١٨.

(٣) الرضى الاسترغادي: شرح الكافية ١/٢٤٣، ٢٤٤ وابن هشام مغنى اللبيب ٤٣٣.

(٤) خالد الأزهرى: شرح التصريح على التوضيح ١/١٦٦، وابن السراج الأصول في النحو ١/٦٣.

(٥) خالد الأزهرى: نفسه ١/١٦٦.

(٦) ابن هشام: مغنى اللبيب ٤٣٣.

(٧) البقرة: ٢٥.

(٨) النسفي: التفسير ١/٧٢.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(١)، وفي تفسيرها يقول النسفي: «الحق مبتدأ، خبره من ربك، واللام للجنس... أو للعهد والإشارة، أو خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق، ومن ربك خبر بعد خبر»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾^(٣)، يبين النسفي بقوله: «فيها حكم الله حال من التوراة، وهى مبتدأ خبره عندهم»^(٤).

وكذلك فى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾^(٥)، يوضح إعرابها فيقول: «هو رفع بالابتداء، ومن النخل خبره، ومن طلعا بدل منه كأنه قيل: وحاصلة من طلع النخل قنوان»^(٦).

وفي موضع يستعرض الخلاف فى العامل فى المبتدأ ويذكر أنه الخبر، وذلك فى معرض تناوله لقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾^(٧)، فيقول: «ويرتفع ظلمات بالجار والمجرور؛ لأنه قد قوى لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو قلت ابتداءً فيه ظلمات ففيه خلاف بين الأخفش وسيبويه»^(٨).

ومن الإخبار بظرف الزمان ماجاء فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾^(٩) قال: «والوزن أى وزن الأعمال... وهو مبتدأ خبره «يومئذ» أى يوم يسأل الله الأمم ورسلكم، فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين»^(١٠).

(١) البقرة: ١٤٧.

(٢) النسفي: التفسير ١/١٣٦، والعكبري: الإملاء ١/٢٥.

(٣) المائدة: ٤٣.

(٤) النسفي: التفسير ١/٤١١، والعكبري: الإملاء ١/٢١٦.

(٥) الأنعام: ٩٩.

(٦) النسفي: التفسير ٢/٣٨، والعكبري: الإملاء ١/٢٥٥.

(٧) البقرة: ١٩.

(٨) النسفي: التفسير ١/٦١ - ٦٢.

(٩) الأعراف: ٨.

(١٠) النسفي: التفسير ٢/٦٧.

ترتيب ركني الجملة الاسمية

اتفق جمهور النحاة على أن الأصل في ترتيب ركني الجملة الاسمية أن يتقدم المبتدأ، ويتأخر الخبر، وذلك لأن المبتدأ محكوم عنه فلا بد من تقديمه؛ ولأن الخبر محكوم به فيستحق التأخير ^{عليه} وقد أوجز ابن مالك المسألة نظماً فقال:

والأصل في الأخبار أن تؤخرا . . . وجوزوا التقديم إذا ضاراً ^(١).

وقد نص النحاة على مواضع لا يجوز فيها إلا تقديم المبتدأ وتأخير الخبر ومنها ما ذكره النسفي في تفسيره ومنها ما لم يذكره، ومن النوع الثاني أن يكون المبتدأ والخبر معرفتين متساويتين أو نكرتين متساويتين كما في قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ ^(٢) وكذلك كون الخبر فعلاً وذلك لقلة ما ورد من النوعين في القرآن الكريم.

ومن المواضع التي أوجب فيها النحاة تقديم المبتدأ، وتعرض لها النسفي:

١ - أن يكون المبتدأ اسماً ملازماً للصدارة كأسماء الاستفهام والشرط ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذا الذي يُقرضُ الله قرضاً حسناً﴾ ^(٣).

قال النسفي: «من استفهام في موضع رفع بالابتداء، ذا خبره» ^(٤).

- ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ^(٥) جاء فيها قول النسفي:

«مبتدأ وخبر وهذا الاستفهام في النفي للتنبيه على الاستبطاء» ^(٦).

وكقوله تعالى: ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ ^(٧) قال «من رفع لا ابتداء وإله خبره» ^(٨).

(١) ابن مالك - متن الألفية - مكتبة السنة القاهرة الأولى ١٩٩٨ ص ٣٧.

(٢) الشورى ١٥.

(٣) البقرة ٢٤٥ - وينظر: ابن هشام أرواح المسالك - ١/١٧٠.

(٤) النسفي: التفسير ١/١٩١.

(٥) النساء ٧٥.

(٦) النسفي: التفسير ١/٣٤٥.

(٧) الأنعام ١٩.

(٨) النسفي: التفسير ٢/١٩.

ومن ذلك «كم» الخبرية كما في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١) قال النسفي: «كم خبرية، وموضعها موضع رفع بالابتداء وغلبت خبرها»^(٢)

٢ - إذا كان الخبر طلباً وهو ما أجاز به البصريون ما عدا سيويه، وهو رأى الكوفيين، وذلك كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ﴾^(٣) وقول المولى عز وجل: ﴿وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٤) ففي معرض تفسيره لهما قال النسفي: «والسارق والسارقة... ارتفعا بالابتداء، والخبر محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة أو الخبر فاقطعوا أيديهما والمراد اليمينان... ودخول الفاء لتضمنها معنى الشرط؛ لأن المعنى والذي سرق والتي سرت فاقطعوا أيديهما، والاسم الموصول يضمن معنى الشرط»^(٥)، وفي الآية الأخرى قال: «رفعهما على الابتداء، والخبر محذوف، أى: فيما فرض عليكم الزانية والزاني، أى جلدهما، أو الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذى وتضمن معنى الشرط»^(٦) لكنه يزيد الأمر وضوحاً ويختار الرأى القائل بوجوب تقديم المبتدأ إذا كان الخبر طلباً فى قول الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾^(٧) حيث يقول: «فالذين مرفوع بالابتداء... ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط»^(٨).

٣ - إذا كان الخبر مقترناً بالفاء عند الفراء والجزمى وكثير من النحاة^(٩)، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١٠)، قال النسفي: «ما بمعنى الذى، وهو مبتدأ، والخبر فبإذن الله»^(١١).

(١) البقرة ٢٤٠.

(٢) النسفي: التفسير ١/١٩٥.

(٣) المائدة ٣٨.

(٤) النور ٢.

(٥) النسفي: التفسير ١/٤٠٩، والمكبرى: إملاء ما من به الرحمن ١/٢٥١ وأبو حيان: البحر المحيط، سابق، ٣/٤٧٦ وما بعدها.

(٦) النسفي: التفسير ٣/١٩٥ - المكبرى: إملاء ما من به الرحمن ٢/١٥٣.

(٧) النور ٣٣.

(٨) النسفي: التفسير ٣/٢١١.

(٩) الفراء: معانى القرآن ٣/١٥٥ - الهروى: الأزهية فى علم الحروف - عبد المعين الملوحي - مجمع اللغة العربية/دمشق، الأولى سنة ١٩٩٣، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(١٠) آل عمران: ١٦٦.

(١١) النسفي: التفسير ١/٢٨٨.

٤ - أن يكون الخبر مقترباً بـ (إلا) أو (إنما):

أوجب النحويون تقديم المبتدأ إن اقترن الخبر بـ (إلا) أو (إنما) ^(١) وقد تحدث النسفي عن هذا النوع في موضع واحد على كثرة وروده في آيات الذكر الحكيم ^(٢) وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا بِغَيِّكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ^(٣) حيث قال: «على أنفسكم خبر لـ بغيكم» ^(٤).

٥ - أن يكون الاسم مدخولاً للام الابتدائية:

ومن ذلك ما جاء في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا﴾ ^(٥) وقوله: ﴿وَاللِّدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ^(٦) قال النسفي في الأولى: «اللام ابتدائية، وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة» ^(٧) وقال في الثانية: «واللدار مبتدأ وخبر المبتدأ خير» ^(٨)

٢ - مواضع وجوب تقديم الخبر

ذكر النحاة عدة مواضع يجب أن يتقدم فيها الخبر على المبتدأ ومنها:

- ١ - أن يكون واجب التصدير كأسماء الاستفهام مثل: أين وكيف؟
- ٢ - أن يتصل المبتدأ بضمير يعود على الخبر مثل: في الدار صاحبها.
- ٣ - أن يكون تقديمه مصححاً للابتداء بالنكرة.
- ٤ - أن يكون دالاً على ما يفهم بالتقديم ولا يفهم بالتأخير مثل: لله درك ^(٩).

(١) السيوطي: همع الهوامع ج٢ ص ٣٣ وخالد الأزهرى: شرح التصريح ١/١٧٣.

(٢) مثل قوله تعالى: «وما محمد إلا رسول، آل عمران ١٤٤ وقوله: «إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يقرعون من قريب، النساء ١٧».

(٣) يونس: ٢٣.

(٤) النسفي: التفسير ج٢ ص ٢٢٨.

(٥) يوسف: ٨.

(٦) الأنعام: ٣٢.

(٧) النسفي: التفسير ج٢ ص ٣٠٥.

(٨) النسفي: التفسير ج٢ ص ١٥.

(٩) السيوطي: همع الهوامع ٢/٣٥، وشرح التصريح ١/١٧٤.

وقد تعرض النسفى لموضع تقديم الخبر وجوباً إذا كان مصححاً للابتداء بالنكرة تلميحاً لا تصريحاً كما سبق فى الابتداء بالنكرة ^(١)، ومن ذلك ما جاء فى تناوله لقول الله عز وجل: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ﴾ ^(٢) قال: «ومن أهل المدينة عطف على خبر المبتدأ الذى هو ممن حولكم والمبتدأ منافقون» ^(٣).

كذلك تعرض النسفى إلى أحد المواضع التى يجب فيها تقديم الخبر وذلك إذا كان من ألفاظ الصدارة كما فى قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ^(٤).

قال النسفى: فمن استفهام (ما) بمعنى الذى فى موضع الرفع على الابتداء، ولمن خبره، وفى قوله تعالى: ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ ^(٥).

قال النسفى: قال الأخفش: التقدير فأنى لهم ذكراهم إذا جاءتهم ^(٦). ^(٧) تكرار قال

الحذف فى الجملة الاسمية

الحذف أحد أهم الظواهر التى تناولها النحاة القدماء والمحدثون فى ثنايا المصنفات النحوية فابن قتيبة يعده من مذاهب العرب فى كلامهم فيقول: «وللعرب المجازات فى الكلام ومعناها: طرق القول ومآخذه فيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف...» ^(٨)، واعتبره عبد القاهر ظاهرة فيقول: «هو باب دقيق المسلك لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة» ^(٩)، ويقول: «الحذف إذا تجرد عن تغيير حكم من أحكام ما بقى بعد الحذف لم يسم مجازاً» ^(١٠).

(١) ينظر: ص السابقة.

(٢) التوبة: ١٠١.

(٣) النسفى: التفسير ج٢ ص ٢٠٥.

(٤) الأنعام: ١٢.

(٥) النسفى: التفسير ج٢ ص ٩.

(٦) محمد ١٨.

(٧) النسفى: التفسير ج٤ ص ٢٢٤ ومعانى القرآن للأخفش - تحقيق عبد الأمير الورد - عالم الكتب - الأولى ١٩٨٥ ج٢ ص ٦٩٤.

(٨) ابن قتيبة ت ٢٧٦. تأويل مشكل القرآن تحقيق السيد صفى - دار التراث - الثانية ١٩٧٣ ص ٢٠، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٦.

(٩) عبد القاهر الجرجانى ٤٧٤ هـ - دلائل الإعجاز - محمود شاكر - الخانجى - الثانية ١٩٩٢ ص ١٤٦.

(١٠) عبد القاهر الجرجانى: أسرار البلاغة - محمود شاكر - الخانجى، الأولى، ١٩٩١/ ٤١٦.

١ - حذف المبتدأ:

وقد عدد النحاة المواضع التي يجوز فيها أو يجب حذف المبتدأ ، وأجمعوا على وجوب الحذف إذا كان الخبر مخصصاً بالمدح والذم ، أو في النعت المقطوع على الرفع وإذا كان الخبر فيه صريحاً في القسم وكذلك إذا كان الخبر مصدراً نائباً عن فعله مثل «صبر جميل»^(١) .

وقد أورد النسفي الموضع الأول في تفسيره لكثير من الآيات لأنه شائع في التنزيل ، ولم يرد النوع الثاني أو الأخير ، ولم يتعرض للثالث مع وروده في الذكر مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾^(٢) .

فمن المواضع التي تعرض لها بالبيان وجوب حذف المبتدأ إذا كان مخصصاً بالمدح والذم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾^(٣) .

قال: «والخصوص بالذم، وهو مطرهم محذوف»^(٤)، وفي قول الحق تبارك وتعالى: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٥)، قال «ما في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم... والخصوص بالذم محذوف، أي: بنس حكما يحكمونه حكمهم هذا»^(٦)، وفي موضع آخر ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾^(٧)، يقول: «والخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه، تقديره ساء الحِمْلُ حِمْلًا وَزَرَهُمْ»^(٨)، وفي موضع آخر حول قول الحق سبحانه: ﴿بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾^(٩)، يقول: «الخصوص بالذم محذوف»^(١٠)، وفي المدح كذلك في قوله تعالى: ﴿نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١١)

(١) ابن عقيل - شرح الألفية ج ١ ص ٢٥٥ وما بعدها وجمع الهوامع ٣٨/٢ .

(٢) النجم: ١

(٣) الشعراء: ١٧٣ .

(٤) النسفي: التفسير ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٥) العنكبوت: ٤ .

(٦) النسفي: التفسير ج ٣ ص ٣٦١ .

(٧) طه: ١٠١ .

(٨) النسفي: التفسير ج ٣ ص ١٠٠ .

(٩) آل عمران: ١٥١ .

(١٠) النسفي: التفسير ج ١ ص ٢٨٠ .

(١١) ص: ٣٠ .

المخصوص بالمدح محذوف^(١)، وقوله: ﴿وَلِنِعْمِ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، قال: «دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره»^(٣)، وكذلك في قوله: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٤)، يقول: والمخصوص بالمدح محذوف»^(٥).

حذف الخبر:

اتفق النحاة على عدة مواضع يجب فيها حذف الخبر، ومنها:

- بعد (لولا) وأن يكون مبتدأ صريحاً في القسم، وأن يكون المبتدأ معطوفاً عليه بواو هي نص في المعية مثل: كل رجل وضيعة خلافاً للكوفين في هذا الموضع، وأن يكون المبتدأ مصدراً عاملاً في اسم مفسر لضمير ذي حال لا يصح كونها خبراً عن المبتدأ المذكور مثل: أكثر شربى السويق ملتوتاً^(٦).

وقد تعرض النسفي لموضعين الأول والثاني لورودهما في آيات القرآن، ولاسيما الأول منهما ولم يتعرض للأخيرين لعدم ورودهما.

١ - حذف الخبر وجوباً بعد لولا:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾^(٧)، ويصرح النسفي بالحكم فيقول: «كتاب مبتدأ... وخبر المبتدأ محذوف أى: لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود، و(سَبَقَ) لا يجوز أن يكون خبراً؛ لأن (لولا) لا يظهر خبرها أبداً»^(٨).

(١) النسفي: التفسير ج٤ ص ٦٢.

(٢) النحل: ٣٠.

(٣) النسفي: التفسير ج٢ ص ٤١١.

(٤) الأنفال: ٤٠.

(٥) النسفي: التفسير ج٢ ص ١٥٠.

(٦) ابن هشام الأنصاري: أوضح المسالك: حنا الفاخوري ج١ ص ١٨٢ وما بعدها.

(٧) الأنفال: ٦٨.

(٨) النسفي: التفسير: ج٢ ص ١٦١ والعكبري: إملأ ما من به الرحمن ١٠/٢.

٢ - إذا كان المبتدأ صريحاً في القسم:
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١)، وفي تفسيرها يقول
النسفي: «هو قسم بحياته... والعَمْرُ والعَمْرُ واحد، وهو البقاء، إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح
إثارةً للأخف لكثرة دور الحلف على ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر، وتقديره: لَعَمْرُكَ قسماً»^(٢).

المطابقة في الجملة الاسمية

المطابقة في اللغة: تطابق الشينان: تساويا، والمطابقة: الموافقة، وقد طابقه مطابقة وطباقاً
والتطابق، وطابقت بين الشينين إذا جعلتهما على حَذْوٍ واحد ويقال: طابق فلان فلانا إذا وافقهما
والمطابق من الخيل والإبل الذي يضع رجله موضع يده^(٣).

وفي الاصطلاح: الملح عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز إلى أن مدار النظم على
معاني النحو بسبب علاقة الكلمات ببعضها واستعمال بعضها مع بعض فقال: «وإذا قد عرفت أن
مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها. أن تكون فيه، فاعلم أن
الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، أو نهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها، ثم اعلم أن
ليست المزية بواجبة لما في نفسها ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب
المعاني والأعراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال
بعضها مع بعض»^(٤).

فقوله: «واستعمال بعضها مع بعض يشير إلى ظاهره (النضام)، وهو تطلب إحدى الكلمتين
للأخرى واستدعاؤه إياها، كالتلازم بين حرف الجر ومجروره والمبهم وتمييزه، و (واو) الحال وجملة
الحال، وحرف العطف والمعطوف، والنواصب والجوازم والفعل المضارع، ومن ذلك تطلب الفعل
للفاعل، والمبتدأ للخبر، ومن ثم تظهر ضرورة المطابقة كقرينة لفظية تقوى الصلة بين المتطابقين
وتكون هي نفسها قرينة على ما بينهما من ارتباط في المعنى وتكون قرينة لفظية على الباب الذي
يقع فيه ويعبر عنه كل منهما»^(٥).

(١) الحجر: ٧٢.

(٢) النسفي: التفسير ج٢ ص ٣٩٧ - ٣٩٨، والنحاس: إعراب القرآن ج٢ ص ٣٨٧.

(٣) ابن فارس: مجمل اللغة - ج٢ ص ٥٩٢ والزمخشري أساس البلاغة ٦١/٢ ولسان العرب (طبق).

(٤) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص ٨٧.

(٥) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها - الهيئة المصرية العامة للكتاب، الأولى ١٨٧، ٢١٧.

وللمطابقة بين عنصري الجملة وركنيها الأساسيين قيمة معنوية وفائدة دلالية كبيرة، فبالمطابقة تترقق الصلة بين أجزاء التركيب التي تتطلبها ويدونها تتفكك العرى، وتصبح الكلمات المتراسة منعزلاً بعضها عن بعض، ويصبح المعنى عسير المثال^(١).

وعناصر المطابقة هي:

- ١ - العلامة الإعرابية.
- ٢ - التكلم والخطاب والغيبة.
- ٣ - العدد (الأفراد - الثنية - الجمع).
- ٤ - النوع (التذكير والتأنيث).
- ٥ - التعين (التعريف والتفكير)^(٢).

المطابقة: التامة الواجبة:

يشترط النحويون في تطابق عنصري الجملة الاسمية: المبتدأ والخبر أن يكون الخبر مفرداً ليس جملة ولا شبه جملة وذلك إذا توافرت فيه الشروط الآتية:

- ١ - أن يكون الخبر مشتقاً.
- ٢ - ألا يكون الخبر مما يستوى فيه التذكير والتأنيث.
- ٣ - أن يكون جارياً على مبتدئه^(٣).

ومما تعرض له النسفي من هذا النوع في بعض الآيات ماجاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٤) في قراءة الرفع قال: «خَالِصَةٌ بِالرَّفْعِ نَافِعٌ فَهِيَ مَبْتَدَأُ خَبَرِهِ (لِلَّذِينَ آمَنُوا).. أَوْ خَبَرُ ثَانٍ أَوْ خَبَرُ مَبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: هِيَ خَالِصَةٌ»^(٥)، قال ابن

(١) تمام حسان: اللغة العربية - سابق، ١٨٧، ٢١٧.

(٢) تمام حسان - اللغة العربية - سابق ٢١١، ٢١٢.

(٣) عباس حسن: النحو الوافي - دار المعارف - سابق ج ١ ص ٤٥٧.

(٤) الأعراف: ٣٢، بالرفع قرأها نافع في السبعة لابن مجاهد - سابق، ص ٢٧٠، أبو عمرو الداني: التفسير في القراءات السبعة، عناية أوتويرتزل، استامبول، الأولى ١٩٣٠، ص ١٠٧.

(٥) النسفي: التفسير ج ٢ ص ٧٥.

أبي مريم: «ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر على أن يكون للذين آمنوا خبراً، وتكون خالصة خبر آخر كما تقول: هذا حُلٌّ حَامِضٌ»^(١).

فالمطابقة هنا واجبة؛ لأن الخبر جاء مشتقاً، وما لا يستوى فيه المذكر والمؤنث وجاء جارياً على مبتدئه.

٢ - المطابقة الناقصة الممتنعة:

وذلك إذا فقد الخبر شرطاً من الشروط السابقة وما تعرض له النسفى من هذا النوع ما جاء فى قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾^(٢)، حيث قال فى تفسيرها: «وإن كان ظاهره الخبر فمعناه الأمر»^(٣)، وهنا امتنعت المطابقة؛ لفقدان شرط كون الخبر مشتقاً.

٣ - المطابقة الجائزة:

وذلك إذا جاء المبتدأ جمعاً لما لا يعقل جاز أن يكون خبره مفرداً مؤنثاً مثل قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾^(٤)، وجاز أن يأتى خبره جمع تكسير مؤنث أو مذكر كما فى قول النابغة الذبياني (طويل):

يَقُولُونَ: حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نَفُوسُهُمْ وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالْجِبَالِ جَنُوحُ؟^(٥)

فجنوح خبر المبتدأ الجبال، وكقول النابغة أيضاً (بسيط):

شَعَثَتْ عَلَيْهَا مَسَاعِيرٌ لَحْرِبِهِمْ شَمُّ الْعَرَانِينَ مِنْ مُرْدٍ وَمِنْ شَيْبِ^(٦)

فقوله: مساعير مبتدأ مؤخر خبره شبه الجملة المقدم، وجملته خبر لشعث، ومساعير جمع مفردة (مُسْعِر)، ومسعار وهو الذى يسعر الحرب وإذا جاء المبتدأ جمع مؤنث عاقل جاز فى خبره أن يكون مفرداً مؤنثاً أو جمع تكسير مؤنث أو جمع مؤنث سالم^(٧).

ولم يتعرض النسفى فى تفسيره لبيان هذا النوع من المطابقة.

(١) نصر بن على الشيرازى المعروف بابن أبى مريم ت ٥٦٥هـ، الموضح فى وجوه القراءات وعللها، تحقيق عمر الكبيسى - جامعة الإمام محمد بن مسعود - مكة المكرمة، الأولى سنة ١٩٩٣ ج ٢/٥٢٦.

(٢) البقرة: ٢٢٩.

(٣) النسفى: التفسير ج ١ ص ١٨١.

(٤) النازعات ٨ ومثلها الغاشية ٨، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦.

(٥) النابغة الذبياني - ديوان شعره - تحقيق محمد أبو الفضل - دارالمعارف، الثانية ٩٨، ص ١٩٠.

(٦) نفسه ٥١.

(٧) عباس حسن النحو الوافى ج ١ ص ٤٥٧.

المطابقة في الجملة الفعلية

الجملة الفعلية معروفة الأركان وكما عرفها ابن هشام: «هي التي كان صدرها فعلاً ك قام زيد، وضرب اللص»^(١)، وركناها الأساسيان الفعل وهو المسند، والفاعل وهو المسند إليه^(٢).

وقد استقرأ النحاة ما وسعهم نصوص العربية واستنبطوا أحكاماً للفاعل فيما يخص قرينة المطابقة مع الفعل (المسند) ومن تلك الأحكام:

١ - أنه لا يكون جملة عند الجمهور.

٢ - ألا يتقدم على الفعل^(٣).

ولهذا الشرط الثاني عدّه ابن الأنباري جزء من الفعل، ودليله إلحاق تاء التانيث بالفعل^(٤) وإسناد الفعل للضمائر الدالة على التثنية والجمع كآلف الاثنين، وواو الجماعة فيقول: «لو لم يجعلوا الفاعل بمنزلة جزء الفعل؛ لما جاز إلحاق التانيث به.. والتثنية ليست للأفعال، وإنما هي للأسماء، فلو لم يتنزل الاسم بمنزلة بعض الفعل لما جازت تثنيته باعتباره»^(٥).

المطابقة من حيث النوع

من أحكام الفاعل مطابقة عامله من حيث التذكير والتانيث، وقد قسم النحاة هذه المطابقة من حيث النوع إلى: واجبة، وجائزة راجحة، وجائزة مرجوحة.

١ - المطابقة الواجبة:

يجب تانيث الفعل في موضعين:

١ - إذا كان الفاعل ضميراً متصلاً لمؤنث، لا فرق بين المؤنث الحقيقي والمجازي، فيجب عندئذ أن تلحق علامة الفعل أو ما أشبهه علامة التانيث كما في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾^(٥) وقوله ﴿وَلَمَّا نَبَاَتْ بِهِ﴾^(٦).

(١) ابن هشام: مغنى اللبيب ص ٣٧٦.

(٢) ابن يعيش: شرح الفصل ج ١ ص ٧٤.

(٣) نفسه ٧٥/١ وابن هشام: قطر الندى - تحقيق محمد محيي الدين - التراث، الأولى ٢٤٩ وغيرها.

(٤) ابن الأنباري - أسرار العربية - سابق، ٧٦ والسيوطي: همع الهوامع ١/١٦٠.

(٥) يس: ٣٨.

(٦) التحريم: ٣.

(١) آل عمران: ٣٥.

٢ - أن يكون الفاعل اسماً ظاهراً متصلاً حقيقى التانيث كما فى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾^(١).

٢ - المطابقة الجائزة الراجعة:

أجاز النحاة من خلال استقراءهم للنصوص تانيث الفعل أو تذكيره والتانيث أكثر وأجود إذا كان الفاعل:

- ١ - اسماً ظاهراً متصلاً مجازى التانيث كما فى قولهم: طلعت الشمس.
- ٢ - جمع تكسير للإناث أو الذكور، أو اسم جمع، أو اسم جنس مثل شجرة - نخلة، فالتانيث فيها على معنى الجماعة، والتذكير على معنى الجمع (شجر - نخل) والأكثر التانيث.
- ٣ - اسماً ظاهراً منفصلاً بغير (إلا) مثل قامت اليوم فاطمة^(٢).

٣ - المطابقة المرجوحة:

إذا جاء الفاعل منفصلاً عن الفعل بـ (إلا) مثل: ما قام إلا فاطمة فالتذكير أرجح عند النحاة باعتبار المعنى، ولم يجز إثبات التاء إلا فى الضرورة^(٣).

ولا تكاد تخرج تأويلات النسفى وتخريجاته الإعرابية لآيات الذكر الحكيم، ولا سيما الجملة الفعلية فيما يخص قرينة المطابقة بين ركنيها عما اتفق عليه النحاة وذلك؛ لأن النسفى يقدم النص القرآنى فى ثوب قشيب معرضاً عن الشروط التى استقرأها النحاة وفصلوا فيها القول فى المصنفات النحوية الخاصة.

ومع أن النص القرآنى قد حفل بالنماذج التى يمكن أن يستدل بها النحاة على الأحكام السالفة إلا أن النسفى لم يستعرض كافة الشروط، ولا ألح إليها إلا قليلاً وفى ثلاثة مواضع تحديداً.

(٢) ابن هشام - شرح شذور الذهب - محمد محبى الدين - ١٧٥، وابن عقيل - شرح الألفية ٨٩/٢، وخالد الأزهري: شرح التصريح ٢٧٩/١.

(٣) المبرد: المقتضب - تحقيق محمد عبد الخالق عطية - سابق، ج ٢، ص ١٤٨، ٣٤٩/٣ وابن هشام: شرح شذور الذهب ١٧٦ - ١٧٧ - وابن عقيل - شرح الفية ابن مالك ٨٩/٢.

فمن المطابقة الواجبة قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾^(١)، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾^(٢) ومنها ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾^(٣)، وقوله: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾^(٤) وقوله: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾^(٥).

ومن المطابقة الجائزة الراجحة قوله: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾^(٦)، و﴿لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(٧)، ﴿فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾^(٨).

أما ما تعرض له النسخ في قرينة المطابقة في الجملة الفعلية فقد جاء صريحاً في المطابقة الجائزة المرجوحة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾^(٩) حيث قال: «النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيسها غير حقيقى ولذا لم يقل: قالت»^(١٠).

وفى قوله تعالى: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾^(١١)، يقول: «أمة فاعل تكون، وهي تامة»^(١٢).

ويقول في قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(١٣): ارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعا فعل مضمرة يفسره كورت؛ لأن (إذا) يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط»^(١٤).

-
- (١) القصص ٥٨.
 (٢) الفرقان ٢٥.
 (٣) الأنعام ٥٩.
 (٤) القمر ١.
 (٥) يوسف ٥١.
 (٦) التوبة ١٠١.
 (٧) اللور ٣٥.
 (٨) التوبة ٥٥.
 (٩) يوسف ٣٠.
 (١٠) النسخ: التفسير ج ٢ ص ٣١٤.
 (١١) النحل ٩٢.
 (١٢) النسخ: التفسير ج ٢ ص ٤٣٠.
 (١٣) التكوير ١.
 (١٤) النسخ: التفسير ج ٤ ص ٤٩٠.

فالنسفي هنا يختار رأى البصريين في إعراب الاسم المرفوع بعد (إن) وإذا الشرطيتين^(١) لأنه قال أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ﴾^(٢): «أحدٌ مرتفع بفعل الشرط مضمراً يفسره الظاهر أى: إن استجارك أحد استجارك»^(٣).

المطابقة في التوابع:

عرف ابن مالك التابع بقوله: «ماليس خبراً، مشارك لما قبله في إعرابه، وعامله مطلقاً وقريب منه ما شرح به الأشمونى نص الألفية «هو المشارك لما قبله فى إعرابه الحاصل والمتجدد غير خبر»^(٤).

والتوابع عند جمهور النحاة هى كل ثان يعرب بإعراب سابقه من جهة واحدة، فالسابق يشغل الموقع النحوى المعين فيكتسب الحالة الإعرابية على الأصالة فإذا ما تبعه عنصر آخر جرى عليه فى الإعراب وهى: النعت، التوكيد، عطف البيان، البدل، عطف النسق^(٥).

وتتشابه التوابع فى أمور معنوية، وأمور شكلية، أما الأمور المعنوية فهى كلها تقوم بوظيفة التوضيح أو التخصيص أو التثبيت أو التوكيد، فى عناصر لغوية سابقة (أسماء غالباً) وأما الأمور الشكلية فإنها جميعاً تأتى تابعة لما قبلها، وهو ما يعرف عند النحاة بجريان التابع على المتبوع^(٦). والمطابقة أى التشابه بين شيئين، أو موافقة أحدهما الآخر، وجريه عليه ومتابعته إياه فى علامات تركيبية تقل أو تكثر سمة واضحة من سمات نحو العربية.

المطابقة فى النعت:

النعت: تابع اسمى فعلى هو جزء من متبوعه، وهو أشهر أنواع التوابع وأكثرها استعمالاً، وهو مصطلح نحاة الكوفة، ويسميه البصريون صفة أو نعت، ويرى أبو العلاء أن النعت لما يتغير من الصفات، والصفة لما يتغير وما لا يتغير فالصفة أعم من النعت^(٧).

(١) ابن الأنبارى: الإنصاف فى مسائل الخلاف ج ٢ ص ٦١٥، والزبيدى: إئتلاف النصرة فى اختلاف نحاة الكوفة والبصرة - تحقيق طارق الجناى - عالم الكتب، الأول ١٩٨٧ ص ١٢٩، وغيرها.

(٢) التوبة: ٦.

(٣) النسفى: التفسير ج ٢/١٦٩.

(٤) السيوطى: جمع الهوامع ١١٥/٢، والأشمونى: نهج السالك إلى ألفية ابن مالك، سابق، ٥٧/٣.

(٥) محمود عبد السلام شرف الدين: التوابع بين القاعدة والحكمة، دار الثقافة العربية، القاهرة، الثالثة ١٩٨٩ ص ١١.

(٦) نفسه ١١ - ٨٣ - ٧١.

(٧) السيوطى: جمع الهوامع ١١٦/٢، وسيبويه فى الكتاب استخدم المصطلحين ٤٢١/١، ٤٣٧، ج ٢ ص ٤٩، وأبو هلال العسكري - الفروق اللغوية ص ١٨.

ومطابقة النعت ومنعوتيه إنما تجب لأنهما كالشيء الواحد؛ لأن النعت يخرج المنعوت من نوع إلى نوع أخص منه، فالنعت والمنعوت بمنزلة نوع أخص من نوع المنعوت وحده، والمطابقة في النعت المفرد من حيث التعيين إمامعرفة وأما نكرة، ومن حيث الإعراب والعدد والنوع إذا كان النعت حقيقياً، وإذا كان النعت سببياً فيجب أن يتطابق مع المنعوت من حيث التعيين والإعراب، وهو في العدد والنوع كالفعل^(١).

نفي تفسير النسفي:

تعرض النسفي في تناوله لآيات القرآن الكريم ببيان إعرابي أو توجيه وتخريج قراءاته ومما تعرض له في مطابقة النعت والمنعوت ما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿فَأَتُوا بِعَشْرِ أَمْثَلِهِ مَفْتَرِيَاتٍ﴾^(٢)، قال: «مفتريات صفة لعشر سور»^(٣).

٢ - ﴿بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾^(٤)، قال: «ارتفع فارض لأنه صفة لبقرة»^(٥).

٣ - ﴿هَذَا عَذَابٌ فَرَاتٌ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾^(٦)، «فرات صفة لعذب، وأجاج صفة للملح»^(٧).

٤ - ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾^(٨)، قال: «بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور، والجر على على اللفظ»^(٩).

ومثلها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ﴾^(١٠)، قال: «برفع أليم مكى وحفص، ويعقوب صفة لعذاب، أى: عذاب أليم.. وغيرهم بالجر صفة لرجز»^(١١).

(١) الرضى: شرح الكافية ١/٣٠٨، ٣١١، وابن عقيل: شرح الألفية ٢/١٩٣ - ١٩٤ وغيرها.

(٢) هود ١٣.

(٣) النسفي: التفسير ج ٢ ص ٢٦٢.

(٤) البقرة ٦٨.

(٥) النسفي: التفسير ج ١ ص ٩٧.

(٦) الفرقان ٥٠.

(٧) النسفي: التفسير ج ٣ ص ٢٥٠.

(٨) هود ٥٠.

(٩) النسفي ج ٢ ص ٢٧٦، والجر قرأ به الكسائي وأبو جعفر - اتحاف فضلاء البشر للدمياطي ج ٢ ص ١٢٨.

(١٠) سبأ ٥.

(١١) النسفي: التفسير ج ٣ ص ٤٦٣، وبالجر الباقر (أبو عمرو - وحمزة والكسائي - وأبو بكر عن

عاصم) السبعة ٥٢٦.

وإذا لم يكن النسفى قد أشار فى هذه الآيات وغيرها إلى قرينة المطابقة إلا أنه أشار صراحة إلى ذلك فى مواضع هى:

- ١ - فى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾^(١) قال: «ولم تجمع الصفة كالموصوف لأنهما لغتان فصيحتان»^(٢)، فالمنعوت جمع تكسير والنعت مفرد مؤنث.
- ٢ - فى قوله تعالى: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لُّونُهَا﴾^(٣) قال: «هو توكيد لصفراء وليس خبراً عن اللون إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل، ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها»^(٤).

ويلمح فى موضع ثالث عند قوله تعالى: ﴿وَمَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾^(٥) فيقول: «الحسنى تأنيث الأحسن صفة للكلمة»^(٦).

وعن المطابقة يقول فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾^(٧): «الظالم وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها فأعطى إعراب القرية؛ لأنه صفتها، وذكر لإسناده إلى الأهل، كما نقول من هذه القرية الظالم أهلها»^(٨).

قرينة المطابقة فى التوكيد اللفظى والمعنوى فى تفسير النسفى:

ألمح النسفى إلى ذلك فى موضعين أحدهما فى اللفظى والآخر فى المعنوى فمن الأول ما جاء حول قوله تعالى: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْكُمْ مَخْرَجُونَ﴾^(٩)، حيث قال: «وثنى (أنكم) للتأكيد، وحسن ذلك للفصل بين الأول والثانى بالظرف»^(١٠).

(١) البقرة ٢٥.

(٢) النسفى: التفسير ج ١ ص ٧٢.

(٣) البقرة ٦٩.

(٤) النسفى: التفسير ج ١ ص ٩٨.

(٥) الاعراف ١٣٧.

(٦) النسفى: التفسير ج ١ ص ١٠٧.

(٧) النساء ٧٥.

(٨) النسفى: التفسير ج ١ ص ٣٤٥.

(٩) المؤمنون ٣٥.

(١٠) النسفى: التفسير ج ٣ ص ١٧٩.

ومن الثانى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ﴾^(١) فقد قال: «كلهن بالرفع تأكيد لنون يرضين، وقُرئ شاذاً (كلهن) بالنصب تأكيد لـ (هن) فى آتيتهن»^(٢).

توبينة المطابقة فى البذل فى تفسير النسفى:

البذل كما عرفه ابن الحاجب: «تابع مقصود بما نسب إلى المتبوع دونه»^(٣)، ويسميه الكوفيون الترجمة والتبيين أو التكرير^(٤).

أجاز النحاة إبدال النكرة من المعرفة كما فى قوله تعالى: ﴿لَسَفْعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾^(٥)، وتابعهم النسفى بقوله: «ناصية بدل من الناصية»^(٦)، كما أجازوا إبدال الظاهر من المضمّر كما فى قوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا آيَةً مِنْكَ﴾^(٧) ووافقهم النسفى فقال: «لأولنا بدل من (لنا) بتكرير العامل»^(٨)، ومثلها فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾^(٩)، قال النسفى: «هو بدل من الضمير أى الواو»^(١٠).

رأى النسفى فى مسائل نحوية أخرى:

وفيما يلى استجلاء لموقف وفكر النسفى واختياراته النحوية التى تؤكد أنه متمكن من استخدام أدواته التفسيرية وعلى رأسها فكره النحوى.

(١) الأحزاب ٥١.

(٢) النسفى: التفسير ٤٥٠/٣ - وبالنصب قرأها أبى إياس جؤية بن ساعد كما فى مختصر الشواذ لابن خالويه ١٢١ والمحتسب فى تبیین وجوه القراءات والإيضاح عنها لابن جنى - المجلس الأعلى ج٢/١٨٢ وأبو حيان: البحر المحيط ٢٤٤/٧.

(٣) الرضى: الكافية فى النحو ٣٣٧/١.

(٤) السيوطى: معجم الهوامع ١٢٥/٢.

(٥) العلق ١٦/١٥.

(٦) النسفى: التفسير ٥٤٢/٤.

(٧) المائدة ١١٤.

(٨) النسفى: التفسير ٤٤٤/١.

(٩) المائدة ٧١.

(١٠) النسفى: التفسير ٤٢٥/١ والعبرى: الإملاء ٢٣٢/١ و٢٩٠/٢، وابن الإنبارى: البيان ٣٠١/١ والنحاس إعراب القرآن ٣٣/٢ والأخفش: معانى القرآن ٤٧٤/٢ - ٤٧٥.

١ - دخول الفاء في الخبر:

وهي مسألة من المسائل الخلافية التي اختلف فيها النحاة المتأخرون بين الإجازة والمنع وقد فصل فيها ابن الحاجب أقوال النحاة وأدلتهم في الأمالي النحوية والإيضاح في شرح الفصل^(١).

وقد تعرض النسفي لهذه القضية وأجاز دخول الفاء في الخبر ويؤكد ذلك في موضع حول قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ﴾^(٢)، فيقول: «قال الزجاج: الفاء في فإنه للعطف، وإنما كرره للتأكيد، ورد عليه أبو علي، وقال: «إِنَّ (مَنْ) إِنَّ كَانَ لِلشَّرْطِ فَالْفَاءُ دَخَلَ بِجِزَاءِ الشَّرْطِ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى الَّذِي فَالْفَاءُ دَخَلَ عَلَى خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ وَالتَّقْدِيرُ أَنَّهُ يُضِلُّهُ»^(٣).

وقد أجاز ذلك البصريون ماعدا سيبويه، وكذلك وافقهم الكوفيون ففي قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾^(٤).

وقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٥)، فقد جاء في تفسيرها قوله: «ودخول الفاء لتضمنها معنى الشرط، لأن المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما، والاسم الموصول يضمن معنى الشرط»^(٦)، وفي الموضع الثاني قال: «ودخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي، وتضمن معنى الشرط»^(٧)، وفي قول المولى عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾^(٨)، يقول: «فالذين مرفوع بالابتداء... ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط»^(٩).

(١) ابن الحاجب: الأمالي النحوية: تحقيق فخرالدين قدارة - دارالجيل، الأولى ١٩٨٩ جـ ٢ ص ٤٧٩ والإيضاح في شرح المفصل تحقيق: موسى بنأي العللي - بغداد جـ ١ ص ٢١٦.

(٢) الحج ٤.

(٣) النسفي جـ ٣ ص ١٤٢، والزجاج معاني القرآن وإعرابه جـ ٣ ص ٤١١.

(٤) المائدة ٣٨.

(٥) النور ١.

(٦) النسفي: التفسير ٤٠٩/١.

(٧) نفسه ٩٥/٣.

(٨) النور ٣٣.

(٩) النسفي: التفسير جـ ٣/٢١١ وينظر ص ٨٢.

٢ - الجر على الجوار:

وقد أجازته جمهور البصريين والكوفيين ورفضه من النحاة ابن جني والسيرافي وأبو حيان^(١).

وقد أجازته الفراء والزمخشري وابن هشام الذي في المغنى بلا قيد، وعده من الشذوذ في شرح شذور الذهب^(٢).

ومن شواهد النحاة على الجر بالجوار في التوايح:

✕ قول امرئ القيس: (طويل)

كَأَنَّ أَبَانَا فِي عَرَانِينَ وَبَلِيهِ . . . كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(٣)

وقول أبي الغريب (بسيط):

يَا صَاحِبَ بَلَّغْ ذَوَى الزَّوْجَاتِ كُلَّهُمْ . . . أَنْ لَيْسَ وَضَلٌّ إِذَا انْحَلَّتْ عُرَى الذَّنْبِ^(٤)

وقال ابن جني: «فأما عندنا نحن فإنه أراد مُزْمَلٍ فيه فحذف حرف الجر، فارتفع الضمير فاستتر في اسم المفعول»^(٥).

أما النسفي فقد وافق رأى جمهور النحاة وعد منه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾^(٦)، بالجر، وهي قراءة أحمد عن أبي عمرو^(٧)، وقال في ذلك على ما في القراءة من شذوذ: «وقرئ بالجر على الجوار»^(٨).

والجواب

(١) السيوطي: همع الهوامع ٥٥/٢ وأبو حيان البحر المحيط: ٢٦٥/٦، وإبجل الخصاص ٢٢٣/٣.

(٢) ابن هشام مغنى اللبيب ٦٨٣ وشرح شذور الذهب ٣٣٠، ٣٣١، والزمخشري: الكشف ١٠٠/٥.

(٣) امرئ القيس ديوانه - تحقيق محمد أبو الفضل - دار المعارف - الخامسة سنة ١٩٩٠ ص ٢٥، هكذا كأن أبانا في أفانين ودقه، وهكذا قال الأصمعي راوى الديوان أنه على الجوار.

(٤) بلا نسبة في المغنى ٦٨٣ والشذور ٣٣١، ونسبه عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية - الخانجي، الأولى

١٩٧٢ ص ٦١ إلى أبي الغريب ونسبه البغدادي في الخزانة إلى أبي الجرح العقيلي ج ٥ ص ٩٣.

(٥) ابن جني: الخصاص ٣٢٣/٣ والبغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - تحقيق عبد السلام هارون - الخانجي، الثانية ج ٥ ص ٨٦: ١٠١.

(٦) طه: ٨٠.

(٧) ابن خالويه: مختصر الشواذ ص ٩٥.

(٨) النسفي: التفسير ج ٣ ص ٩٥.

٣ - عطف الاسم الظاهر على المضمير المجزوء:

رفض فريق من النحاة عطف الاسم الظاهر على المضمير المجزوء دون إعادة حرف العطف ومن هؤلاء ابن الأنباري والمبرد والأزهري والزمخشري وردوا قراءة حمزة لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(١).

قال الأزهري: «وأما خفض الأرحام على قراءة حمزة فهي ضعيفة عند جميع النحويين»^(٢) وقال الزمخشري: «والجر على عطف الظاهر على المضمير وليس بسديد»^(٣). وأفرط المبرد في رده حينما قال: «لو أني صليت خلف إمام فقرأ بها لقطعت صلاتي»^(٤). وذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على المضمير المخفوض، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز»^(٥).

وقد وافقهم في النسفي في رفض القاعدة ورد القراءة فقال في الآية: «وبالجر حمزة على عطف الظاهر على المضمير، وهو ضعيف؛ لأن المضمير المتصل كاسمه متصل، والجار والمجرور كالشيء الواحد فأشبه العطف على بعض الكلمة»^(٦).

وقد استدلل فريق من النحاة أجازوا المسألة بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٧) في قراءة الجميع بجر «والمسجد»، ولكن النسفي الذي يرفض القاعدة يستمر على الرفض ويقول في توجيه هذه الآية: «والمسجد الحرام عطف على سبيل الله، أي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، وزعم الفراء أنه معطوف على الهاء في به»^(٨)، أي كفر به وبالمسجد

(١) النساء: ١ والسبعة ٢٢٦.

(٢) الأزهري: معاني القراءات - عيد درويش وآخر - دار المعارف القاهرة، الأولى ١٩٩٣ ج ١ ص ٢٩٠.

(٣) الزمخشري: الكشاف ج ٢ ص ٦.

(٤) الحريري: درة الفواص في أوام الخواص - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٩٧ ص ٥٦.

(٥) ابن الأنباري: الأنصاف في مسائل الخلاف ٤٦٣/٢ وما بعدها.

(٦) النسفي: التفسير ٣٠٥/١.

(٧) البقرة: ٢١٧.

(٨) الفراء: معاني القرآن ٨٦/٢، ٨٧.

الحرام، ولا يجوز عند البصريين العطف على الضمير المحرور إلا بإعادة الجار، فلا تقول مررت به / وزيد ولكن تقول وبزيد، ولو كان عطفاً على الهاء هنا لقليل وكفر به وبالمسجد الحرام»^(١).

ومما استدل به المجوزون ومنهم الفراء وابن قتيبة وأبو حيان والفخر الرازي قول مسكين

الدارمي (الطويل):

نَعَلَقُ فِي مَثَلِ السَّوَارِي سَيُوفَنَا . . . وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَقَانِفُ^(٢)

وقول الآخر: (بسيط)

فَالْيَوْمَ قَرَّبْتُ تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا . . . فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ^(٣)

ووافقهم ابن مالك واستدل بالعديد من الآيات منها: (طويل)

إِذَا وَقَدُوا نَارًا لِحَرْبٍ عَدُوَّهُمْ . . . فَقَدْ خَابَ مَنْ يَصْلَى بِهَا وَسَعِيرُهَا^(٤)

ويرفض أبو حيان مسلك النحاة في ردهم لقراءة حمزة فيقول: «ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون»^(٥).

٤ - العامل في الاسم المرفوع بعد إذا وإن الشرطيتين:

اختلف النحاة في عامل الرفع في الاسم المرفوع بعد (إذا) و(إن) الشرطيتين، فالكوفيون يرون أنه يرتفع بالعائد، أي بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل. ويرى الأخفش أنه مبتدأ.

(١) النسخة: التفسير ١/١٧٢.

(٢) نسبه له الجاحظ في الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون - ط عيسى الحلبي ج٦ ص ٤٩٤، والنحاس: إعراب القرآن ١/٤٣١.

(٣) بلا نسبه في الكتاب لسيبويه ٢/٣٨٢، وابن السراج: الأصول ٢/١١٩ وابن عصفور: المقرب ج١ ص ٢٣٤، وابن يعيش: شرح المفصل ٣/٧٨، وابن الأنباري: الإنصاف ٢/٤٦٥.

(٤) ابن مالك: شرح عمدة الحافظ وعدة اللافت - عدنان الدوري - بغداد. د.ت ج٢ ص ٦٥٩ وما بعدها، وله في شرح شواهد التوضيح من مشكلات الجامع الصحيح - محمد فؤاد عبد الباقي - ص ٤٨٦، وابن الناطم - شرح الألفية - عبد الحميد السيد - دارالجيل سنة ١٩٩٨، ص ٥٤٥.

(٥) أبو حيان: البحر المحيط ٣/٥٩، وللمزيد: السيوطي: الأشباه والنظائر ٢/٣٠٧، وابن قتيبة: تفسير غريب القرآن - السيد صقر - الأولى ١٩٧٣ ص ١١٨.

ويرى البصريون أنه فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور^(١).
وقد اختار النسفي رأى البصريين، وهو الراجع لدى جمهور النحاة فقال فى قوله تعالى:
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ﴾^(٢): «أحد مرتفع بفعل الشرط مضمراً يفسره الظاهر،
أى: إن استجارك أحد استجارك»^(٣) وكذلك فى قول الحق سبحانه: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٤)
يقول: «ارتفاع الشمس بالفاعلية ورفعها فعل مضمير يفسره (كورت)؛ لأن إذا يطلب الفعل لما فيه
من معنى الشرط»^(٥).

٥ - عدم إعمال اسم الفاعل بالنصب فيما بعده إذا دل على المضى:

اشتراط جمهور النحاة لإعمال اسم الفاعل عمل فعله شروطاً منها:

١ - أن يكون دالاً على الحال أو المستقبل أو الاستمرار التجددى لا على الماضى، لأنه
عمل حملاً على الفعل المضارع، والفعل المضارع يدل على الحال أو المستقبل قال تعالى: ﴿فَالْقُ
الْإِصْبَاحَ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾^(٦).

ويرى الكسائى وهشام والفراء والأخفش جواز إعمال اسم الفاعل بمعنى الماضى واستدلوا
بقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾^(٧).

وقد رد المانعون بأن الآية يراد بها حكاية الحال بدليل أن الواو فى (وكلبهم)
واو الحال وأنه سبحانه قال قبل ذلك ونقلبهم ذات اليمين ولم يقل وقلبناهم^(٨).

(١) الزبيدى: إئتلاف النصرة فى اختلاف نحاة الكوفة والبصرة - سابق ص ١٢٩، وابن الإنبارى: الانصاف ٢ ص ٦١٥، والمكبرى: اللباب فى علل البناء والإعراب، سابق، ج ٢ ص ٥٧ وما بعدها.

(٢) التوبة ٦.

(٣) النسفى: التفسير ١٦٩/٢.

(٤) التكوير: ١.

(٥) النسفى: التفسير ج ٤ ص ٤٩٠.

(٦) الأنعام: ٩٧.

(٧) الكهف ١٨، ورأى الكسائى فى معانى القرآن له - جمع عيسى شحاته - دار قباء، الأولى ١٩٩٨ ص ١٨٥ والقرطبى - الجامع لأحكام القرآن ٤٠٠٢/٥، والسيوطى: الهمع ٩٥/٢.

(٨) عبد الرحمن السيد: من كتاب الكفاية فى النحو - دار الثقافة العربية ١٩٨٩ ص ٢٤٥.

ومن هؤلاء ابن الأنباري والمكبري وابن عصفور وابن مالك والرضي وغيرهم^(١).

وقد وافق النسفي رأى المانعين فقال في توجيه إعراب الآية: «حكاية حال، ماضية؛ لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي»^(٢)، ففي هذه المسألة يختار رأى الجمهور، وهو الرأى الأصوب.

٦ - مجيء الحال جملة فعلية فعلها ماض:

أجاز الكوفيون مجيء الحال جملة فعلية فعلها ماض، ووافقهم الأخفش من البصريين، ومنع جمهور نحاة البصرة وقوع الجملة الفعلية وفعلها ماض، وأجمعوا على أنه إذا كانت معه (قد) أو كان وصفاً محذوف فإنه يجوز أن يقع حالا^(٣).

وقد اختار النسفي رأى البصريين في الآيات التي استدلت بها الكوفيون ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾^(٤).

قال النسفي: «أمواتاً نطفاً في أصلاب آبائكم للحال، وقد مضت»^(٥)، وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ مِّنْ دُونِهِمْ﴾^(٦)، يقول: «حال بإضمار قد»^(٧)، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾^(٨) «أى وقد خلق الجن، فكيف يكون مخلوق شريكاً

(١) ابن الأنباري: البيان في غريب إعراب القرآن - الهيئة المصرية سنة ١٩٨٠ ج ٢ ص ١٠٣، والمكبري: اللباب ٤٣٧/١ وإملاء ما من به الرحمن ١٠٠/٢، وابن يعيش - شرح المفصل ٧٧/٦، والرضي شرح الكافية ٤١٨/٣، وابن عصفور: المقرب ١٩١ وابن مالك شرح عدة الحافظ ٦٧٣/٢، والأشموني ٢٩٣/٢ وغيرها.

(٢) النسفي: التفسير ج ٣ ص ١٦.

(٣) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٥٢/١، والرضي - شرح الكافية: ٤٥/٢، وابن يعيش شرح المفصل ٦٧/٢.

(٤) البقرة ٢٨.

(٥) النسفي: التفسير ٧٧/١.

(٦) النساء ٩٠.

(٧) النسفي: التفسير ٣٥٣/١.

(٨) الأنعام ١٠٠.

خالقه والجملة حال» ^(١) وكذلك في قول تعالى: ﴿وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ ^(٢).
فيقول «واستيقنتها للحال، وقد مضمرة» ^(٣).

والرأى الأرجح هو رأى جمهور النحاة، ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن يكون الرأى الأفضل أن يقول النحاة بجواز مجيء الحال جملة فعلية فعلها ماضى سواء أكان مسبوقة بقد وهو الكثير أو غير مسبوقة بها وهو القليل» ^(٤) استناداً إلى الآيات السابقة.

٧ - إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة:

من الأمور الكلية التى يتخرج عليها ما لا يتحصر من الصور الجزئية إعطاء الشيء حكم ما أشبهه، فى معناه أو فى لفظة، أو فيهما ^(٥)، ومن ذلك إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة.

قال النسفى فى قوله تعالى ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ^(٦)، ولم يقل: بين (ذنيك) مع أن بين يقتضى شيئين فصاعداً؛ لأنه أراد بين هذا المذكور، وقد يجرى الضمير مجرى اسم الإشارة فى هذا، قال أبو عبيدة: قلت لرؤية: فى قوله:

فِيهَا خُطُوطٌ مِّنْ سَوَادٍ وَبَهَقٍ . . . كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلَّيْعُ الْبَهَقِ ^(٧)
إن أردت الخطوط فقل، كأنها، وإن أردت السواد والبهق فقل كأنهما فقال: أردت كأن
ذاك» ^(٨).

قال ابن هشام: «وهذا الباب واسع، ولقد حكى أبو عمرو بن العلاء أنه سمع شخصاً من أهل اليمن يقول: فلان لغوب أته كتابى فاحتقرها، فقال له: كيف قلت: أته كتابى؟ فقال: أليس الكتاب فى معنى الصحيفة؟» ^(٩).

(١) النسفى: التفسير ١/٣٩.

(٢) النمل ١٤.

(٣) النسفى: التفسير ٣/٢٩٩.

(٤) هو الدكتور/ أحمد مكي الأنصارى - نظرية النحو القرآنى - سابق، ص ١٢٣، وهو رأى أبى حيان كما فى معجم الهوامع للسيوطى ج ١ ص ٢٤٧.

(٥) ابن هشام: مغنى اللبيب: ص ٦٧٤.

(٦) البقرة ٦٨.

(٧) البيت والحكاية والتوجيه لرؤية فى مجالس ثعلب - تحقيق عبد السلام هارون - الرابعة ١٩٨٠، ج ٢ ص ٣٧٥، ومجالس العلماء للزجاجى - تحقيق عبد السلام هارون - الخانجى، الثانية ٢١١، ومجاز القرآن لأبى عبيدة -

سابق، ج ٢ ص ٤٣، ٤٤.

(٨) النسفى: التفسير ج ١ ص ٩٧.

(٩) ابن هشام المغنى ص ٦٧٨.

وفى هذه المسألة دليل على سعة اطلاع النسفى وتنوع مصادره التى اعتمد عليها فى التوجيه اللغوى أو التخريج النحوى للنصوص القرآنية.

٨ - العطف على اسم (إِنَّ) بالرفع قبل مجيء الخبر:
من المسائل التى اختلف فيها النحاة مسألة جواز العطف على اسم (إِنَّ) المؤكدة الناصبة بالرفع قبل تمام الخبر.

فقد رأى الكوفيون أنه يجوز العطف على موضع (إِنَّ) قبل تمام الخبر على الإطلاق عند الكسائى، وقيدوه الفراء بأنه لا يجوز إلا فيما لم يظهر فيه عمل إِنَّ^(١).

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز العطف على الوضع قبل تمام الخبر على كل حال^(٢). واحتج الكوفيون بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣)، وقول العرب: «إنك وزيد ذاهبان»^(٤).

واحتج البصريون بأن فى الآية تقديمًا وتأخيرًا، والتقدير: ان الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابون والنصارى كذلك^(٥).

وقد اختار النسفى رأى البصريين فى توجيه هذه الآية نحويًا فقال: «قال سيبويه وجميع البصريين: ارتفع (الصابون) بالابتداء وخبره محذوف، والنية به التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها كانه، قيل: ان الذين آمنوا، والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابون كذلك، أى: من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدم وخوف الخبر كقوله: (طويل):

(١) الكسائى: معانى القرآن: سابق، ص ١٢٥، ١٢٦ - والفراء: معانى القرآن ج ١ ص ٣١٠، ٣١١، ٣١٢.

(٢) ابن الأنبارى: الأنصاف فى مسائل الخلاف: ١/١٨٦.

(٣) المائدة: ٦٩.

(٤) سيبويه الكتاب - ج ٢/١٥٥.

(٥) نفسه ١٥٥/٢ والأنصاف ١/١٨٧، وغيرها كما فى إئتلاف اللسرة فى اختلاف نحاة الكوفة والبصرة للزبيدي ١٦٧.

فَمَنْ يَكُ أَمْسٌ بِالْمَدِينَةِ رَحَلَهُ . . . فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ^(١)
 أى فإنى لغريب وقيار كذلك، ودل اللام على أنه خبر إن، ولا يرتفع بالعطف على كل إن
 واسمها؛ لأن ذا لا يصح قبل الفراغ من الخبر، لا تقول إن زيدا وعمرو منطلقان، وإنما يجوز إن
 زيدا منطلق وعمرو، والصابئون مع خبره المخدوف جملة معطوفة على جملة قوله: (إن الذين
 آمنوا) إلى آخره ولا محل لها، كما لا محل للتي عطفت عليها^(٢).
 ومن أجاز العطف على اسم إن بالرفع قبل تمام الخبر ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن
 فقال: «والبصريون يجيزونه ويحكمون» إن الله وملائكه يصلون على النبي^(٣)، برفع التاء فى
 ملائكته^(٤)، وينشدون^(٥) .. البيت السابق..

فالنسفى يقدم التوجيه الإعرابى، ويذكر آراء النحاة، ويستدل بما استدلوأ به ويقدم التعليل
 الذى ارتضاه النحاة لتوجيه النص القرآنى فى تمكن وبصيرة وإطلاع وحجة وبيان^(٦).

٩ - عدم جواز الفصل بين الصفة والموصوف:

يرى فريق من النحاة عدم جواز الفصل بين الصفة والموصوف؛ لأنهما كشىء واحد
 بخلاف المعطوف والمعطوف عليه^(٧).
 وأجاز ابن عصفور الفصل بين الصفة والموصوف بجمل الاعتراض كما فى قوله تعالى:
 ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(٨)، ولا يجيزه فيما عدا ذلك إلا فى ضرورة الشعر^(٩).

(١) البيت لضابىء بن الحارث البرجمى - فى الكتاب لسبويه ج١ ص ٧٥، والخليل ابن أحمد - الجمل فى النحو
 تحقيق: فخر الدين قباوة، الرسالة - بيروت - الثانية ١٩٨٧، ص ١٢٩، وابن السراج: الأصول فى النحو
 ج١/٢٥٧ والبغدادى: خزانة الأدب ٣١٢/١٠.

(٢) النسفى: التفسير ٤٢٤/١.

(٣) الأحزاب ٥٦.

(٤) قراءة محمد بن سليمان أمير البصرة فى مجالس العلماء للزجاجى سنة ١٩٨٣، ص ٤٥ وعبد الوارث عن أبى عمرو
 فى مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٢١.

(٥) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ٥٦.

(٦) ابن الأنبارى: البيان ٣٠٠/١، وأسرار العربية ١٥٢ - إعراب الدحاس ٣٢/٢ وابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل
 المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات - دارالكتاب العربى سنة ١٩٦٧ ص ٦٦.

(٧) السيوطى: الأسبأ والنظائر ٣٠٥/٢.

(٨) الواقعة ٧٦.

(٩) ابن عصفور: المقرب ٢٢٨/١، وشرح الجمل ٢٢١/١.

وكذلك فإن النسفى يرى أنه لا يجوز الفصل بين الموصوف وصفته إلا بجمل الاعتراض ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾^(١) فيقول: «ولها كتاب، جملة واقعة صفة لقريّة، والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما فى قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾»^(٢) وإنما توسّطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف إذ الصفة ملتصقة بالموصوف بلا (واو) فجاء بالواو تأكيداً لذلك، والوجه أن تكون هذه الجملة حالاً لقريّة لكونها فى حكم الموصوفة كأنه قيل: وما أَهْلَكْنَا قَرْيَةً مِنْ الْقَرْيِ لَا وَصفاً^(٣) فهنا لا يجيز الفصل لكنه فى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(٤)، يقول: «واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته»^(٥)، قال الرضى: أتوا بالواو لحصول الفصل بين الموصوف وصفته التى هى جملة، فحصل للصفة انفصال من الموصوف بوجهين: بكونها جملة وبإلا فجاء بالواو رابطة^(٦).

١ - حروف الصلة فى القرآن الكريم:

عرض الإمام الزركشى فى القسم السادس والعشرين من البرهان قضية الزيادة فقال: «الأكثرُونَ ينكرون إطلاق هذه العبارة فى كتاب الله ويسمونّه التأكيد، ومنهم من يسميه الصلة، ومنهم من يسميه المقحم»^(٧).

وقد اختلف فى وقوع الزائد فى القرآن فمنهم من أنكره، قال الطرطوسى فى العمدّة: زعم المبرد وثعلب ألا صلة فى القرآن، والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلة فى القرآن وقد وجد ذلك على وجه لا يسعنا إنكاره فذكر كثيراً^(٨).

وقد أجازّه ابن الخشاب فقال: «والأكثرُونَ على جوازه نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم، وأنكره السيوطى وقال: «فإن الزائد قد يفهم منه لا معنى له، وكتاب الله منزّه عن ذلك»^(٩).

(١) الحجر ٤.

(٢) الشعراء ٢٠٨.

(٣) النسفى: التفسير ج ٢ ص ٣٨٦.

(٤) الواقعة ٧٦.

(٥) نفسه ج ٤ ص ٣٢٥.

(٦) الرضى: شرح الكافية ج ٢ ص ١٠٢، وابن الحاجب: الإيضاح فى شرح المفصل ج ١ ص ٣٧٧، والبحر المحيط: ٢٦٠/٤.

(٧) الزركشى: البرهان فى علوم القرآن - محمد أبو الفضل سابق، ج ٣ ص ٩٠:٧٠.

(٨) فاطمة مجبوب: الموسوعة الذهبية فى العلوم الإسلامية، دار الغذ العربى، القاهرة د.ت ج ٢٥ ص ٣٧٨-٣٨٩.

(٩) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ٢ ص ٢٦٨.

والصلة والخشوع من عبارات الكوفيين، والزيادة والإلغاء من عبارات البصريين^(١).
وقد تعرض الإمام النسفي لهذه القضية في عدة مواضع مستخدماً مصطلح الصلة قليلاً
ومصطلح الزيادة غالباً، وإن كان ينص دائماً على أن الغرض هو التأكيد. ومن تلك المواضع:
١ - زيادة الباء في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾^(٢).
يقول: أى منها، والباء زائدة^(٣)، وكذلك في قوله تعالى ﴿بِأَيْكُمْ الْمُفْتُونَ﴾^(٤)، يقول:
«الباء مزيدة»^(٥) ومثلها: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾^(٦) يقول: الباء زائدة أى
هزى جذع»^(٧).

٢ - زيادة (لا) وذلك كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾^(٨) قال النسفي: «لا
زائدة بدليل (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)»^(٩) ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب^(١٠) وكذلك
في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرْكُمْ أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١١) يقول: «ومنهم من جعل لا
مزيدة في قراءة الفتح كقوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾»^(١٢).
ويستخدم مصطلح الصلة فيقول في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(١٣): «لا صلة
كقوله ﴿لئلا يعلم﴾ وقوله: (رجز)

(١) ابن يعيش: شرح المفصل ١٢٨/٨، الفراء: معاني القرآن ٥٧/٣، وابن السراج: الأصول ٢٥٧/٢.

(٢) الإنسان: ٦.

(٣) النسفي: التفسير ج٤ ص ٤٦٥.

(٤) القلم: ٦.

(٥) النسفي: التفسير ج٤ ص ٤٠٩.

(٦) مريم: ٢٥.

(٧) النسفي: التفسير ج٣ ص ٥٤.

(٨) الاعراف: ١٢.

(٩) ص ٧٥.

(١٠) الحديد: ٢٩.

(١١) الأنعام: ١٠٩.

(١٢) الأنبياء: ٩٥، والنسفي: التفسير ج٢ ص ٦٨ وج٤ ص ٣٣٩ وج٢ ص ٤٢، ٤٣.

(١٣) القيامة: ١.

(١٤)

في بنر لا حور سرى وما شعر^(١)

وقوله: (الطويل)
تَذَكَّرْتُ لَيْلَى فَأَعْتَرَتْنِي صَبَابَةٌ . . . وَكَادَ ضَمِيرُ الْقَلْبِ لَا يَتَقَطَّعُ^(٢)

وعليه الجمهور^(٣).

٣ - اللام: وذلك في قوله تعالى: ﴿هِيَآتَ هِيَآتَ لَمَّا تُوْعَدُونَ﴾^(٤).

يقول النسفي: «اللام زائدة، أى بعد ما توعدون من البعث»^(٥).

٤ - ما: وذلك في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ﴾^(٦).

يقول: «ما صلة للتأكيد كالتى فى قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾^(٧).

وفى تفسيره للأخيرة يقول: «أى فبنقضهم و(ما) مزيدة للتوكيد»^(٨)، وفى موضع ثانى

يقول: «ما مزيدة لإفادة تفخيم الأمر»^(٩).

ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿أَيَّا مَا تَدْعُو فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(١٠).

قال: ما زيدت للتوكيد^(١١) وكما جاء فى قوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ﴾^(١٢)

(١) للعجاج فى الفراء - معانى القرآن ج١ ص ٨، وأبو عبيدة: مجاز القرآن ج١ ص ٢٥، وابن فارس: الصحاح فى

فقه اللغة، تحقيق: السيد صقر، مكتبة الحلبي، الأولى ١٩٧٧، ص ٢٦٠.

(٢) بلا نسبة فى الجلى الدانى لمرادى ص ٣٠٢، ورصف المبانى فى شرح حروف المعانى للمالقي ٢٧٤.

(٣) النسفى: التفسير ج٤ ص ٤٥٩.

(٤) المؤمنون ٣٦.

(٥) النسفى: ١٧٩/٣.

(٦) البقرة: ٢٦.

(٧) النساء ١٥٥، المائدة ١٣.

(٨) النسفى: ج١ ص ٧٣.

(٩) نفسه ج١ ص ٣٧٩، ٣٩٩.

(١٠) الإسراء ١١٠.

(١١) النسفى: التفسير ج٢ ص ٤٧٩.

(١٢) المؤمنون ٤٠.

قال: ما زائدة ^(١)، وكقوله تعالى: ﴿جُنُودًا مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ ^(٢) يقول: «ما: صلة مقوية للنكرة» ^(٣).

وقد وافق النسفي في كثير من الآيات آراء جمهور النحاة لكنه في بعضها وافق رأى القليل منهم، كالقول بزيادة (لا) فهو رأى ابن قتيبة والفراء ^(٤).

ويبدو واضحاً ميل النسفي لبيان الغرض البلاغي من التوجيه الإعرابي بما يؤكد تمكنه من ناحية النحو واللغة.

ويميل الباحث إلى الرأى القائل بأنه لا ضرورة للقول بالزيادة في توجيه وتخريج آيات القرآن الكريم نحوياً، ولكن يقال أنها صلة أو توكيد.

(١) النسفي: التفسير ج٣ ص ١٧٩.

(٢) ص ١١.

(٣) النسفي: التفسير ج٤ ص ٥٥.

(٤) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ٢٤٥، ٢٤٧، والفراء: معانى القرآن ج١ ص ٣٧٤، وابن الإنباري: الإنصاف ٢٨٤/١ - والمغنى: ٢٠٨، والجلى الدانى: ٥٢ ووصف المبانى: ٤٣، والثلاثة الأخيرة في عدة مواضع.

تعقيب :

اجتمعت للنسفي في توجيهاته النحوية آيات الذكر الحكيم أدوات المفسر وآداب التفسير، فقد جاءت توجيهاته النحوية للآيات لتدل على تمكنه من مسائل النحو وتعليقات النحاة وروايات اللغة وحجية الاستدلال بالشواهد الشعرية وكيفية توجيه القراءات القرآنية بما يوافقها في العربية.

وإذا كان النسفي مفسراً فقيهاً بصيراً بمسائل الفقه ولا سيما فقه الأحناف - المذهب الذي ارتضاه - من مذاهب أهل السنة فقد كانت له دفاعاته التي رد بها على أهل الشبهات والزيغ من بعض المعتزلة ^(١) ، كما في تعريفه للفسق بأنه: «الخروج عن القصد في اللغة وفي الشريعة: الخارج عن الأمر بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المنزلتين أي منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة، وسيمر عليك ما يطله إن شاء الله» ^(٢).

وكذلك فإن النسفي واسع الإطلاع على المصادر النحوية واللغوية ومصنفات النحاة في إعراب القرآن فقد ذكر آراء صحيحة في مصادرها لسيبويه والزجاج وأبي عبيدة والفراء وأبي على وغيرهم وقد نص على إجماع النحاة في مواضع وكان سديداً في إحالاته غالباً.

جاءت توجيهاته متقاربة أو تكاد تكون مطابقة وموافقة لرأي جمهور النحاة، وهو في ذلك على صواب؛ لأنه يعيش في بيئة تحتاج إلى عدم الإفراط في التوجيهات والتأويلات المتكلفة التي لا توضح النص إنما تضيف عليه غموضاً إذا كان الأمر يحتاج إلى بيان نحوي أو لغوي.

(١) القاضى عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة - تحقيق عبد الكريم عثمان - مكتبة وهبة، الثانية ١٩٨٨، ص ٦٩٧.

(٢) النسفي: التفسير ج ١ ص ٥٠، ١٠٤، ٣١٦، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٤٨، ٣٥٦، ٣٧٨، ٣٨٣، ٣٨٦، ج ٢ ص ٣٣، ٤٠، ٤٨، ٧٤، ج ٣ ص ١٨٢، ٢٣٣، ٣٨٨، ج ٤ ص ٢٥٤.

الفصل الثالث
النسفي الصرفي

تقديم :

الصرف فى اللغة له معان متعددة منها: التوبة ، التحول ، والزيادة ، وصرف الحديث تزيينه بالزيادة فيه ، أى : يزداد فيه ما يحسنه ، أما التصريف فهو مشتق من الصرف للمبالغة والكثرة ، وفعله (صَرَّفَ) ، ومعنى التصريف التغيير ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ ﴾^(١) ، أى : تغييرها وتحويلها من جهة إلى أخرى^(٢) .

وفى الاصطلاح لعلماء الصرف عدة تعريفات منها :

- ١ - تعريف ابن جنى للصرف بأنه «ميزان العربية، وبه تُعرف أصولُ كلام العرب من الزوائد الداخلة عليه»^(٣) .
 - ٢ - تعريف ابن الحاجب : «التصريف علم بأصول تعرف به أحوال أبنية الكلم التى ليست بإعراب»^(٤) .
 - ٣ - وعرفه ابن عقيل بأنه : «علم يبحث فيه أحكام أبنية الكلمة العربية ، وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة واعتلال ، وشبه ذلك ، ولا يتعلق إلا بالأسماء المتمكنة والأفعال»^(٥) .
 - ٤ - وله عند الأشمونى معنيان :
- «الأول : تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعانى كالتصغير ، والكسير ، واسم الفاعل ، واسم المفعول .
- والثانى : تغيير الكلمة لغير معنى طارئٍ عليها لغرض آخر ، وينحصر فى الزيادة والحذف والإبدال ، والقلب ، والنقل ، والإدغام»^(٦) .

(١) البقرة: ١٦٤ .

(٢) أبو عبيد: غريب الحديث ج٢ ص ٣٧٦ ، وابن فارس: مجمل اللغة ج٢ ص ٥٥٤ ، وابن منظور: لسان العرب (صرف) .

(٣) ابن جنى: النصف فى تصريف المازنى: تحقيق إبراهيم مصطفى وآخر - دار إحياء التراث القاهرة ١٩٥٤ ج١ ص ٢ .

(٤) الرضى: شرح شافية ابن الحاجب: تحقيق محمد نور وآخرين - دارالكتب العلمية بيروت ١٩٨٢ ج١ ص ١ .

(٥) ابن عقيل : شرح ألفية ابن مالك ج٤ ص ١١٩ .

(٦) الأشمونى: شرح الأشمونى ج٤ ص ٢٣٦ .

موضوع علم الصرف ومباحثه

ألفاظ العربية من حيث الصحة والاعتلال، والأصالة والزيادة في تصريف الأسماء بثنيتها أو جمعها أو تصغيرها، أو النسبة إليها، ومن حيث الجمود والتصرف، والتعدي واللزوم، والبناء للمعلوم أو المجهول، الإسناد للضمائر في الأفعال^(١).

أغراضه

تكاد تتفق معظم التعريفات على حصر مباحث التصريف التي تتناول الكلمة المفردة في إطار غرضين:

أحدهما: معنى، أى التغيير الذى يعترى الكلمة بسبب استخدامها فى أداء معان مختلفة كتحويل الفعل المجرد إلى مزيد، وتحويل الاسم إلى التثنية أو الجمع أو النسب أو التصغير.

ثانيهما: لفظى، لم يدعُ إليه المعنى، وهذا يكون أيضاً فى كل الأسماء والأفعال، وقد حدد العلماء هذا النوع من التغيير فى ستة أمور منها:

الحذف، والزيادة، والإبدال، والقلب، والنقل، والإدغام^(٢).

ويرى بعض المحدثين: «أن بالإمكان اعتبار معظم التغييرات التى تكون لغرض لفظى بحث من مباحث (علم اللغة) التى تعنى بالدراسة الصوتية واللهجية للكلمة العربية وتطورها^(٣).

والدراسات اللغوية الحديثة ترى أن الأحداث اللغوية تتفاعل عناصرها أثناء الكلام تفاعلاً تاماً كما أن فروع علم اللغة التى تقوم بدراسة هذه الأحداث يعتمد بعضها على بعض بشكل كبير، وبعد النظام الصرفى ثانى مستويات التحليل اللغوى، مسبوقة بالأصوات، أو بالنظام الصوتى باعتبار أن الوحدة التى يعالجها علم الصرف هى المورفيم (Morphem) هى أصغر وحدة ذات معنى فى اللغة المدروسة، ومتبوعاً بالنظام النحوى^(٤).

(١) محمد بدوى المختون: دراسة تطبيقية فى تصريف الأفعال - مكتبة الشباب، القاهرة سنة ١٩٧٧، ص ٩، ١٠.

(٢) عبد الرحمن شاهين: فى تصريف الأفعال - مكتبة الشباب، الأولى سنة ١٩٨٣، ص ١٣، ١٤.

(٣) عبد الرحمن شاهين: فى تصريف الأفعال - السابق ص ١٤.

(٤) تمام حسان: اللغة العربية: سابق ص ٣٢، ومحمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى علم اللغة، سابق ص ٢-٢.

وفي هذا الفصل استعراض للمحات الفكر الصرفي لدى النسخى فى تفسيره من خلال تعرضه لقضايا الاشتقاق والتأنيث، والزيادة والإعلال والإبدال ومسايل متنوعة تعرض لها فى ثنايا محاولته لتفسير ألفاظ الآيات من حيث بنيتها اللغوية.

وقد جاء اختيار هذه المسائل لكثرة ورودها فى تفسير النسخى وتنوع عناصرها من حيث تعلق بعضها بالأسماء وبعضها الآخر بالأفعال.

وحاولت فى كل مسألة أن أقدم لها تعريفاً نظرياً مناسباً قبل الدراسة التطبيقية لها فى تفسير النسخى.

أولاً: مسألة الاشتقاق:

الاشتقاق فى اللغة: اشتقاق الشيء بنيانه من المرجل، واشتقاق الكلام الأخذ منه يميناً وشمالاً، واشتقاق الحرف من الحروف أخذه منه، واشتقاق الفرس فى عدوه: ذهب يميناً وشمالاً واشتقاق الكلام والغصومة، أخذ يميناً وشمالاً وترك القصد^(١).

ونى الاصطلاح:

لعلماء العربية عدة تعريفات للاشتقاق منها:

- ١ - أنه «نزع لفظ من لفظ آخر بشرط مناسبتهم معنى وتركيباً ومفارقتهم فى الصيغة»^(٢).
- ٢ - ويعرفه السيوطى بأنه «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهينة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة لأجلها اختلفاً حروفاً وهينة كضارب من ضرب، و(حذر) من حذر»^(٣).

(١) الزمخشري أساس البلاغة ج١ ص٤٩٩، وابن منظور: لسان العرب (شقق)

(٢) الشريف الجرجاني: التعريفات، مطبعة الحلبي - القاهرة ١٣٥٧ هـ ص٤٩.

(٣) السيوطى: المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها ج١ ص٣٤٦، ٣٤٧.

٣ - أما حاجي خليفة فيقدم له تعريفاً آخر بأنه «علم باحث في كيفية خروج الكلمة بعضها من بعض بسبب مناسبة بين المخرج والخارج بالأصالة والفرعية بحسب الهيئة»^(١).

أما المحدثون فمنهم من عدّه علماً، ومنهم من عدّه وسيلة من وسائل نمو اللغة، فبعض علماء اللغة الغربيين يرون الاشتقاق عبارة عن «أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة، وتزويد كل واحدة منها بما يشبه بأن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها من أين جاءت؟ ومتى وكيف صيغت؟ والتقلبات التي مرت بها، فهو إذن علم تاريخي يحدد صيغة كل كلمة»^(٢).

ويعده الدكتور إبراهيم أنيس «الوسيلة الثانية لنمو اللغة، ولا سيما من حيث الألفاظ والصيغ»^(٣).

أما الدكتور عبد الصبور شاهين فيرى أنه «استخدام الحركات في صوغ الكلمات من المادة على أساس قياس مطرد»^(٤).

أنواع الاشتقاق:

تنبه علماء اللغة منذ القدم إلى فكرة الاشتقاق، وربطوا بين الألفاظ ذات الأصوات المتماثلة والمعاني المتشابهة، ويكاد الصرفيون يتفقون على أن الاشتقاق أنواع، واختلفوا في تحديد مدلول بعض الأنواع، وقد اتفقوا في مدلول الاشتقاق الصرفي أو الصغير أو العام.

الاشتقاق الصرفي العام:

إذا كان بين المشتق والمشتق منه تناسب في الحروف والترتيب مثل: ضَرَبَ من الضَّرَب وضاربٌ، ومضروبٌ؛ وضَرَّابٌ، سمي هذا النوع بالاشتقاق الصرفي العام، وهو نوع قياسي، إذ لا يعقل أن يسمع أصحاب اللغة جميع المشتقات في كل مادة من مواد اللغة^(٥).

(١) حاجي خليفة: ١٠٦٧ هـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٢، ج ١، ص ١٠١.

(٢) فندريس: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي وآخر - الأنجلو المصرية، القاهرة، الأولى سنة ١٩٥٠، ص ٢٢٦.

(٣) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ص ١٢.

(٤) عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام - القاهرة الثالثة، ١٩٨٩، ص ٢٦.

(٥) رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية - الخانجي - الخامسة، ص ٢٩٠، ٢٩٢.

والاشتقاق بهذه الصورة «إحدى الوسائل الرائعة التي تنمو عن طريقها اللغات، وتتسع / ويزداد ثراؤها في المفردات، فتتمكن به من التعبير عن الجديد من الأفكار والمستحدث من وسائل الحياة»^(١).

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن الاشتقاق «يعتبر من أيسر الطرق التي نستمد عبرها حاجتنا من الألفاظ التي نستعوض بها عن كل أعجمى ودخيل»^(٢).

الاشتقاق الكبير:

وهو الذى «يكون بين اللفظين تناسب فى اللفظ والمعنى دون الترتيب نحو جيد من الجذب»^(٣).

— ويعرف عند بعض الباحثين بالإبدال مثل (بَعَثَ)، و(بَحَثَ)^(٤).

ويراه الدكتور على عبد الواحد وفى «ارتباط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعانى ارتباطاً مطلقاً غير مقيد بترتيب، فتدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبط بها كيفما اختلف ترتيب أصواتها»^(٥).

أو هو «الحصول على جذور مختلفة من مادة ذات صوامت مشتركة بواسطة التقليل»^(٦) كما يرى الدكتور عبد الصبور شاهين.

ويرى فريق من الباحثين أن بدايات المنهج كانت لدى الخليل بن أحمد الذى ارتكز على تقليلات المادة اللغوية فى معجم العين، وتابعه ابن دريد فى جمهرة اللغة^(٧). أما معناه فيرى البعض أنه «الحصول على متنوعات من الجذور بواسطة تغيير أحد الصوامت الأصلية»^(٨).

ويرى فريق آخر أنه الإبدال ويؤثرون تسميته بالاشتقاق الأكبر^(٩).

(١) رمضان عبد التواب: فصول فى فقه العربية ص ٢٩٠.

(٢) فاطمة محجوب: الموسوعة الذهبية فى العلوم الإسلامية - دار الفد العربى، القاهرة، الأولى ١٩٩٣ ج ٥ ص ٥٨.

(٣) الشريف الجرجاني: التعريفات ص ٤٩.

(٤) رمضان عبد التواب: السابق ص ٢٩١ هامش ٣.

(٥) على عبد الواحد وفى: فقه اللغة - مكتبة نهضة مصر - الأولى، ص ١٨٠.

(٦) عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية ص ٢٦٣.

(٧) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ص ١٦، ومصطفى مدكور: اللغة الفكر - الشباب القاهرة ١٩٩٣، ص ٨٣.

(٨) عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم ص ٢٦٤.

(٩) على عبد الواحد وفى: فقه اللغة ص ١٨٣، ورمضان عبد التواب: فصول فى فقه العربية ص ٢٩١.

النحت :

ومعنى النحت فى اللغة: النشر، القشر، ونَحَتَ الجبلَ يَنْجَتُهُ، قَطَعَهُ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾^(١)، فالنَحَتُ الخيرُ والبرُّ نَحَتَهُ يَنْجَتُهُ بالكسر إذا يراه، ونَحَتَ الجبلَ: حفره، نَحَتَ العصاةَ: قَطَعَهَا^(٢).

وفى الاصطلاح: ذكر ابن فارس أن «العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار، وذلك مثل: رجل عَبَشَمِيٍّ، منسوب إلى اسمين، وأنشد الخليل: (الوافر) أَقُولُ لَهَا وَدَمَعَ الْعَيْنِ جَارٍ . . . أَلَمْ تَخْزُنْكَ حَيْفَلَةَ الْمُنَادِي

من قوله: حى على، ومن أمثلة قول الشاعر: (طويل) لَقَدْ بَسَمَلَتْ لَيْلَى غَدَاةَ لَقِيَّتُهَا . . . فَيَا حَبَّذَا ذَاكَ الْعَبِيبُ الْمُبَسْمِلُ^(٣)

وهكذا يراه المحدثون فمنهم من قال إنه: «أن تنتزع أصوات كلمة من كلمتين فأكثر أو من جملة للدلالة على معنى مركب من معانى الأصول التى انتزعت منها»^(٤)، أو «النحت من ضروب الاشتقاق فى اللغة، وهو أن تعتمد إلى كلمتين أو جملة فتنتزع من مجموع حروف كلماتها كلمة مفردة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها على سبيل الاختصار»^(٥). وإذا كان الاشتقاق فى أغلب صورهِ عملية إطالة بنية الكلمات فإن النحت اختزال واختصار فى الكلمات والعبارات^(٦).

وفى العربية المعاصرة مصطلحات حرمانى (حرارة + ماء)، وبرمانى (بر + ماء) وشبلور (شبه + بلور) ويطلق على هذا النوع أحياناً الاشتقاق المركب^(٧).

(١) الشعراء ١٤٩.

(٢) السرقسطى: الأفعال، تحقيق حسين شرف، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة، الثانية ١٩٩٢ جـ ٣ ص ٨٣، ولسان العرب (نحت).

(٣) ابن فارس: الصحاح: سابق، ص ٤٦١، والسيوطى: المزهرة ١/٤٨٢.

(٤) على عبد الواحد وافى: فقه اللغة ١٨٦.

(٥) رمضان عبد التواب: فصول فى فقه العربية ص ٣٠١، وعبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم، سابق، ص ٢٨٥.

(٦) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ص ٨٦.

(٧) عبد الصبور شاهين: السابق ص ٢٨٧، فاطمة محجوب: الموسوعة الذهبية، سابق جـ ٥ ص ٥٩٥.

أصل المشتقات :

شغلت قضية الأصل والفرع حيزاً في الدراسات النحوية والصرفية غير قليل، فمن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل، ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل على حد تعبير ابن الأنباري^(١).

ومن أبرز مسائل اختلافات النحوية والتي امتدت إلى غيرها من مسائل اختلاف مسألة أصل المشتقات: هل هو المصدر أم الفعل الماضي؟.

فالبصريون يرون أن المصدر أصل المشتقات «أما الفعل فأمثلة أُخِذَتْ من أحداث الأسماء»^(٢).

وما استدلوا به: أن المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين فكما أن المطلق أصل للمقيد فكذلك المصدر أصل للفعل، وأن الفعل يدل على شيئين والمصدر يدل على شيء واحد قبل الاثنين؛ فكذلك يجب أن يكون المصدر قبل الفعل، وأن المصدر اسم وهو يستغنى عن الفعل، والفعل لا بد له من الاسم، وما يكون مفتقراً إلى غيره، وما يقوم بنفسه أولى بأن يكون فرعاً مما لا يكون مفتقراً إلى غيره^(٣).

ويرى الكوفيون أن الفعل هو أصل المشتقات، وما يستدلون به: أن المصدر يعتل لاعتلال الفعل، ويصح لصحته، تقول: (قُمْتُ قِيَاماً) فيعتل المصدر لاعتلال الفعل، وتقول (قَاوَمَ قِوَاماً) فيصح المصدر لصحة الفعل، فدل على أنه فرع عليه، وأن الفعل يعمل في المصدر، ولا شك في أن رتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد، فدل على أن المصدر مأخوذ من الفعل^(٤).

ويرى بعض النحاة أن الأسماء هي أصل الاشتقاق ويحتج بما ورد في الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن رب العزة: «أنا الرَّحْمَنُ، وهي الرَّحْمُ، شَقَقْتُ لها اسماً من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قَطَعَهَا قَطَعْتَهُ»^(٥).

(١) ابن الأنباري: الأنصاف في مسائل الخلاف ١/٣٠٠، والسيوطي: الاقتراح ص ١٧٢.

(٢) سيبويه: الكتاب ج ١ ص ١٢.

(٣) ابن الأنباري: أسرار العربية ص ١٧١، ١٧٢، والأنصاف ج ١ ص ٢٤٣.

(٤) الأنصاف لابن الأنباري: سابق، ج ١/٢٤٣.

(٥) أبو داود: السنن، سابق، ج ٢ ص ١٣٣.

أما في الدراسات اللغوية الحديثة فيرفض بعض أعلامها هذه الآراء، ويرى أن المادة العجمية، والأصول الثلاثية للكلمة هي أصل الاشتقاق، فالمصدر مشتق منها، والفعل الماضي المضارع كذلك فالمادة (ك - ت ب) هي أصل اشتقاق: كَتَبَ يَكْتُبُ، كِتَابَةٌ، كَاتِبٌ، اِكْتُبْ، مَكْتُوبٌ^(١).

الاشتقاق والمشتقات في تفسير النسخ:

يمكن القول أن النسخ تعرض في إطار تفسيره للصيغ اللغوية الواردة في القرآن الكريم في قراءاته المتعددة لظاهرة الاشتقاق من زاويتين: كانت الأولى في تعريفه بأوزان بعض الكلمات ومدى تلازم صوغها مع قياس بعض المشتقات وقد اشتمل ذلك على بيان الجانب التركيبي لهذه الصيغ كبيان عمل اسم الفاعل واسم المفعول^(٢) مما لا شأن للمباحث الصرفية به. أما الجانب الآخر فهو تعرض النسخ لاشتقاق بعض الكلمات مما يمكن القول بأنه يدور في فلك الاشتقاق الكبير أو الأكبر.

والمشتقات في تفسير النسخ على وجازة عبارتها إلا أنها كافية لحجم الكتاب والغرض من تأليفه وقد تعرض النسخ لها في عدة مواضع كالآتي:

١ - اسم الفاعل:

وهو الصفة الدالة على الفاعل، وجارية في التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه أو معنى الماضي، أي: أنه اسم مشتق وصف يدل على من وقع منه الفعل أو قام به^(٣).

والملاحظ أن تعريف الصرفيين لاسم الفاعل ربط معناه بالدلالة على الزمن بل يقرر بعضهم أن المقصود من قولهم (لمعناه)، أي مفيدة لمعنى المضارع في حال أو استقبال ومثلهما الاستمرار التجدد، ويوغل بعضهم فيقرر أن دلالة اسم الفاعل على الزمان لزومية^(٤).

(١) تمام حسان: اللغة العربية ص ١٩٠، ومحمد أبو الفتوح شريف: علم الصرف - دار المعارف، سنة ١٩٨٦، ص ٢٢، ١٠٧.

(٢) النسخ: التفسير ٣/٣٧٩ وغيرها.

(٣) السيوطي: معجم الهوامع ٢/٩٥، وخالد الأزهرى: شرح التصريح ١/٦٥، والأشموني ٢/٢٩٢.

(٤) الصبان: حاشية على شرح الأشموني ج ٢ ص ٢٩٢.

ويصاغ اسم الفاعل عند النحاة من الثلاثي غالباً على وزن (فاعل) مثل: ضَارِبٌ - شَارِبٌ - قَارِئٌ في الصحيح، أما إذا كان معتلاً أجوف تقلب العلة (الواو والياء) إلى همزة: مثل قَاتِلٌ، بَانِعٌ، صَانِعٌ^(١).

ولم يتعرض النسفي في تفسير لهذا النوع لكنه تعرض في أربعة مواضع لاسم الفاعل من غير الثلاثي وهي:

١ - قوله تعالى: ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾^(٢) حيث جاء في تفسيره «مصيبة مكروه: اسم فاعل من أصابته شدة، أى: لحقته»^(٣).

٢ - قوله تعالى: ﴿مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٤) وعنده «مُخْرِجُ الْمَيِّتِ بلفظ اسم الفاعل»^(٥).

٣ - وقال الحق سبحانه: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾^(٦) ففي تفسيرها يوضح النسفي قائلاً: «فَمُسْتَقَرٌّ بالكسر مكى وبصرى»^(٧)، فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان منه أو مصدراً^(٨)، ومن كسرهما كان اسم فاعل، والمستودع اسم مفعول^(٩).

٤ - وفي قوله تعالى: ﴿أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرُ إِذَا دَعَاهُ﴾^(١٠)، يقول النسفي: «الاضْطَرَارُ اِفْتِعَالٌ مِنْ الضَّرُورَةِ، وهى الحال الخوْجة إلى اللجأ، يقال اضطره إلى كذا، والفاعل والمفعول مضطر»^(١١).

ففى هذه الآيات يبين النسفي أن اسم الفاعل من غير الثلاثي كما يرى جمهور النحاة يكون على وزن مضارعة بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة مع كسر ما قبل الآخر، مثل (مُسْتَقَرٌّ)، بالكسر، «مُخْرِجٌ» و«مُصِيبَةٌ».

(١) السيوطى: مع الهوامع ٩٥/٢، شرح التصريح ٦٥/٢، والأشمونى ٢٩٢/٢ وغيرها.

(٢) البقرة: ١٥٦.

(٣) النسفي: التفسير ج ١ ص ١٣٩.

(٤) الأنعام: ٩٥.

(٥) النسفي: التفسير ج ٢ ص ٣٧.

(٦) الأنعام: ٩٨.

(٧) قرأها بالكسر ابن كثير وأبو عمرو - السبعة فى القراءات لابن مجاهد ٢٦٣، والتيسير لأبى عمرو الدانى، سابق ٨٧.

(٨) وبالفتح قرأها الباقر من السبعة، ابن مجاهد ٢٦٣، والتيسير لأبى عمرو الدانى ٨٧.

(٩) النسفي: التفسير ج ٢ ص ٣٨.

(١٠) النمل: ٦٢.

(١١) النسفي: التفسير ج ٣ ص ٣١٨.

٢ - صيغ المبالغة:

يرى النحاة أنه يمكن لصيغة (فاعل) أن تتحول للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث، وذلك في أوزان خمسة مشهورة، تسمى عندهم صيغ المبالغة وهي:

فَعَّالٌ: مثل: شَرَّابٌ وَضَرَّابٌ، غَفَّارٌ، هَمَّازٌ، من (شَرِبَ - ضَرَبَ - غَفَرَ، هَمَزَ).

مَفْعَالٌ: مثل: مَنَحَارٌ، مَقْدَامٌ، مَتَلَفٌ من (نَحَرَ، أَقْدَمَ، أَتْلَفَ).

فَعُولٌ: مثل: غَفُورٌ، شَكُورٌ، صَدُوقٌ من (غَفَرَ، شَكَرَ، صَدَقَ).

فَعِيلٌ: مثل: خَبِيرٌ، بَصِيرٌ، نَذِيرٌ من (خَبَرَ، بَصَرَ، أَنْذَرَ).

فَعِلٌ: مثل: حَذِرٌ، عَجِلٌ من (حَذَرَ، عَجَلَ) ^(١).

وقد أشار النسفي في بعض المواضع إلى قصد المبالغة في بعض الألفاظ وذكر وزنها ومن ذلك:

- ١ - قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ ^(٢)، يقول النسفي في تفسيرها «الجَبَّارُ، فَعَّالٌ من جَبَرَهُ على الأمر بمعنى أَجْبَرَهُ عليه للمبالغة» ^(٣).
- ٢ - قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ ^(٤) يقول النسفي لبيان قصد المبالغة: «الطهور صفة كقوله ماء طَهُورٌ، أى: طاهر، واسم لما يُتَطَهَّرُ به، ومصدر بمعنى التَّطَهُّرِ، كقولك: تَطَهَّرْتُ طَهُورًا حسنًا، وإلا فليس مفعول من التفعيل في شيء، وقياسه على ما هو مشتق منه الأفعال المتعدية كقَطُوعٍ، وَمَنُوعٍ غير سديد؛ لأن بناء الفَعُولِ للمبالغة» ^(٥).

٣ - اسما المرة والهيئة:

يرى النحاة أنه يصاغ من الفعل الثلاثي اسم يدل على حدوث فعله مرة واحدة على وزن (فَعْلَةٌ) بفتح الفاء واللام، وسكون العين بشرط أن يكون الثلاثي تاماً متصرفاً غير دال على صفة لازمة خالياً من التاء، فإذا كان الثلاثي المختوم مصدره الأصلي بالتاء يجب وصفه بزيادة كلمة واحدة، وما استوفى الشروط قولهم: شَرِبَ شَرِبَةً، رَمَى رَمِيَةً، جَلَسَ جَلْسَةً، ومما جاء مختوماً بالتاء قولهم رَحِمَ رَحِمَةً واحدة.

(١) ابن عقيل: شرح الألفية لابن مالك ١١١/٣، وشذا العرف ٨٧، ٨٨، وعلم الصرف لأبو الفتوح شريف ١١٩.

(٢) المائدة: ٢٢.

(٣) النسفي: التفسير ج ١ ص ٤٠٣.

(٤) الفرقان: ٤٨.

(٥) النسفي: التفسير ٢٤٩/٣.

أما اسم الهيئة فمصدر يدل على هيئة حصول فعله على وزن (فعللة) بكسر فسكون ففتح ويشترط فيه نفس الشروط السابقة ولا يكون إلا من الثلاثي: ومما جاء مستوفياً للشروط قول رسول الله ﷺ: «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة»^(١) فإذا كان مصدره الأصلي مختوماً بالتاء يؤتى باسم الهيئة منه بالوصف أو بإضافة مثل: خبرة واسعة، أو خبرة العلماء^(٢).

وقد تعرض النسفي في أربعة مواضع لهذين المصدرين، في ثلاثة منها تناول اسم المرة، وفي الرابع أوضح اسم الهيئة على الوجه الآتي:

١ - في قول الحق تبارك وتعالى حكاية على لسان السامري: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾^(٣)، يقول النسفي: «القبضة المرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر»^(٤).

٢ - وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾^(٥) يقول النسفي: «نصبت النزلة نصب الظرف/الذي هو مرة؛ لأن الفعل اسم للمرة من الفعل، فكانت في حكمها»^(٦).

٣ - وفي قوله سبحانه: ﴿صَبَغَ اللَّهُ﴾^(٧) يقول النسفي: «هي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس، وهي الحالة التي تقع على الصبغ»^(٨).

٤ - وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَن مَّسَّهِمْ نَفْحَةٌ﴾^(٩) يقول النسفي: «النفسح يدل على القلة مع أن بناءها للمرة»^(١٠).

(١) ابن ماجه: سنن ابن ماجه تحقيق محمد فوزاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة سنة ١٩٩٤، ج ٢، ص ١٠٥٨ رقم ١٣٧٠.

(٢) الرضوي الاسترياذي: شرح شافية ابن الحاجب: ج ١ ص ١٧٨، ١٨٠، والسيوطي: معجم الهوامع ج ٢ ص ١٦٨، وشذا العرف في فن الصرف ٨٤، وعلم الصرف لمحمد أبو الفتوح شريف ١١٤، ١١٥.

(٣) طه: ٩٦.

(٤) النسفي: التفسير ٩٨/٣.

(٥) النجم: ١٣.

(٦) النسفي: التفسير ٢٨٧/٤.

(٧) البقرة: ١٣٨.

(٨) النسفي: التفسير ١٧٣/١.

(٩) الأنبياء: ٤٦.

(١٠) النسفي: ١٢٣/٣.

٤ - اسما الزمان والمكان:

هما عند النحاة اسمان مصوغان مبدوءان بميم زائدة للدلالة على زمان حدوث الفعل أو مكانه، ويفرق بينهما بالاستعمال داخل الجملة، وهما مشتقان حرفيان فقط، حيث إنهما لا يعملان عملاً نحوياً كما تعمل سائر المشتقات، فلا تأثير لهما في الفاعل أو المفعول، وهما من الثلاثي على وزن (مَفْعَل) بفتح فسكون ففتح إن كان المضارع مضموم العين أو مفتوحها أو معتل اللام مطلقاً مثل: مَذْهَبٌ - مَرْمَى - مَقَامٌ، على وزن (مَفْعِل) بفتح فسكون فكسر إن كانت عين المضارع مكسورة، أو كان مثلاً مطلقاً في غير معتل اللام مثل: مَجْلِسٌ - مَوْعِدٌ، مَيَسِرٌ^(١).

وقد تعرض النسفي في عدة مواضع لهذا النوع من المشتقات مبينا صوغه ودلالته ومن هذه المواضع:

- ١ - ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^(٢)، يقول النسفي: «الميسر مصدر من يسر كالموعد من فعله»^(٣).
- ٢ - قراءة أبي بكر بن عياش عن عاصم لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِهَلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾^(٤) بفتح اللام (مَهْلِكٌ)، يقول النسفي: «بفتح الميم وكسر اللام حفص ويفتحها أبو بكر، أى: لوقت هلاكهم، وإهلاكهم، والموعد وقت أو مصدر»^(٥)، ومثلها في قوله تعالى: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾^(٦).
- ٣ - قوله تعالى: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾^(٧)، في قراءة الفتح، يقول النسفي: «بافتح وهو موضع القيام، والمراد المكان والمسكن وبالضم مكى (مقاماً)، وهو موضع الإقامة والمنزل»^(٨)، ومثلها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ آمِنٍ﴾^(٩).

(١) الرضى: شرح الشافعية ١/١٨١، والسيوطي: همع الهوامع ٢/١٦٨، وأحمد الحملاوى: شذا العرف ١٠١.

(٢) البقرة: ٢١٩.

(٣) النسفي: التفسير ج ١ ص ١٧٣.

(٤) الكهف: ٥٩، والسبعة لابن مجاهد ٣٩٣، وغيث النفع في القراءات السبع للصفافسى ١٧٤، والتيسير للداني ١١٧.

(٥) النسفي: التفسير ج ٣ ص ٣٣.

(٦) النمل: ٤٩، والنسفي: التفسير ج ٣ ص ٣١٤.

(٧) مريم: ٧٣، بالضم قرأها ابن كثير، والياقون بالفتح، السبعة لابن مجاهد ٤١١.

(٨) النسفي: التفسير ج ٣/٦٨.

(٩) الدخان: ٥١، وقرأ ابن عامر ونافع (مقام) بالضم، السبعة لابن مجاهد ص ٤١١.

- ٤ - فى قوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم موبقا﴾^(١) فقد ذكر فى تفسيرها أن معناه «مهلكاً، من (وبق يبق وبوقاً)، إذا هلك، أو مصدر كالموعده»^(٢).
- ٥ - وفى قوله تعالى: ﴿وأرنا مناسكنا وتب علينا﴾^(٣) يقول: «وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرهما وهو المتعبد»^(٤).
- ٥ - من الاشتقاق الكبير أو الأكبر:
- تعرض النسفى فى ثنايا تفسيره لبعض الكلمات، ولا سيما الأسماء منها لاشتقاق هذه الأسماء فيما يمكن أن يدرج تحت هذا النوع من الاشتقاق ومن ذلك ما يلى:
- ١ - اشتقاق (بعوضة) فى قوله تعالى: ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾^(٥)، يقول النسفى: «البعوضة اشتقاقها من البعض وهو القطع، كالْبضع، والمعضب، يقال: بعضه البعوض، ومنه بعض الشيء؛ لأنه قطعة منه، والبعوض أصله صفة على فعول كالقَطْرُوع فغلبت»^(٦).
- ٢ - اشتقاق آدم فى قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾^(٧) يقول النسفى: «آدم اسمى أعجمى، وأقرب أمره أن يكون على (فاعل) كآزر، واشتقاقهم آدم من الأدمة، أو من أديم الأرض، كاشتقاقهم يعقوب من العقب، وأدريس من الدرس، وأبليس من الإبلاس»^(٨).
- ٣ - اشتقاق رمضان فى قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾^(٩)، قال النسفى: «الرمضان مصدر (رمض) إذا احترق من الرمضاء، وأضيف إليه الشهر، وجعل علماً، ومنع

(١) الكهف: ٥٢.

(٢) النسفى: التفسير ج٣ ص ٣١.

(٣) البقرة: ١٢٨.

(٤) النسفى: التفسير ج١ ص ١٢٦.

(٥) البقرة: ٢٦.

(٦) النسفى: التفسير ج١ ص ٧٣، ولسان العرب (بعض).

(٧) البقرة: ٣١.

(٨) النسفى: نفسه ج١ ص ٨٠، ولسان العرب لابن منظور (آدم)، والجوهري: الصحاح ج٥ ص ١٨٥٩.

(٩) البقرة: ١٨٥.

من الصرف، للتعريف، والألف والنون، وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حرّ الجوع، ومقاساة العطش،^(١).

٤ - وفي قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾^(٢) يقول النسفي: «لم يتغير، والهاء أصلية أو هاء سكت، واشتقاقه من السنة على الوجهين؛ لأنّ لامها هاء؛ لأن الأصل (سَنَهَة) والفعل: (سَانَهْتُ)، يقال: سَانَهْتُ فلاناً، أى: عَالَمْتُهُ سنةً، أو وَاو؛ لأن الأصل (مَسْنُوهُ)، والفعل (سَانَيْتُ) معناه لم يغيّرهُ السُّنُونُ»^(٣).

وفي هذا الاشتقاق يقول الفراء: «لم يتسَنَّه، لم يتغير بمرور السنين عليه، مأخوذ من السنة، وتكون الهاء أصله، من قولك: بَعَثَهُ مُسَانَهَةً، ثَبَّتْ وَصْلاً ووقفاً، ومن وَصَلَهُ بغير هاء، جعله من المُسَانَاة؛ لأن لام سنة تعتقب عليها الهاء والواو، وتكون زائدة صلة بمنزلة قوله ﴿فِيهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾^(٤)، فمن جعل الهاء زائدة، جعل فعلت منه (تَسَنَيْتُ)؛ ألا ترى أنك تجمع السنة (سَنَوَات) فيكون تَفَعَّلْتُ على صحة، ومن قال في تصغير، السنة (سُنَيْنَة)، وإن كان ذلك قليلاً جاز أن يكون تَسَنَيْتُ، تَفَعَّلْتُ، أبدلت النون بالياء، لما كثرت النونات، كما قالوا: (تَظَنَيْتُ)، وأصله الظَّن، وقد قالوا: هو مأخوذ من قوله ﴿مَنْ حَمَلْهُ مَسْنُونٌ﴾^(٥) يريد: متغير، فإن يكن كذلك فهو أيضاً مما أبدلت نونه ياء، ونرى أن معناه مأخوذ من السنة، أى: لم يغيّره السُّنُونُ»^(٦).

وهكذا ذكره علماء اللغة، والنحاة والمفسرون في مصنفاتهم^(٧).

(١) النسفي: نفسه جـ ١ ص ١٥٣، ولسان العرب (رمض) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١ ص ٧٧٥.

(٢) البقرة: ٢٥٩.

(٣) النسفي: التفسير جـ ١ ص ٢٠٢.

(٤) الأنعام: ٩٠.

(٥) الحجر: ٢٠.

(٦) الفراء: معاني القرآن - سابق جـ ١ ص ١٧٢.

(٧) النحاس: إعراب القرآن ١/٣٤٣، الزجاج: معاني القرآن ١/٣٤٣، الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن - دار الحديث، الأولى جـ ٣ ص ٢٨٦، وابن الأنباري: البيان ١/١٧١، والزمخشري: الكشاف ١/٤٩١، والقرطبي: جامع البيان ٢/١٢١٦، وابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز جـ ١ ص ٣٤٩، وأرواح المعاني: للألوسي جـ ٣ ص ٢٢٢، ولسان العرب: لابن منظور، (سنة).

٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(١)، قال النسفي: «مكة، وبكة، لغتان فيه، وقيل: مكة البلد، وبكة موضع المسجد، وقيل: اشتقاقها من بَكَّة إذا زَحِمَ؛ لازدحام الناس فيها؛ أو لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة، أى: تدقُّها، ولم يقصد بها جبار إلا قصمه الله»^(٢).

قال الفراء: إنما سميت بكة لازدحام الناس بها؛ يقال: بَكَ النَّاسُ بعضهم بعضاً، إذا ازدحموا^(٣).

وقال الزجاج: «قيل: إنَّ بكة موضع البيت، وسائر ما حوله مكة والإجماع أن بكة ومكة الموضع الذى يَحُجُّ النَّاسُ إليه، ... فأما اشتقاقه فى اللغة فيصلح أن يكون الاسم اشتق من البَكِّ، وهو بَكُّ النَّاسِ بعضهم بعضاً فى الطواف، أى: دَفَعُ بعضهم بعضاً، وقيل: إنما سُمِّيَتْ بكة؛ لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة»^(٤).

٦ - وفى اشتقاق (شيطان) وفى تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾^(٥)، قال النسفي: «عن سيبويه أن نون الشياطين أصلية، بدليل قولهم: (تَشَيَّطَنَ)، وعنه أنها زائدة، واشتقاقه من (شَطَنَ) إذا بعد أو من (شَاطَ) إذا بَطَلَ، ومن أسماه الباطل»^(٦).

ورأى سيبويه كما هو فى الكتاب أنها أصلية فيقول: «فأما الدهقان والشيطان فلا تجعلهما زائدتين فيهما؛ لأنهما ليس عليهما ثبت، ألا ترى أنك تقول: تَشَيَّطَنَ، وَتَدَهَّقَنَ، وتصرفهما»^(٧). وهى من المسائل الخلافية، فمذهب الكوفيين أن لفظ (الشيطان) وزنه فَعْلَانٌ، مأخوذ من (شَاطَ) يشيط، أى: هَلَكَ، ودليلهم قول الأعشى: (بسيط) قد نَخَضِبُ العَيْرَ فى مَكْنُونٍ فأنلِهِ . . . وقد يَشِيْطُ على أَرْمَاحِنَا البَطَلُ^(٨).

(١) آل عمران: ٩٦.

(٢) النسفي: التفسير ج ١ ص ٢٥٧.

(٣) الفراء: معانى القرآن ١/٢٢٧.

(٤) الزجاج: معانى القرآن ١/٤٤٥.

(٥) البقرة: التفسير ١/٥٥.

(٦) النسفي: التفسير ١/٥٥.

(٧) سيبويه: الكتاب ج ٤ ص ٣٢١.

(٨) له فى شعراء النصرانية فى الجاهلية - لويس شيخو - مكتبة الآداب، الأولى ١٩٨٢ ص ٣٧٠، وابن يعيش شرح المفصل ج ٥ ص ٦٤، ومعناه إن طاردم بالرماح فتلك عادتنا، وإن جادلتم بالسيوف نزلنا.

ومذهب البصريين أن وزنة (فِعَال) مأخوذ من (شَطَن)؛ أى: بعد، ودليلهم قول أمية بن أبى الصلت

أَيُّ شَاطِئِنِ عَصَاهُ عَكَاهُ . . . ثُمَّ يَلْقَى فِي السَّجْنِ وَالْأَغْلَالِ^(١)

وقول رؤبة:

وفي أخاديد الشبائط المشن
شاف لبغي الكلب المشيطن^(٢)

«والأصح مذهب البصريين^(٣)، وقد وافقهم النسفى، وإن ذكر رأى الكوفيين متأخراً.

ثانياً: التأنيث:

التأنيث فى اللغة، خلاف التذكير، وتأنيث الاسم خلاف تذكيره، وقد أنته فتانت.

وفى الاصطلاح: شغلت قضية الأصل فى الاسم النحاة، أياكون التذكير أم التأنيث؟

وقد لفت الجنس نظر الإنسان الأول حين عرف الفرق بين الذكر والأنثى فى الإنسان والحيوان، وانعكس أثر ذلك بالطبع على لغته^(٥).

ويرى بعض قدماء النحويين أن التذكير والتأنيث ليس لهما باب يحصرهما، ولا قياس مطرد لهما فقال: «ليس يجرى أمر المذكر والمؤنث على قياس مطرد، ولا لهما باب يحصرهما»^(٦).

ودراسة التأنيث مهمة، ويتوقف عليها أشياء كثيرة فى تركيب الجملة، ذلك أن (الجنس) اللغوى يجرى على (منطق) خاص بمعنى أنه لا يطابق الجنس فى الواقع الطبيعى، فالاصطلاح

(١) لأمية بن أبى الصلت فى: مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون - دار الجيل سنة ١٩٩١، جـ ٣ ص ١٨٥، ومجمل اللغة له - سابق، جـ ٢ ص ٥٠٢، وفيه (ورماه فى السجن والأغلال)، ولسان العرب (شطن - عكا) وأنه فى وصف سليمان عليه السلام.

(٢) الخليل بن أحمد - العين: تحقيق مهدى المخدومى - إبراهيم السامرائى، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد سنة ١٩٨٦ جـ ٦ ص ٢٣٧.

(٣) الزبيدى: إئتلاف النصرية فى اختلاف نحاة الكوفة والبصرة - ص ٩٣.

(٤) ابن فارس: مجمل اللغة جـ ١ ص ١٠٤، ولسان العرب لابن منظور (أنث) والقاموس المحيط للفيروزى جـ ١ ص ١٦٧.

(٥) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، الخانجى بالقاهرة، الثانية ١٩٨٥ ص ٢٥١.

(٦) ابن سهل التستري: المذكر والمؤنث تحقيق أحمد عبد المجيد هريدى، الخانجى بالقاهرة، الأولى ١٩٨٣ ص ٤٧.

وحده هو الذى أنث (الشمس)، وذكر (الباب) فى العربية، وهو أيضاً الذى ذكر الشمس (Lesalal)، وأنث الباب (Laporte) فى الفرنسية ^(١).

ومن السمات الخاصة للغات السامية أنها «تصنف الأسماء من ناحية الجنس إلى مذكر ومؤنث، وتطرد هذه الفكرة فى جميع الأسماء، فلا علاقة بين الواقع الخارجى، والصيغ اللغوية، وإنما تعارف النحويون على وصف صفة الاسم بأنها من المذكر أو المؤنث على سبيل الاصطلاح والتقريب فقط ^(٢)».

وتدل مقارنة اللغات السامية على أن الساميين القدامى كانوا يفرقون بين المذكر والمؤنث فى اللغة، لا بوسيلة نحوية ولكن بكلمة للمذكر وكلمة أخرى من أصل آخر للمؤنث، ففى العربية مثلاً: (حمار) للمذكر فى مقابل (أتان) لأنثى الحمار، و(غلام) للمذكر فى مقابل (جارية) لأنثى، وغير ذلك، فى اللغة العبرية (עֵלָה) كيش مقابل (עֵלָה) نعجة لأنثى الكيش ^(٣).

ويرى النحويون أن التذكير هو الأصل فى اللسان العربى، والتأنيث فرع، قال سيبويه: «واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث؛ لأن المذكر أول، وهو أشد تمكناً، وإنما يخرج التأنيث من التذكير» ^(٤).

ويجعل الزمخشري العلامات الفارقة أساساً فى حد الاسم من حيث الجنس فيقول: «المذكر ما خلا من العلامات الثلاث؛ التاء، والألف، والياء فى نحو: (غُرْفَة)، و(جُبْلَى)، و(حَمْرَاء)، و(هَدَى) والمؤنث ما فيه إحداهن» ^(٥)، وكان الفراء قد أشار إلى ذلك بقوله: «للمؤنث علامات ثلاث: منها الهاء... ومنها الياء... ومنها المدة الزائدة... فأول ذلك قولهم للرجل: أنت جالسٌ، والمرأة جالسة، فالهاء ههنا أدخلت للتأنيث لا يكون غيره، إلا أن العرب قالت: (امرأة حائضٌ،

(١) عبده الراجحي: دروس فى المذاهب النحوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢ ص ١٦٢، هامش ١.

(٢) إبراهيم بركات: التأنيث فى اللغة العربية، دار الوفاء بالمنصورة، الأولى سنة ١٩٨٨، ص ٢١.

(٣) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، سابق ٢٥١، ومقدمة تحقيقه للبلغة فى المذكر والمؤنث

لابن الإنبارى الخانجي، الثانية ١٩٩٦، ص ٤٣.

(٤) سيبويه: الكتاب ج ١ ص ٢٢، وج ٣ ص ١٤١.

(٥) الزمخشري: المفصل فى علم العربية، سابق، ص ٢٣٧.

وطاهر، وطامث، دعاهم إلى ذلك أن هذا وصف لاحظ فيه للمذكر،.. فلما لم يكن للمذكر في الحيض والطمث وما ذكرناه حظ لم يحتاجوا فيه إلى فرق»^(١).

ويقدم ابن يعيش تعليلاً لرأى الزمخشري فيقول: «ولما كان المذكر أصلاً والمؤنث فرعاً عليه، لم يحتج المذكر إلى علامة؛ لأنه يفهم عند الإطلاق إذ كان الأصل، ولما كان التأنيث ثانياً، لم يكن بد من علامة تدل عليه، والدليل على أن المذكر أصل، أمران: أحدهما: مجيئهم باسم مذكر يعم المذكر والمؤنث وهو شيء، والثاني: إن المؤنث يفتقر إلى علامة، ولو كان أصلاً لم يفتقر إلى علامة، كالتكسرة لما كانت أصلاً لم تفتقر إلى علامة، والمعرفة لما كانت فرعاً افتقرت إلى العلامة»^(٢).

ويسوق بعض المحدثين أمراً ثالثاً يرجع به إلى أصل المخلوقات، ففي الإنسان كان المذكر قبل المؤنث، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(٣)، فيقول: «يبدو أن العرب قد استقوا من ذلك فكرة ذكورة المخلوقات وأنوثتها فكرة تذكير المسميات وتأنيثها»^(٤).

ولما كان التأنيث لا يجرى على قاعدة في الأسماء ولعدم إمكان وضع قواعد نحوية قياسية صارمة تحكم ما سبقها من وضع لغوي؛ لفقدان الصلة بين الاسم وما يدل عليه من جنس، فقد قام عدد من اللغويين العرب بوضع رسائل ومؤلفات لغوية لحصر الألفاظ المذكورة والمؤنثة سماعاً ومنهم الفراء، والتستري، والمبرد وابن الأنباري وغيرهم^(٥).

شغلت ظاهرة التأنيث في مفردات الكتاب الكريم النسفي في تفسيره بقدر مناسب، فلم تطفئ كظاهرة لغوية مفصلة الأركان مبينة العناصر، بل كانت خفيفة مناسبة لحجم التفسير والغرض منه.

(١) الفراء: المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب - دار التراث القاهرة، الثانية ١٩٨٩ ص ٥١، ٥٢.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل ج ٥ ص ٨٨.

(٣) النساء: ١

(٤) إبراهيم بركات: التأنيث في اللغة العربية - سابق ص ٣٥.

(٥) استعان الباحث بالمصنفات المذكورة بأسماء أصحابها، وهناك رسائل لأبي حاتم السجستاني في التذكير والتأنيث، حققها ببغداد إبراهيم السامرائي ١٩٦٩، ورسالة لأبي موسى الحامض، وأخرى لابن فارس وحققهما بالقاهرة د. رمضان عبد التواب سنة ١٩٦٧، ١٩٦٩.

والنسفى فى تفسيره لم يتناول التانيث القياسى أو بعض مواضعه إلا قليلاً جداً وتحديداً فى موضع واحد، بينما تطرق كثيراً لبيان بعض المفردات، وغالباً من المشتركة فى التذكير والتانيث، وذلك على النحو الآتى:

١ - فى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصَوِّ﴾^(١) يقول النسفى: «البُعْدَى عن المدينة، تانيث الأَقْصَى، وكلتا هما (فُعْلَى) من بنات الواو، والقياس قلب الواو ياء، كالعُلْيَا تانيث الأَعْلَى»^(٢).

قال ابن منظور: «قلبت فيه الواو ياء؛ لأن فُعْلَى إذا كانت اسماً من ذوات الواو أبدلت واوه ياء، كما أبدلت الواو مكان الياء فى فعلى، فأدخلوها عليها فى فعلى ليكافأ فى التغيير»^(٣).

وقال سيبويه: «وأما ما كان عدة حروفه أربعة أحرف، وكان (فُعْلَى أَفْعَلْ) فإنك تكسره على (فَعْل)، وذلك قولك: الصَّغْرَى والصَّغَرُ، والكُبْرَى والكُبَرُ، والأُولَى والأُولُ، وقال تعالى جده: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ﴾»^(٤)، ومثله من بنات الياء والواو: الدنيا والدنا، والقُصْوَى والقُصَى، والعُلْيَا والعُلَى، وإنما صيروا الفُعْلَى ههنا بمنزلة الفُعْلَةِ لأنها على بنائها، ولأن فيها علامة التانيث، وليفرقوا بينها وبين مالم يكن فُعْلَى أَفْعَلْ»^(٥).

وفى نظيرتها فى قوله تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾^(٦) يقول النسفى: «الأُولَى: تانيث الأول، ومثلها العُرْوَةُ الوثقى»^(٧).

(١) الأنفال: ٤٢.

(٢) النسفى: التفسير ١٥١/٢.

(٣) ابن منظور: لسان العرب (قفا)، والمذكر والمؤنث للمبرد: تحقيق رمضان عبد التواب، الخانجى، الثانية سنة

١٩٩٦، ص ٨١.

(٤) المدثر: ٣٥.

(٥) سيبويه: الكتاب ج ٣ ص ٦٠٨.

(٦) طه: ٢١.

(٧) النسفى: التفسير ج ٣ ص ٨١ وج ١ ص ٢٠٠ فى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

وفى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾^(١) يقول النسفى: «فعلّى، والألف للتأنيث كسكّرى؛ لأن الرسل جماعة؛ ولذا لا ينون؛ لأنه غير منصرف، تترى حكى وأبو عمرو ويزيد على أن الألف للإلحاق كأرطى»^(٢).

قال ابن منظور: «ومن العرب من ينونها، فيجعل ألفها للإلحاق بمنزلة أرطى، ومعزى ومنهم من لا يصرف، يجعل ألفها للتأنيث بمنزلة ألف سكرى وعضى»^(٣).
وقد قرأها بالتنوين «تترًا» ووفقاً بألف، ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء^(٤).
وقال الفراء: أكثر العرب على ترك التنوين تنزل بمنزلة (تقوى)، ومنهم من نون فيها، وجعلها ألفاً كآلف الإعراب^(٥).

ويحرص النسفى على بيان اللبس فى تأنيث بعض الألفاظ، ففى قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾^(٦)، يقول: «هى ليست بتأنيث رهين فى قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(٧)، لتأنيث النفس؛ لأنه لو قصدت الصفة ل قيل: (رهين)؛ لأن (فعليل) بمعنى (مفعول) يستوى فيه المذكر والمؤنث، وإنما هى اسم بمعنى الرهن كالشئمة بمعنى الشتم^(٨).
قال النحاس: فيها: «محمول على المعنى، ولو كان على اللفظ كان رهين»^(٩).

وبين أن بعض الألفاظ لا تلحقها علامة التأنيث لأن ذلك هو بابها فى اللغة ويستدل بقراءتها، ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾^(١٠)، قال النسفى: «البغى مفعول، عند المبرد: بغوى، فقلبت الواو ياء، وأدغمت وكسرت العين اتباعاً؛ ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم

(١) المؤمنون: ٤٤.

(٢) النسفى: التفسير: ج ٣ ص ١٨٠.

(٣) ابن منظور: لسان العرب (وتر).

(٤) ابن مجاهد: السبعة ص ٤٤٦، وغيث النفع للصفافى ص ١٩٦، والتيسير لأبى عمرو الدانى ص ١٢٩.

(٥) الفراء: معانى القرآن ٢/٢٣٦.

(٦) المدثر: ٣٨.

(٧) الطور: ٢١.

(٨) النسفى: التفسير ج ٤ ص ٤٥٧.

(٩) النحاس: إعراب القرآن ج ٥ ص ٧٣.

(١٠) مريم: ٢٠.

تلحق في امرأة صبور وشكور، وعند غيره: (فعل)، ولم تلحقها الهاء؛ لأنها بمعنى مفعولة، وإن كانت بمعنى (فاعلة) مثل: ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾^(١).

وقال مكى بن أبى طالب القيسى: «أصل بغى (بغوى)، فهو فعول، أدغمت الواو يالياء وكسرت الغين مجاورتها الياءين؛ ولتصح الياء الساكنة، و(فعول) هنا بمعنى فاعلة، ولذلك أتى بغير هاء؛ لأنه صفة لمؤنث، كما يأتى (فعول) بغير هاء للمؤنث، إذا كان بمعنى مفعول/ كقوله تعالى: ﴿فمنها ركوبهم﴾^(٢)، وليس قوله: (بغيا) فى الأصل على وزن (فعل)، ولو كان فعلاً للزمت الهاء للمؤنث؛ لأن (فعلاً) إذا كان لمؤنث بمعنى (فاعل) لزمته الهاء، كقولهم: امرأة رحيمة وعليمة بمعنى راحمة وعالمة، فلما أتى (بغى) بغير هاء علم أنه (فعول) وليس بـ(فعل)،^(٣).

وفى اتجاه آخرين النسفى الألفاظ المشتركة بين التذكير والتأنيث فى عدة مواضع منها:

١ - فى قوله تعالى: ﴿ولا متخذي أخدان﴾^(٤) يقول: «واخذن يقع على المذكر والمؤنث»^(٥). وهذا ما انفرد به النسفى، ويؤيده قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وآتوهن أجورهن بالمعروف ومحصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾^(٦).

٢ - قوله تعالى: ﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم﴾^(٧) يقول النسفى: «الدابة اسم لما يدب، وتقع على المذكر والمؤنث»^(٨).

(١) مريم: ٢٠

(٢) الأعراف: ٥٦، وتفسير النسفى ج ٣ ص ٥٢.

(٣) يس: ٧٢.

(٤) مكى بن أبى طالب القيسى: مشكل إعراب القرآن، سابق، ج ٢ ص ٥٤، والبيان فى غريب إعراب القرآن ١٢٣/٢.

(٥) المائدة: ٥٠.

(٦) النسفى: ٣٩٤/١ وللمزيد لسان العرب (خذن)، وجمهرة اللغة لابن دريد - ملير بعلبكي، سابق ٥٨١/١،

والمجمل: ٢٨٠/١.

(٧) النساء: ٢٥.

(٨) الأنعام: ٣٨.

(٩) التستري: المذكر والمؤنث، سابق ص ٧٤، وابن منظور: لسان العرب (دبب).

قال التستري: «الدابة اسم يقع على الذكر والأنثى فتكون مؤنثة على الأكثر، أيهما عنيت بها، وربما ذكرت إذا عني بها المذكر وقصد بها الشخص»^(١).

٣ - قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾^(٢)، وفي تفسيرها يقول النسفي: «السبيل والطريق يذكران ويؤنثان»^(٣).

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾^(٤).

وقال الشاعر: (وافر)
فَلَا تَجْزَعُ فَكُلُّ فَتًى أَنْسَى . . . سَيَصْبِحُ سَالِكًا تِلْكَ السَّبِيلَ^(٥)

وقال آخر: (بسيط)
يَا نَفْسُ إِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ وَاضِحَةٌ . . . مَنِيرَةٌ كَبَيَاضِ الْفَجْرِ غَرَاءَ^(٦)
فاشار إليها باسم إشارة لمؤنث في الأول، وجاء الخبر مؤنثاً في الثاني.
وقال الفراء: «الطريق يؤنثه أهل الحجاز، ويذكره أهل نجد»^(٧).

قال عبد الله بن قيس الرقيات يمدح عبد الله بن جعفر: (طويل)
إِذَا مَتَّ لَمْ يَوْصَلْ صَدِيقٌ وَلَمْ تَقُمْ . . . طَرِيقٌ إِلَى الْمَعْرُوفِ أَنْتَ مَنَارُهَا^(٨)

(١) التستري: المذكر والمؤنث، تحقيق: أحمد هريدي، سابق، ص ٨٥.

(٢) يوسف: ١٠٨.

(٣) النسفي: التفسير ج ٢ ص ٣٤٤.

(٤) الأعراف: ١٤٦.

(٥) بلا نسبة في المذكر والمؤنث للمبرد ص ١٠٤، ومجاز القرآن لأبي عبيده ٣١٩/١، والزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الإنباري ت ٣٢٨هـ، تحقيق حاتم الضامن - مؤسسة الرسالة، الأولى سنة ١٩٩٢ ج ٢ ص ١٩٧، والمذكر والمؤنث لابن الإنباري ٤٣٤/١.

(٦) بلا نسبة في الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الإنباري، سابق ج ٢ ص ١٩٨، والمذكر والمؤنث لابن الإنباري ٤٢٥/١.

(٧) الفراء: المذكر والمؤنث ٧٨٠، والمذكر والمؤنث للمبرد ص ١٠٣ والمذكر والمؤنث للتستري ٥٥، ٥١.

(٨) له في الزاهر في معاني كلمات الناس ج ٢ ص ١٩٨، والمذكر والمؤنث لابن الإنباري ٤٥٨/١.

٤ - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾ ^(١) ، يقول النسفي: «بكسر السين أبو بكر ^(٢) ، وهو مؤنث تأنيث ضدها وهو الحرب» ^(٣) .

ودليلهم قول عباس بن مرداس: (بسيط)
وَالسَّلَامُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ . . . وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعٌ ^(٤)

وقول الآخر: (سريع)
مَنْ يَذُقُ الْحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا . . . مَرًّا وَتَحْبِيسَهُ بِجَمْعٍ ^(٥)

ثالثاً: الأسماء من حيث العدد:

يرى النحاة أن الأصل في الأسماء الإفراد، والمفرد مادل على واحد أو هو ما ليس مشى ولا مجموعاً ولا ملحقا بهما، ولا من الأسماء الخمسة المعربة إعراباً فرعياً في النحو ^(٦) .

والمنشئ، ما دل على اثنين مطلقاً، والجمع مازاد على اثنين، ولكل اسم طريقته الخاصة في تثنيته أو جمعه، سواء أكان الاسم صحيحاً، أم شبيهاً بالصحيح، منقوصاً كان أو مقصوراً أو ممدوداً ^(٧) .

وقد تعرض النسفي لبيان بعض الأسماء من حيث العدد لأهمية ذلك في تفسير آيات الكتاب الكريم؛ لارتباط ذلك بالمعنى المقصود من الآيات وذلك في عدة مواضع منها.

(١) الأنفال: ٦١.

(٢) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ٣٠٨.

(٣) النسفي: التفسير ج ٢ ص ١٥٨.

(٤) له في إصلاح المنطق لابن السكيت تحقيق أحمد محمد شاكر وآخر، دارالمعارف، الرابعة ١٩٨٧ ص ٣٠، وتهذيب إصلاح المنطق للتبريزي، تحقيق فوزي مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦ ج ١ ص ١٠٩، ٦١١، والصحاح ج ٢ ص ٥٩١، ٩٠٠، والخزانة ج ٤ ص ١٨.

(٥) لأبي قيس بن الأسلت الانصاري - في المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق احمد شاكر وهارون، دارالمعارف - الثانية سنة ١٩٩٣ ص ٢٨٤، والمعاني الكبير لابن قتيبة، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد - الهند سنة ١٩٤٨ ج ٢ ص ١٢٥١ وفيها «تتركه»، وبلا نسبه في مجالس ثعلب ١/ ١٩٥، والبلغة في المذكر والمؤنث لابن الانباري ص ٧٨.

(٦) أحمد الحملاوي: شذا العرف ١١٤.

(٧) محمد أبو الفتوح شريف: علم الصرف ١٣٩.

أ - بعض جموع التكسير:

يتفق اللغويون على أن جموع التكسير: هي الجمع العام الذي يدل على أكثر من اثنين أو اثنتين في العقلاء وغيرهم بتغيير ظاهر في صيغة المفرد، يقول ابن جني: «وهو كل جمع تغير فيه نظم الواحد وبنائه؛ ليكون لمن يعقل ولما لا يعقل»^(١).

ويرى بعض الباحثين أن «جميع أبنية جموع التكسير تعتمد على السماع، ولا مجال للقياس الدقيق فيها من وجهة النظر اللغوية الحديثة»^(٢).

وقد تعرض النسخة لجمع التكسير في بعض الألفاظ مبيناً مدى توافقها مع القياس ومن ذلك:

١ - حكمه من حيث التذكير والتأنيث:

يرى النسخة أن جمع التكسير للعقلاء وغير العقلاء سواء في حكم التأنيث فيقول في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾^(٣). «الجمع المكسر: عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث، والزُلْفَى، والزَّلْفَةُ كَالْقُرْبَى وَالْقَرِيبَةُ»^(٤).

٢ - جمع فاعيل على أفعلاء:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾^(٥)، يقول النسخة: «والدَّعَى فاعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يدعى ولداً، وجمع على (أفعلاء) شاذاً؛ لأن بابه ما كان منه بمعنى مفعول كَتَقَى وَأَتَقِيَاءَ وَشَقَى وَأَشْقِيَاءَ»^(٦).

وهذا الرأي ليس صائباً للنسخة؛ لأن هذا الجمع يطرد في جمع الوصف المذكور العاقل على وزن فاعيل بشرط أن يكون مضعفاً أو معتل اللام^(٧).

(١) ابن جني: اللع في العربية تحقيق حسين شريف، عالم الكتب، الأولى، ١٩٧٩، وشذا العرف ٢٨.

(٢) محمد أبو الفتوح شريف: سابق ص ١٥١ هامش (٣٣).

(٣) سبأ: ٣٧.

(٤) النسخة: التفسير ج ٣ ص ٤٧٦، ٤٧٦.

(٥) الأحزاب: ٤.

(٦) النسخة: التفسير ج ٣ ص ٤٢٨.

(٧) سيبويه: الكتاب ج ٣ ص ٦٠٤، ٦٤٣، والأشعموني ٣٦٦/٢ وابن جني، اللع ٢٤٦، والسيوطي الهمع ١٧٤/٢.

ومنه فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ ^(١)، وقوله: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ ^(٢) وقوله سبحانه: ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ ^(٣).

٣ - القلة والكثرة فى جموع التكسير:

اتفق الصرفيون على أن جموع التكسير قسمان: جموع قلة، وجموع كثرة، والمدلول اللفظى لجموع القلة من ثلاثة إلى عشرة، وجموع الكثرة ما جاوز العشرة إلى ما لا نهاية ^(٤).

تعرض النسخة لهذه القضية فى ثلاثة مواضع، هى:

١ - قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ ^(٥)، قال النسخة: «ألوف جمع كثرة، وهى جمع ألف لا آلف» ^(٦).

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ ^(٧)، جاء فى تفسيرها: «فتيانه: جمع فتى كإخوة، وإخوان فى (أخ)، وفِعْلَةٌ للقلة وفِعْلَانٌ للكثرة» ^(٨).

٣ - فى قوله تعالى حكاية على لسان فرعون: ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ ^(٩)، قال النسخة: «الشِرْذِمَةُ الطائفة القليلة، وذكرهم بالاسم الدال على القلة، ثم جعلهم قليلاً بالوصف، ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً، واختار جمع السلامة الذى هو للقلة، أو أراد بالقلة الدلة لا قلة العدد» ^(١٠).

(١) المائدة: ٢٠.

(٢) آل عمران: ١٧٥.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) السيوطى: الهمع ١٧٤/٢، وشرح التصريح ٣٠٠/٢، واللباب للمكبرى ١٧٩/٢، وابن جنى للمع ٢٤٦.

(٥) البقرة: ٢٤٣.

(٦) النسخة: التفسير ج ١ ص ١٩٣.

(٧) يوسف: ٦٢.

(٨) النسخة: التفسير ج ٢/٣٢٨.

(٩) الشعراء: ٥٤.

(١٠) النسخة: التفسير ج ٣ ص ٢٧٠.

فالنسفي يرى مع النحاة أن وزن (أَلُوف) فعُولٌ من جموع الكثرة ويؤيد ذلك مما جاء في القرآن الكريم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾^(٣) جمعا لوجه، و(بُرُوج)، و(جُرُوح) وغيرها^(٤).
 وأن (فَعْلَةً) جمع قلة، ويؤيده مما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٦)، فإخوة وفتية على وزن فَعْلَةٍ من جموع القلة، أما (فَعْلَان) فيدل على الكثرة، ويؤيده ما جاء في القرآن من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾^(٧)، جمع وَلَدٌ.

٤ - جموع لم يستعمل لها مفرد:

تعرض النسفي لبيان أن بعض الكلمات استعملت جمعا، ولا مفرد لها مثل: «أشد» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَبْلَغُوا أَشَدَّكُمْ﴾^(٩) حيث ذكر أنها «من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد»^(١٠)، وفي موضع آخر حول قول الحق تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾^(١١) يقول النسفي: «هو جمع لا واحد له من لفظه، وكان سيبويه يقول: واحد شِدَّة..»^(١٢).
 قال سيبويه: «وقد كُسِّرَتِ فَعْلَةٌ عَلَى (أَفْعَل) وذلك قليل عزيز، ليس بالأصل، قالوا: نِعْمَةٌ وَأَنْعَمٌ، وَشِدَّةٌ وَأَشَدُّ»^(١٣).

(١) آل عمران: ١٠٦.

(٢) البروج: ١.

(٣) المائدة: ٤٥.

(٤) للمزيد، الكتاب لسيبويه ١٨٦/٢، ج ٣ ص ٦-٦، ص ٥٧٠، والمقتضب للمبرد ٢٧٠/١، والأشمونى

٣٦١/٢، وغيرها.

(٥) يوسف: ٥٨.

(٦) الكهف: ١٣.

(٨) الطور: ٢٤.

(٩) الحج: ٥.

(١٠) النسفي: التفسير ج ٣ ص ١٤٣.

(١١) الأحقاف: ١٥.

(١٢) النسفي: التفسير ج ٤ ص ٢١١.

(١٣) سيبويه: الكتاب ج ٣ ص ٥٨٢.

فتصرف النسخى فى الرأى؛ لأن سبويه يرى أن ذلك قليل عزيز ليس بالأصل.
وفى مواضع متفرقة لا يهمل النسخى الإشارة إلى تحديد مدلول بعض الأسماء من حيث العدد مبنياً مفردة غالباً، ومن ذلك:

- ١ - قوله تعالى: ﴿أَذْلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، فيقول النسخى: «جمع ذليل، وأما (ذَلُول) فجمعه (ذُلٌّ)، ومن زعم أنه من الذِّل الذى هو ضد الصعوبة فقد سها؛ لأن ذُلُولاً لا يجمع على (أَذْلَّة)، قال الجوهري: الذِّل ضد العِزِّ، ورجل ذليل بين الذل، وقوم إِذْلَاءٌ وأَذْلَّة، والذِّل بالكسر اللين، وهو ضد الصعوبة، يقال: دابة ذَلُولٌ، ودواب ذُلٌّ»^(٢).
- ٢ - قوله تعالى: ﴿آتَاءَ اللَّيْلِ﴾^(٣)، جاء فى بيانه لها «ساعاته واحدها (إِنِّى) كَمَعِيٌّ، أو إِنُّو» كَقَنُو»^(٤).

وابعاً: الإِعمال:

عرف النحاة الإِعمال بأنه: تغيير فى حرف من حروف العلة، والهمزة للتخفيف بالقلب أو الإسكان، أو الحذف^(٥).

الإِعمال بالقلب:

أى قلب أحد أحرف العلة أو الهمزة حرفاً آخر من هذه الأحرف، وقد تعرض النسخى لبيان ما حدث من إعمال فى بعض كلمات القرآن الكريم فى تطبيق وتمثيل لقواعد الصرف، وكان دقيقاً فى الشرح والبيان والتوضيح ومن ذلك:

١ - قلب الواو ياء:

يرى النحاة أن (الواو) تقلب ياء فى عدة مواضع منها:

- أ - إذا تطرفت بعد كسرة وذلك مثل رَضِىَ من الرَضْوَانِ، وَغَزَى من الغَزْوِ والدَّاعِى من الدعوة وأصلها (رَضُو، غَزَو - دَاعَو)^(٦).

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) النسخى: التفسير ج ١ ص ٤١٧، والجوهري: الصحاح ج ٤ ص ١٧٠، والكشاف للزمخشري ٢/٢٥٧.

(٣) آل عمران: ١١٣.

(٤) النسخى: التفسير ج ١ ص ٢٥٦.

(٥) ابن يعيش: شرح المفصل ج ١ ص ٥٤، وأحمد الحمالوى: شذا العرف ص ١٩٠.

(٦) شرح شافية ابن الحاجب للرضى ٣/١٣٧، وشعبان صلاح الإِعمال والإبدال، الثقافة سنة ١٩٨٨ ص ٢٥.

ويمثل النسفى لهذا النوع بكلمة (مرضى) فى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرَضِيًّا﴾^(١) فيقول: «قَرِئَ مَرَضِيًّا»^(٢) على الأصل»^(٣).
قال أبو حيان: «مَرَضِيًّا مفعول من رَضِيَ، ويقال: (مَرَضُو) بإدغام واو مفعول فى اللام التى هى واو، ويقال: مَرَضِيٌّ؛ لأنه اجتمعت واو وياء وسبقت إحداهما بالسكون وقلبت ياء فأدغمت الياء فى الياء مَرَضِيًّا»^(٤).

ب - أن تقع الواو ساكنة مفردة بعد كسرة:

وذلك مثل: ميزان، ميعاد، ميقات، من الوزن، الوعد، الوقت، وأصل الصيغ الثلاث: موزان، موعاد، موقات، فوقعت الواو ساكنة مفردة بعد كسرة فقلبت ياء^(٥).
ويمثل النسفى لذلك بما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٦)، فيقول: «الأصل فى ميراث موراث؛ فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها»^(٧).

ج - أن تقع الواو عينا فى مصدر، وهى فى مفرد صحيح اللام، وهى فى المفرد معلة^(٨).
ويمثل النسفى لذلك بما جاء فى قوله تعالى: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾^(٩).
فقال: «أى: قوامًا، وأصل قيام، قوام، فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها»^(١٠).

د - أن تقع الواو عينا لجمع صحيح اللام وقبلها كسرة وبعدها ألف:

وهى فى المفرد شبيهة بالعلة، أى: ساكنة، ومن ذلك جمع (سَوَط) على سِياط، و(حَوْض) على حِياض، و(ثَوْب) على ثِيَاب، و(رَوْضَة) على رِياض^(١١)، ويضيف النسفى إلى ذلك حَوْت

(١) مريم: ٥٥.

(٢) قرأها (مَرَضِيًّا) ابن أبى عتبة كما فى البحر المحيط لأبى حيان سابق ج ٦ ص ١٩٩.

(٣) النسفى: التفسير ج ٣ ص ٦٢.

(٤) أبو حيان: الدهر الماد من البحر - بهامش البحر المحيط ج ٦ ص ١٩٨.

(٥) ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج ٣ ص ٣٨٨.

(٦) آل عمران: ١٨٠.

(٧) النسفى: التفسير ج ١ ص ٢٩٥.

(٨) الرضى: شرح الشافية ١٣٨/٣، وشعبان صلاح: الإعلال والإبدال ص ٢٦.

(٩) النساء: ٥.

(١٠) النسفى: التفسير ج ١ ص ٣٠٨.

(١١) الإعلال والإبدال: صلاح شعبان ص ٢٦.

وحيتان في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾^(١)، فيقول: «جمع حوت، أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾^(٣)، يقول النسفي: «الياء فيه منقلبة عن واو (ضواء) لكسرة ما قبلها»^(٤).

قال أبو زرعة: «والأصل (ضواء)؛ فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فصارت (ضياء) كما تقول: (ميزان، وميقات)، وجائز أن يكون الضياء مصدرًا، مثل (الصوم، والصيام)، والأصل (صوام) فقلبت الواو ياء تقول: ضاء القمر بضوء ضوياً وضياء، كما تقول: قام يقوم قياماً»^(٥). وقال الزمخشري: «منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها»^(٦).

٢ - قلب الواو همزة:

وذلك في عدة مواضع منها:

١ - إذا تطرفت الواو بعد ألف زائدة مثل: سماء، دعاء، رجاء، صفاء، أصلها على التوالي (سماء، ودعاء، رجاء، صفاء)^(٧)، ومن ذلك ما علل به النسفي قراءة قبل للآية السابقة نفسها بهمزتين ضياء فقال: «وقبلها قبل همزة؛ لأنها للحركة أجمل»^(٨).

قال ابن الأنباري: «وقرئ: ضياء بهمزين على قلب اللام إلى موضع العين، فصارت العين بعد الألف، فانقلبت همزة؛ لأننا إن قلنا: إن العين نقلت إلى موضع اللام، وهي الياء، فالياء إذا وقعت طرفاً وقبلها ألف زائدة قلبت همزة، وقيل: قلبت ألفاً لأن الألف خفية زائدة ساكنة والحرف

(١) الأعراف: ١٦٣.

(٢) النسفي: التفسير ج٢ ص ١٢٠.

(٣) يونس: ٥.

(٤) النسفي: التفسير ٢/٢٢١.

(٥) أبو زرعة حجة القراءات - سابق، ص ٣٢٨.

(٦) الزمخشري: الكشاف ج٣ ص ١١٥.

(٧) الرضي شرح اشافية ٣/١٧٣، وشعبان صلاح: الإعرال والإبدال سابق ص ١٩.

(٨) قبل محمد بن عبد الرحمن ت ٢٩١هـ راوية ابن كثير بهمزين في كل القرآن، السبعة لابن مجاهد ص ٣٤٣،

والتيسير لأبي عمرو الداني ٩٨،

الساكن حاجز غير حصين، فكانها قد تحركت وانفتح ما قبلها، والياء إذا تحركت وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً ثم قلبت الألف همزة لالتقاء الساكنين، وإن قلنا: إن الياء عادت إلى أصلها وهي الواو فقد وقعت الواو طرفاً وقبلها ألف زائدة نحو كساء قلبت همزة، وقيل قلبت ألفاً على ما بيناه في الياء^(١).

وقال مكى بن أبى طالب القيسى: «يجوز أن تكون الياء لما نقلت بعد الألف رجعت إلى الواو الذى هو أصلها، فأبدل منها همزة كما قالوا: دُعَاء، وأصله: دَعَاوُ؛ لأنه من دَعَا يَدْعُو، فيصير وزن (ضياء) على قراءة قبل (فلاعى) وأصلها فَعَال»^(٢).

وقال العكبرى: «والوجه فيه: أن يكون آخر الياء، وقدم الهمزة، فلما وقعت الياء طرفاً بعد ألف زائدة، قلبت همزة عند قوم، وعند آخرين قلبت الألف همزة لتلا يجمع ألفان»^(٣).

وقال ابن أبى مریم: «والوجه في الهمزتين أن أصله (ضياء) ياء بعد الضاد، وهمزة واحدة في الطرف؛ لأنه مصدر ضاء - ضياء، كقَامَ قِيَاماً، أَوْجَعَ ضَوْءٌ كَسَوْتُ وَسِيَّاطَ، وَثَوَّبَ وَثِيَابَ، فالياء فيه منقلبة عن واو، فالأصل: ضِواء بالواو فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ولاعتلالها في الفعل أو الواحد، ولقربها من الطرف، فبقى ضِيياء كقراءة الأكثرين، ثم إنهم قلبوا الكلمة، فجعلوا الهمزة التي وقعت طرفاً في موضع العين، وجعلوا الياء التي هي عين في الطرف فبقى ضِيياء بهمزة بعد الضاد، وياء بعد الألف، ثم أنهم قلبوا الياء همزة لوقوعها طرفاً بعد ألف زائدة فبقى ضِياء بهمزتين، وإذا حملت الكلمة على أنها جمع كان أولى لأن القلب بالجمع أليق، وأما قراءة الباقيين وهم الأكثرون بهمزة واحدة فهو الأصل الذي لم يقلب، وهو (فَعَال) جمعاً أو مصدراً»^(٤).

(١) ابن الأنباري: البيان سابق جـ ١ ص ٤٠٨.

(٢) مكى: مشكل إعراب القرآن سابق ١/٣٧٤، والكشف عن وجوه القراءات سابق ١/٥١٣.

(٣) العكبرى: إملاء ما من به الرحمن سابق ٢/٢٤.

(٤) ابن أبى مریم ت ٥٦٥ هـ - الموضح في وجوه القراءات وعللها - سابق، جـ ٢ ص ٦١٥.

ب - جواز قلب الواو همزة:

إذا كانت الواو مضمومة في كلمة ضمّاً لازماً بشرط ألا تكون مشددة ولا موصوفة بما يوجب إعلاها ^(١) ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَنِّي لَهَمَّ التَّائُوْشُ﴾ ^(٢)، ففي تفسيرها الصرّفي يقول النسفي: «التناوش بالهمزة أبو عمرو، وكوفي غير حفص، همزة الواو؛ لأن كل واو مضمومة ضممتها لازمة إن شئت أبدلتها همزة، وإن شئت لم تبدل، نحو قولك: أدور، وتقاوم، وإن شئت قلت: أدور، وتقاوم، وعن ثعلب: التناوش بالهمز التناول من بعد، وبغير همز التناول من قرب» ^(٣).

قال ابن خالويه: «فالحجة لمن همز: أنه أراد التباعد، والحجة لمن ترك الهمز: أنه أراد: التناول، وأنشد لرؤية في الهمز الذي هو بمعنى البعد قوله: (رجز) فهي تنوش الحوض نوشاً من علا . . . نوشاً به تقطع أجواز الفلا» ^(٥)

وفي هذا الموضع لا يجيزه على إطلاقه بل لابد أن يكون ذلك طلباً للخفة ويتضح ذلك من خلال ما علل به عدم القلب في (ووري) في قوله تعالى: ﴿لِيُبْدِيَ لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِيهِمَا﴾ ^(٦)، فقال: «فإن قلت ما للواو مضمومة في (ووري) لم تقلب همزة كما في أو يصل؟ تصغير (واصل)، وأصله (وويصل) فقلبت الواو همزة كراهية لاجتماع الواوين، قلت: لأن الواوين إذا تحركتا ظهر فيهما الثقل ما لا يكون فيهما إذا كانت الثانية ساكنة، وهذا مدرك بالضرورة، فالتزموا إبدالها في موضع الثقل لا في غيره وقرأ عبد الله (أوري) فقلبت» ^(٧).

(١) ابن عصفور: الممتع في التصريف: تحقيق فخرالدين قباوة، الآفاق - بيروت، ج ١ ص ٣٣٢، ٣٣٣.

(٢) سبأ: ٥٢.

(٣) النسفي: التفسير ج ٣ ص ٤٨١.

(٤) ابن منظور: لسان العرب (ج ١).

(٥) لغيلان بن حريث في الكتاب لسبويه ٢٣/٢، ومعاني القرآن للفراء ٣٦٥/٢، ولسان العرب نوش، وابن خالويه الحجة في القراءات تحقيق عبد المال سالم. الرسالة الخامسة سنة ١٩٩٠ ص ٢٩٥.

(٦) الأعراف: ٢٠.

(٧) النسفي: التفسير ج ٢ ص ٧١، والزمخشري: الكشاف ج ٢ ص ٤٣٢.

٣ - قلب الواو أو الياء ألفاً:

يرى النحاة أنه إذا تحركت الواو أو الياء وفتح ما قبلها قلبتا ألفين سواء أكانتا في فعل أم في اسم ، ويشترط أن تتحرك كل من الواو والياء بحركة أصلية، وأن تكون فتحة ما قبلها متصلة بهما في كلمة واحدة ^(١).

ومن مواضع قلب الواو والياء ألفاً التي تحدث عنها النسفي ما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ ^(٢) حيث يقول: «الهائر للتصدع، ووزنه (فَعِلٌ)، قصر عن (فاعل) كخلف عن خالف، وألفه ليس بألف فاعل، إنما هي عينه، وأصله (هَوْرٌ) فقلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها» ^(٣).

٢ - في قوله تعالى: حكاية على لسان النادم يوم القيامة: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ ^(٤) يقول النسفي: «وقرئ: (ياويلتي) بالياء، وهو الأصل؛ لأن الرجل ينادي ويلته، وهى هلكته يقول لها: تعالى فهذا أوانك، وإنما قلبت الياء ألفاً كما في صحارى ومدارى» ^(٥). والمقصود عند النسفي هنا قراءة الحسن وقتادة، لا قراءة حمزة والكسائي.

وليس بصائب رأى النسفي هنا؛ لأن قراءة الحسن وقتادة الياء فيها ضمير متكلم ^(٦)، وليست حرف علة.

وقال النحاس: «والقراءة الأولى أكثر في كلام العرب؛ لأنهم يحذفون إذا قالوا: يا غلام أقبل؛ لأن الياء موضع حذف» ^(٧).

(١) الأشموني: نهج السالك ج٤ ص ٣١٤، ٣١٧، وخالد الأزهرى شرح التصريح ج٢ ص ٣٦٨، ٣٩٠.

(٢) التوبة: ١٠٩.

(٣) النسفي: التفسير ج٢ ص ٢٩٠.

(٤) الفرقان: ٢٨.

(٥) النسفي: التفسير ج٣ ص ٢٤١، ٢٤٢، بميل الألف بعد التاء فمالت التاء بميل الألف قرأ بذلك حمزة والكسائي، السبعة لابن مجاهد ٤٦٤، والباقون بالفتح، وقرأ الحسن وقتادة (ياويلتي) بالإضافة إلى النفس وكسر التاء، البحر المحيط ج٦ ص ٤٩، وإعراب القراءات وعليها لابن خالويه ج٢ ص ١٢٢، وغيرها.

(٦) العكبري: إعراب القراءات الشواذ تحقيق محمد السيد عزور - عالم الكتب - الأولى، سنة ١٩٩٦ ج٢ ص ٢٠٠.

(٧) النحاس: إعراب القرآن ج٣ ص ١٥٨.

٣ - قلب الواو ألفاً في مصدر الرباعي إذا كان معتل العين مثل (أقام) وأصل الألف (واو) ففي المضارع (يقوم)، ويعوض عنها بتاء التانيث، وفي ذلك نظم ابن مالك:

... .. وألف الإفعال واستفعال
أزل لهذا الإفعال والتاء الزم عوض وحذفها بالنقل ربما عرَض^(١)

ففي قوله تعالى: ﴿وَأَقَامِ الصَّلَاةَ﴾^(٢)، يقول النسفي: «التاء في إقامة عوض من الألف الساقطة للإعلال، والأصل (أقوم)، فلما قلبت الواو ألفاً اجتمع ألفان، فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين، فأدخلت التاء عوضاً عن المحذوف، فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام التاء فأسقطت»^(٣).

٤ - قلب الياء واواً:

تقلب الياء واواً في عدة مواضع تخضع في أغلبها لظاهرة التناسب الصوتي بمعنى أن الياء تكون في أغلب المواضع مسبقة بضمة، فيقتضي ذلك قلب الياء واواً للمناسبة الصوتية^(٤). ومن هذه المواضع التي تقلب فيها الياء (واواً) إذا كانت الياء المضموم ما قبلها عيناً لـ (فعلى) بضم الفاء اسماً أو صفة جارية مجرى الأسماء مثل: طوبى، خورى مؤنث: أطيّب وأخير^(٥).

ومما تعرض له النسفي في هذا الموضع ما جاء في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾^(٦)، حيث قال: «الواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها»^(٧).

وفي محاولة لربط معنى الزيادة بالإعلال بالقلب يوضح مدى تمكن النسفي من أدواته اللغوية ما جاء في تعليقه لقلب الياء واواً في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ

(١) ابن مالك: الألفية - مكتبة السنة الأولى سنة ١٩٩٨ حجم صغير، ص ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) السور: ٣٧.

(٣) النسفي: التفسير ج ٣ ص ٢١٦، وابن عقيل - شرح ألفية ابن مالك ج ٤ ص ٢٣٦.

(٤) شعبان صلاح: الإعلال والإبدال، سابق ص ٣٥.

(٥) الرضى: شرح الشافية ج ٣ ص ١٣٤، ١٣٥.

(٦) الرعد: ٢٩.

(٧) النسفي: التفسير ج ٢ ص ٣٥٩.

الحيوان لو كانوا يَعْلَمُونَ ﴿^(١)﴾ ، قال النسفى: «والحيوان مصدر حَيَّ، وقياسه حَيَّان، فقلبت الياء الثانية واوا؛ ولم يقل: لهى الحياة لما فى بناء فَعْلَان معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة، والموت سكون، فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة» ^(٢).

قال العكبرى: «ولام الحيوان ياء، والأصل حَيَّان، فقلبت الياء واوا؛ لنلا يلتبس بالثنية، ولم تقلب ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها لنلا تحذف إحدى الألفين» ^(٣).

٥ - قلب الهمزة ياء:

تقلب الهمزة ياء فى عدة مواضع من مواضع التقاء الهمزتين ومنها:

١ - إذا توالى همزتان، وسكنت الثانية، وكانت الأولى مكسورة قلبت الثانية ياء كما فى قوله تعالى: ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ^(٤) فإصل (إيلاف) هو: إنْلاف فالتقت همزتان أولهما مكسورة، والثانية ساكنة، فقلبت الثانية مدأ من جنس الأولى وهو الياء ^(٥).

وقد تعرض النسفى فى ثانيا تفسيره لهذا النوع بالبيان والتوضيح الموجز المعبر عن المقصود فى موضعين هما:

١ - قول الحق سبحانه: ﴿فَقَاتِلُوا أَلَمَةَ الْكُفْرِ﴾ ^(٦) حيث يقول: «بهمزتين كوفى، وشامى، والباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة وأصلها (أَلَمَّةٌ؛ لأنها جمع (إمَام) كِعِمَاد وأَعْمِدَة، فنقلت حركة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة وأدغمت فى الميم الأخرى، فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الأصل، من قلب الثانية ياء فكسرتها» ^(٧).

(١) العكبرى: ٦٤.

(٢) النسفى: التفسير ج٣ ص ٣٨١.

(٣) العكبرى: إملاء ما من به الرحمن سابق ج٢ ص ١٨٤.

(٤) قریش: ٢٠١.

(٥) ابن هشام: أوضح المسالك ج٤ ص ٣٨٣، وخالد الأزهرى: شرح التصريح ج٢ ص ٣٧٣.

(٦) التوبة: ١٢.

(٧) النسفى: التفسير ج٢ ص ٧١، وقرأها بهمزة واحدة بعدها ياء من السبعة ابن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، ونافع، وقرأها بهمزتين عاصم وابن عامر وحمره واكسائى، السبعة فى القراءات لابن مجاهد ص ٣١٢، وغيث النفع فى القراءات السبع للصفافى ص ١٢٦، والتيسير لأبى عمرو الدانى ص ٩٦.

قال الأزهري: «من قرأ (أَيْمَةً) بهمزة واحدة، وباء بعدها فإنه كره الجمع بين همزتين، فجعل الأخيرة ياء، و(أَيْمَةً) كان في الأصل أئمة مثل (أَعِمَّة) فاستنقلوا الجمع بين اليمين متحركتين، فأسكنوا الميم الأولى، وأدغموها في الأخرى، فصارت ميمًا مشددة، وعوض الذين همزوا همزتين من الميم المدغمة همزة، فصارت ياء مشددة، وعوض الآخرون إحدى الهمزتين ياء»^(١).
وهكذا قال ابن أبي مريم وابن خالويه ومكي^(٢).
وقال الأخفش: «فجعل الهمزة ياء؛ لأنها في موضع كسر، وما قبلها مفتوح، ولم يهمز لاجتماع الهمزتين»^(٣).

٢ - في قوله تعالى: ﴿هُم أَحْسَنُ أَتَانًا وَرِيًّا﴾^(٤)، يقول النسفي: «فعل بمعنى مفعول من رأيت، وريًّا بغير همز مشدداً نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الإدغام»^(٥).

قال أبو زرعة: «ومن لم يهمز فله حجتان: إحداهما أن يكون أراد الهمز فترك كما قرؤوا ﴿خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾»^(٦)، والأصل رِيًّا بالهمز، ثم تركت الهمزة، فصارت ياء مثل (ذَيْب) إذا تركت الهمزة ثم أدغمت الياء في الياء لصارت (رِيًّا) مشدداً»^(٧).

٢ - قلب الهمزة ياء في باب الجمع على وزن صفاعل:

وهو الموضع الثاني الذي ذكر فيه النسفي بعض مواضع قلب الهمزة ياء، وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾^(٨)، فقد قرأها نافع بالهمز

(١) الأزهري: معاني القراءات: سابق، ج ١ ص ٤٤٧.

(٢) ابن خالويه: الحجة ص ١٧٣، ١٧٤، والموضح لابن أبي مريم ج ٢ ص ٥٨٧، والكشف لمكي ج ١ ص ٤٩٨، ٥٠٠.

(٣) الأخفش: معاني القرآن: سابق ج ٢ ص ٥٥١.

(٤) مريم: ٧٤.

(٥) النسفي: ج ٣ ص ٦٩، والسبعة لابن مجاهد ص ٤١١.

(٦) الببيلة: ٧.

(٧) أبو زرعة: حجة القراءات، سابق ص ٤٤٧، وابن خالويه علل القراءات السبع ج ٢ ص ٢٢، والكشف عن وجوه

القراءات السبع لمكي بن أبي طالب اقيسى ج ٢ ص ٩١، والموضح في القراءات لابن أبي مريم ج ٢ ص ٨٢٣،

ومعاني القراءات للأزهري ١٣٨/٢ وغيرها.

(٨) الأعراف: ١٠، والحجر: ٢٠، لكن الثانية لم يرد فيها همز عن أى قارىء.

(معائش) ^(١)، فقال: «والوجه تصريح الياء؛ لأنها أصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة، وعن نافع أنه همزها» ^(٢).

قال مكى بن أبى طالب القيسى: «وروى معائش، ومجازه أنه شبه الياء الأصلية بالزائدة فأجراها مجراها وفيه بعده» ^(٣).

وحجة النحاة فى عدم جواز الهمز أن الهمزة ليست عارضة فى الجمع، بل هى أصلية فى المفرد من (عاش) (يعيش)، وتجاوز النحاة فى رفضهم لهذه القراءة وسيذكرون شاء الله فى الفصل الرابع.

وقال ابن جنى: «وقد قالت العرب: مصائب فهمزوا، وبعضهم همز (مدائن)» ^(٤).

ومن المواضع التى ذكر فيها النسفى قلب الهمزة ياء، ماجاء فى تفسيره لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَانكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ﴾ ^(٥) حيث قال: «الأيامى جمع أيم، وهو من لا زوج له رجلاً كان أو امرأة، بكراً كان أو ثيباً، والأصل (أيائيم) فقلبت» ^(٦).

خاصة: الإبدال:

عرف النحاة الإبدال بأنه: جعل مطلق حرف مكان آخر صحيح غير الهمزة، وقد يطلق الإبدال على ما يعم القلب إذ كل منهما تغيير فى الموضع، وهو أعم من الإعلال، ولذلك قبل: كل إعلال يقال له إبدال ولا عكس ^(٧).

وقد شغف النسفى ببيان مواضع الإبدال وحروفه فى كثير من ألفاظ الآيات القرآنية فى عدة مواضع ومن ذلك:

(١) ابن مجاهد: السبعة فى القراءات ص ٢٧٨.

(٢) النسفى: التفسير ج ٢ ص ٦٧، والزمخشرى: الكشاف ٢/٤٢٥.

(٣) مكى بن أبى طالب القيسى: مشكل إعراب القرآن، سابق ج ١ ص ٣٠٦.

(٤) ابن جنى: المنصف شرح تصريح المازنى: سابق ج ١ ص ٣٠٧، ٣١٢.

(٥) اللور: ٣٢.

(٦) النسفى: التفسير ج ٣ ص ٢١٠.

(٧) الرضى: شرح الشافية ٣/١٩٧، الأشمونى ج ٤ ص ٢٧٩، وأحمد الحملاوى: شذا العرف ١٩١.

١ - إبدال الهاء ألفاً:

يرى النحاة أن الهاء قد تبدل ألفاً، ومن ذلك: (آل) من أهل، قال ابن منظور: «وآل الرجل أهله، وآل الله، وآل رسوله: أوليأؤه، أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير آل فلما توالى الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً»^(١).

وقد ذكر النسفي في تفسيره لقول الحق سبحانه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾^(٢) أن: «أصل (آل) أهل، ولذلك يصغر بأهليل، فأبدلت هاؤه ألفاً، وخص استعماله بأولى الخطر كالمملوك وأشباههم، ولا يقال آل الإسكافي والحجام»^(٣).

٢ - إبدال الألف هاء:

اختلف النحاة في (مهما) الشرطية فمنهم من يرى أنها مركبة، وهو رأى جمهور النحاة^(٤)، ويرى ابن هشام وحده أنها بسيطة^(٥).

ويختار النسفي رأى جمهور النحاة من البصريين ويراها سديداً في ذلك فيقول مفسراً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾^(٦)، : «أصله (ماما)، فما الأولى للجزاء، ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك: متى تخرج أخرج، أينما تكونوا، فإما نذهبن بك، إلا أن الألف قلبت هاء استثقالاً لتكرير المتجانسين، وهو المذهب السديد البصرى»^(٧)، وفي موضع آخر يقول: «ألا ترى أن الأصل في (مهما) فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء»^(٨).

قال ابن الحاجب: «يجوز أن يكون (مهما) أصله (ماما) كررت (ما) الاستفهامية فيه للتأكيد، فقلبت الألف الأولى (هاء) كما قلبت ألف الشرطية في قولهم: مهما، وهى عند الأكثرين (ماما)، وليس ذلك بقياس، وإنما هو حمل لفظ العربى على ما يحمله، مما هو من جنس

(١) ابن منظور: لسان العرب (أهل).

(٢) البقرة: ٤٩.

(٣) النسفي: التفسير ج ١ ص ٨٨.

(٤) سيبويه الكتاب ج ٣ ص ٦٠، والمرادى: الجنى الدانى ص ٦١٢، والصبان: حاشية على شرح الأشموني ٣٧١/٢.

(٥) ابن هشام: مغنى اللبيب: سابق ص ٣٣١.

(٦) الأعراف: ١٣٢.

(٧) النفسى: التفسير: ج ٢ ص ١٠٥.

(٨) نفسه ج ٤ ص ٢١٥.

كلامهم، وليس من القياس المختلف فيه فى شىء، ويجوز أن يكون (ما) الأولى مد الوقف عليها، فقلبت ألفها هاء، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف، والوجه الأول أوضح، ويجوز أن تكون (مه) من قول الشاعر: (سريع)

مَهْمَا لِيَّ اللَّيْلَةُ مَهْمَا لِيَّهِ . . . أَوْ دِي بِنَفْلِي وَسِرْبَالِيهِ^(١)
اسم فعل من قولهم: (مه) أى: اسكت^(٢).

إبدال الياء سيناً:

وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَّاهَا﴾^(٣) حيث قال النسفى: «وأصل (دسّ): دَسَسَ، والياء بدل من السين المكررة»^(٤).

قال ابن قتيبة: «ودسّاه من دَسَسَتْ فقلبت إحدى السينات ياء، كما يقال لَيْتَ والأصل (لَيْتَ) وقَصَّيتَ أظفارى، وأصله قَصَصْتَ ومثله كثير»^(٥).

إبدال الواو تاء:

وذلك فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾^(٦) حيث قال: «أى: متتابعين واحد بعد واحد، وتأوها بدل من الواو، والأصل (وَتَرَى) من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو تاء»^(٧).
قال الزجاج: «من قرأ بالتونين فمعناه وتراً فأبدل من الواو كما قالوا (تَوَلَّج) وهو من وَلَجَ، وأصله (وَوَلَج) كما قال الشاعر: (رجز)

فَإِنْ يَكُنْ أَمْسَ الْبَلَى تَيَقُّورِي^(٨)

أى: (ويَقُورِي)، وهو فَيَعُولٌ مِنَ الْوَقَارِ، وكما قالوا تَجَاهَ وإنما هو وَجَاهٌ مِنَ الْوَاَجَهَةِ^(٩).

(١) لعمرى ملقط الباهلى فى شرح الكافية للرضى ج٤ ص ٨٨، والدرر اللوامع: للشنقيطى ج٥ ص ٧٣ وغيرها.

(٢) ابن الحاجب: الأمالى النحوية، سابق ج٣ ص ١٣٥.

(٣) الشمس: ١٠.

(٤) النسفى: التفسير ج٤ ص ٥٢٨.

(٥) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٤٢، وأدب الكاتب ٤٧٨، والأصفهاني: المفردات فى غريب القرآن: كتاب الجمهورية سنة ١٩٩١، ص ١٦٩.

(٦) المؤمنون: ٤٤.

(٧) النسفى: التفسير ج٣ ص ١٨٠.

(٨) هو المعاج فى لسان العرب لابن منظور (وتر) وبلا نسبه فى معانى القرآن للزجاج ج٤ ص ١٤.

(٩) الزجاج: معانى القرآن ج٤ ص ١٤.

قال الجوهري: «فمن ترك حروفها في المعرفة جعل ألفها ألف التانيث وهو أجود، وأصلها وتري من الوتر، وهو الفرد»^(١).

فاء الاتعمال:

يرى النحاة أنه من خلال استقراء نصوص اللغة إذا كانت فاء الافتعال في صيغة (افتعل) حرفاً من أحرف الإطباق (الضاد، الصاد، الظاء، الطاء) فإن مجيء التاء بعدها مستقلاً لغوياً، وذلك لما بينهما من تقارب في المخرج وتباين في الصفة؛ لذا تلجأ اللغة العربية إلى إبدال التاء حرف استعلاء من مخرجها مثل: افتعل من (صنع) على (اصتنع) فتبدل إلى اصطنع^(٢).

وإذا وقعت تاء الافتعال بعد (دال أو ذال، أو زاي) وجب قلبها دالاً لأن التاء مهموسة والأحرف السابقة مجهورة، فوجب إبدال التاء حرفاً يوافق ما يسبقها في الجهر، ويكون مخرج التاء هو الدال، مثل (ازداد) فالأصل (ارتيد) تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً^(٣). وفي هذا الإطار تحدث النسخة عن بعض ألفاظ الأفعال في تفسيره ومن ذلك:

١ - إبدال التاء دالاً:

وذلك في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾^(٤) : يقول النسخة: «وأصله تَدَارَأْتُمْ، ثم أرادوا التخفيف فقلبوا التاء دالاً لتصير من جنس الدال التي هي فاء الكلمة ليتمكن الإدغام، ثم سكنوا الدال، إذ شرط الإدغام أن يكون الأول ساكناً، ثم زيدت همزة الوصل؛ لأنه لا يمكن الابتداء بالسكن»^(٥).

– وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾^(٦) يقول النسخة: «أصله تَدَارَكُوا، أي: تلاحقوا، فأبدلت التاء دالاً، وسكنت للإدغام ثم أدخلت همزة الوصل»^(٧).

(١) الجوهري: الصحاح: سابق جـ ٢ ص ٨٤٣.

(٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، سابق جـ ١ ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٣) الرضى: شرح الشافية ٢/ ٢٧٧.

(٤) البقرة: ٧٢.

(٥) النسخة: التفسير: جـ ١ ص ٦٩، والزجاج: معاني القرآن وإعرابه جـ ١ ص ١٥٣، وأبو جعفر النحاس: إعراب القرآن

جـ ١ ص ٢٣٨.

(٦) الأعراف: ٣٨.

(٧) النسخة: التفسير جـ ٢ ص ٧٧.

قال النحاس: «قرأ الأعمش (تداركوا)، وهذا الأصل، ثم وقع الإدغام فاحتج إلى ألف الوصل»^(١).

وقال الزجاج: «أى تداركوا، وأدغمت التاء فى الدال، فإذا وقفت على قوله (حتى إذا) لم تبدىء حتى تأتى بألف الوصل، فتقول: أداركوا، فتأتى بألف الوصل لسكون الدال فيها»^(٢).
- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أَمَةٍ﴾^(٣)، يقول النسفى: «بالدال وهو الفصحى، وأصله (أذكر) فأبدلت الدال دالا، والفاء دالا، وأدغمت الأولى فى الثانية ليتقارب الحرفان، وعن الحسن (وأذكر)، ووجهه أنه قلب التاء (ذالا) وأدغم»^(٤).

قال العكبرى: «وأذكر أصله أذكر، فأبدلت الدال دالا، والتاء دالا، وأدغمت الأولى فى الثانية ليقارب الحرفان، ويقرأ شاذلاً بذال معجمة، ووجهها أنه قلب التاء ذالا، وأدغم»^(٥).

ويدو هنا تقارب ألفاظ النسفى من ألفاظ العكبرى فى الإملاء، وقد نقل النسفى من الإملاء وذكره فى موضع تفسيره لقول الله عز وجل: حكاية على لسان المؤمنين ﴿وَيَلْكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرَ لِمَن آمَنَ﴾^(٦) يقول النسفى: «وفى التبيان إعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أى: ألزمكم الله ويلكم»^(٧).

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾^(٨)، حيث ذكر النسفى فى تفسيرها أنه من ازدجار الكفر «تقول: زجرته، وازدجرته، أى: منعت، وأصله ازججر، ولكن التاء إذا وقعت بعد زاي ساكنة أبدلت دالا؛ لأن التاء حرف مهموس، والزاي حرف مجهور فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليناسبها وهذا فى آخر كتاب سيبويه»^(٩).

(١) النحاس: إعراب القرآن ١٢٥/٢ وهى قرأه ابن مسعود والأعمش فى البحر المحيط ج٤ ص ٢٩٦.

(٢) الزجاج: معانى القرآن ٣٣٦/٢.

(٣) يوسف: ٤٥.

(٤) النسفى: ٣٢٢، ٣٢١/٢.

(٥) العكبرى: إملاء ما من به الرحمن ٥٤/٢، والنحاس إعراب القرآن ج٢ ص ٣٣١.

(٦) القصص: ٨٠.

(٧) النسفى: التفسير ج٣ ص ٣٥٦، من الإملاء ج٢ ص ١٨٠.

(٨) القمر: ٤.

(٩) النسفى: التفسير ج٤ ص ٢٩٧.

يقول سيبويه في باب الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا «والتاء والدال سواء كل واحدة منهما تدغم في صاحبتهما حتى تصير التاء دالاً، والدال تاء؛ لأنهما من موضع واحد، وهما شديدتان ليس بينهما شيء إلا الجهر والهمس»^(١).

– وفي قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(٢)، جاء أن «أصله مُدَتَكِّرٌ بالدال والتاء ولكن التاء أبدلت منها الدال، والدال والذال من موضع فأدغمت الدال في الدال»^(٣).
قال مكى بن أبى طالب القيسى: «أصله (مُدَتَكِّرٌ)، فهو (مُفَتَّعِلٌ) من الذكر، لكن الدال حرف مجهور قوى، والتاء مهموسة ضعيفة، فأبدلوا من التاء حرفاً من مخرجها، مما يوافق الدال في الجهر، وهو الذال، ثم أدغمت الدال في الدال»^(٤).

إبدال التاء طاء:

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾^(٥) يقول النسفى: «الطاء في اصْطَفَاهُ بدل من التاء لمكان الصاد الساكنة»^(٦).

قال الزجاج: «اصْطَفَاهُ» ومعناه اختاره، وهو افْتَعَلَ من الصَّفْوَةِ، والأصل اصْطَفَاهُ، فالتاء إذا وقعت بعد الصاد أبدلت طاء؛ لأن التاء من مخرج الطاء، والطاء مطبقة، كما أن الصاد مطبقة فأبدلوا الطاء من التاء؛ ليسهل النطق بما بعد الصاد، وكذلك افْتَعَلَ من الضَرْبِ: اضْطَرَّابٌ، ومن اظلم اصطلم، ويجوز في اظلم وجهان آخران يجوز اظلم بطاء مشددة غير معجمة، واظلم بطاء مشددة قال زهير: (بسيط)
هو الجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ . . . عَفَوًا وَيُظْلِمُ أَحْيَانًا فَيَظْطَلِمُ^(٧)
ويظلم ويظلم»^(٨).

(١) سيبويه: الكتاب ج٤ ص ٤٦١.

(٢) القمر: ١٥.

(٣) النسفى: التفسير ج٤ ص ٢٩٩.

(٤) مكى بن أبى طالب القيسى: مشكل إعراب القرآن ج١ ص ٣٣٥.

(٥) البقرة: ٢٤٧.

(٦) النسفى: التفسير ج١ ص ١٩٣.

(٧) ابن منظور: لسان العرب: ظلم.

(٨) الزجاج: معانى القرآن ج١ ص ٣٢٨.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾^(١)، يقول النسفي: «أى: يَطُوفُ فأدغم التاء فى الطاء»^(٢) ومثلها ﴿ومن يَطُوع﴾^(٣) قال: «أى: يَطُوعُ فأدغم التاء فى الطاء»^(٤) وفى قوله تعالى: ﴿فمن تَطُوع﴾^(٥) يقول النسفي: «يطُوع بمعنى يَطُوعُ حمزة وعلى»^(٦).
قال النحاس: «والأصل: يَطُوفُ ثم أدغمت التاء فى الطاء، وقراءة أهل الكوفة إلا عاصماً ومن يَطُوع خيراً» والأصل يَطُوعُ أدغمت التاء فى الطاء^(٧).
قال ابن أبى مريم فى قراءة حمزة والكسائي (يطُوع): «ووجه ذلك أن أصله: يَطُوعُ فأدغم التاء فى الطاء لتقارب الحرفين فبقى: يَطُوع»^(٨).

قلب التاء شيئاً:

ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وإن منها لما يَشَقُّقُ فيُخْرِجُ منه الماء﴾^(٩) قال النسفي: «أصله يَشَقُّقُ وبه قرأ الأعمش، فقلبت التاء شيئاً، وأدغمت»^(١٠).
قال أبو حيان: «قرأ الجمهور يشقق بتشديد الشين وأصله يشقق فأدغم التاء فى الشين، وقرأ الأعمش تشقق بالتاء والشين الخفيفة على الأصل»^(١١).
وقد رفض أبو حاتم والنحاس قراءة (تشقق) للأعمش^(١٢).
- ومثلها فى قوله تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾^(١٣) نفس التوجيه حيث يقول: «والأصل تشقق فحذف كوفى، وأبو عمرو التاء، وغيرهم أدغمها فى الشين»^(١٤).

(١) البقرة: ١٥٨.

(٢) النسفي: التفسير ج ١ ص ١٤٠.

(٣) البقرة: ١٥٨.

(٤) النسفي: التفسير ١/ ١٤٠ ومثلها (اسطاعوا) ٩٧ الكهف ج ٣ ص ٤٤.

(٥) البقرة: ١٨٤.

(٦) النسفي: التفسير ج ١ ص ١٥٢، السبعة لابن مجاهد ص ١٧٢.

(٧) النحاس: إعراب القرآن ج ١ ص ٢٧٤، والفراء معانى القرآن ١/ ٩٥.

(٨) ابن أبى مريم: الموضح فى القراءات ١/ ٣٠٥.

(٩) البقرة: ٧٤.

(١٠) النسفي: التفسير ج ١/ ١٠١١.

(١١) أبو حيان: البحر المحيط ج ١ ص ٢٦٥.

(١٢) أبو جعفر النحاس: إعراب القرآن ج ١ ص ٢٣٨.

(١٣) الفرقان: ٢٥.

(١٤) النسفي: التفسير ج ٣ ص ٢٤١، ومثلها فى الآية ٤ من سورة (ق) ج ٤ ص ٢٦٥.

قال أبو زرعة: «قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: «ويوم تشق السماء» بالتشديد أرادوا: (تشقق، فأدغموا التاء في الشين، وقرأ الباقون: تشق بالتخفيف أرادوا أيضاً تشقق، فحذفوا إحدى التائين»^(١).

قال ابن أبي مريم في قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر «والوجه أن أصله (تشقق) فأدغم التاء الثانية في الشين؛ لأن في الشين تفشياً يبلغ مخارج حروف طرف اللسان وأصول الشايات، وهي التاء وأمثاله، فأدغم في الشين كما أدغم في الصاد بهذه العلة أيضاً؛ لأن الصاد لإطباقه يبلغ الصوت به مخارجها»^(٢).

قلب التاء ناء:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثقالتكم﴾^(٣). قال النسفي: «ثناقلتم، وهو أصله إلا أن التاء أدغمت في التاء فصارت ثاء، ساكنة، فدخلت ألف الوصل لئلا يتبدأ بالساكن»^(٤).

قال الفراء: «معناه والله أعلم: ثناقلتم، فإذا وصلتها العرب بكلام أدغموا التاء في التاء؛ لأنها مناسبة لها، ويحدثون ألفاً لم يكن، لينبأ الحرف على الإدغام في الابتداء والوصل وكأن إحداثهم الألف ليقع بها الابتداء، ولو حذف لأظهروا التاء لأنها مبتدأة والمبتدأ لا يكون إلا متحركاً»^(٥).

قلب التاء ظاء:

وذلك ما جاء في قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بتشديد الظاء في قوله تعالى: ﴿تظاهرون عليهم﴾^(٦) ومثلها في الأحزاب، والتحريم^(٧).

(١) أبو زرعة: حجة القراءات ص ٥١٠.

(٢) ابن أبي مريم: الموضح سابق ج ٢ ص ٩٢٩.

(٣) التوبة: ٣٨.

(٤) النسفي: التفسير ج ٢ ص ١٨٢.

(٥) الفراء: معاني القرآن ج ١ ص ٤٣٧، ٤٣٨.

(٦) البقرة: ٨٥.

(٧) الآية ٤ من الأحزاب، و ٤ من التحريم، السبعة لابن مجاهد: ص ١.

قال النسفى: «بالتخفيف كوفى، أى تتعاونون، بالتشديد غيرهم، فمن خفف فقد حذف إحدى التائين، ثم قيل: هى الثانية؛ لأن النقل بها، وقيل: الأولى، ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وأدغم»^(١).

قال أبو على الفارسى: «فقرءة الفريقين فى المعنى سواء... فأما فى اللفظ من قال (تظاهرون، أدغم التاء فى الظاء لمقاربتها لها، ومن قال: (تظاهرون) حذف التاء التى أدغمها الآخرون من اللفظ فكل واحد من الفريقين كره اجتماع الأمثال والمقاربة»^(٢).

قلب التاء سينا:

وذلك فى قوله تعالى: ﴿لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾^(٣)، يقول النسفى: «بفتح التاء وتخفيف السين والإمالة، وحذف إحدى التائين من (تَسَوَّى) حمزة وعلي، (تَسَوَّى)^(٤) بإدغام التاء فى السين مدنى وشامى»^(٥).

ففى قراءة نافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين، يقول ابن أبى مریم: «والأصل: تَسَوَّى، فأدغم التاء فى السين لقربها منها... وقرأ حمزة، والكسائى (تَسَوَّى) بفتح التاء وتخفيف السين مماله، والأصل: تَسَوَّى أيضاً، فحذف التاء التى أدغمها الآخرون، فلما أعلاها ذاك بالإدغام، أعلاها هذان بالحذف»^(٦).

قال الأزهرى: «من قرأ (تَسَوَّى) فالأصل تسوى، فحذفت إحدى التائين، ومن قرأ (تسوى) فالأصل أيضاً (تَسَوَّى)، فأدغمت التاء الثانية فى السين، وشددت: يقال: أَسَوَّى، يَسَوَّى، أَسَا، فهو مُسَوَّى»^(٧).

وهكذا وجهها أبو على الفارسى، وابن خالويه، وأبو زرعة، والعكبرى ومكى بن أبى طالب القيسى»^(٨).

(١) النسفى: التفسير ج ١ ص ١٠٥.

(٢) أبو على الفارسى: الحجة فى القراءات السبع - تحقيق على النجدى ناصف وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ ج ٢ ص ١٠٩.

(٣) النساء: ٤٢.

(٤) ابن مجاهد: السبعة فى القراءات ص ٢٣٤، والتيسير لأبى عمرو الدانى ص ٨٠، وقرأها: عاصم وابن كثير وأبو عمرو (تسوى) مضمومة التاء مفتوحة السين.

(٥) النسفى: التفسير ج ١ ص ٣٣٢.

(٦) ابن أبى مریم: الموضح فى علل القراءات ج ١ ص ٤١٨.

(٧) الأزهرى: معانى القراءات ج ١ ص ٣٠٨.

(٨) أبو على: الحجة سابق ١٦٢/٣، ١٦٣، والحجة لابن خالويه ١٢٤، والحجة لأبى زرعة ص ٢٠٤، وإملاء ما من به الرحمن ١/١٨١، ومكى: الكشف عن وجوه القراءات ١/٣٩٠.

تعقيب :

فى هذه اللّمحات السابقة فى المسائل الصرفية يتضح أن النسفى قد أعطى الجانب الصرفى قدرًا مناسباً من العناية وفى مسائل الصرف المتنوعة ، كالاشتقاق ، والتأنيث والجمع والإعلال والإبدال متخذاً من القراءات القرآنية ، ولا سيما المتواترة ميداناً لبيان تلك التحولات التى تطرأ على بنية الكلمة ، مما يعنى أنه بالإضافة إلى كونه مفسراً و فقيهاً يمكن القول إنه صرفى بصير بمسائل الصرف خبير بعناصرها محيط بأقوال النحاة وعلماء القراءات .

وهذه الجهود الصرفية ولا شك قد استفاد فيها النسفى من جهود سابقيه ، وتبقى له فى تفسيره فكرة التطبيق والتثيل والتحليل لألفاظ وكلمات القرآن الكريم ، وقد نص صراحة على أنه نقل من كتاب سيبويه محدداً أن ما نقله من آخر كتاب سيبويه وهو كذلك بالفعل ، وكذلك من كتاب التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ، وهو نفسه كتاب إملاء ما من به الرحمن . وغيرهما من النحاة .

ولا شك أن هذه الجهود لا تسلم من الهنات ، وقد وقع النسفى فى بعض الهنات ، وقد تم توضيحها فى مواضعها ، ولا يقلل ذلك من تمكنه من المسائل الصرفية .

وحينما يقال إن النسفى أخذ من جهود السابقين فلا يعنى ذلك أنه كان ناقلاً بلا خبرة فى هذا المجال ، بل كان عارفاً منتخباً من الآراء موافقا لرأى جمهور النحاة من البصريين . وكذلك فإن النسفى يرفض التعسف فى تأويلات وتوجيهات النحاة .

ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ^(١) ، يقول النسفى : « هما اسمان أعجميان ، وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بمفعلة وأفعيل إنما يصح بعد كونهما عربيين » ^(٢) .

وفى موضع آخر يقول فى قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ﴾ ^(٣) ، : « وأصله يَسْمَعُونَ ، والتَّسْمَعُ تَطْلُبُ السَّماع ، يقال : تَسْمَعُ فَسَمِعَ ، وينبغى أن يكون كلاماً منقطعاً وقيل

(١) آل عمران : ٣ .

(٢) النسفى : التفسير ج ١ ص ٢٢٠ .

(٣) الصافات : ٨ .

أصله لئلا يسمعوا، فحذفت اللام كما حذفت في جنتك أن تكرمنى، فبقى أن لا يسمعوا فحذفت أن، وأهدر عملها كما في قوله: (طويل)

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضُرُ الْوَعْيِ . . . وَأَنْ أَشْهَدَ السَّلَاطَةَ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي^(١)

وفيه تعسف يجب صون القرآن عنه مثله؛ فإن كل واحد من الحذفين غير مردود على انفراده، ولكن اجتماعهما منكره^(٢).

وهو رأى الفراء وأبو زرعة، حيث يقول الأول: «لو كان في موضع (لا) أن صلح ذلك»^(٣)، وقال الثانى: «وتأويل الكلام: وحفظاً من كل شيطان مارد لئلا يسمعوا، بمعنى أنهم ممنوعون بالحفظ عن السمع، فكفت (لا) من (أن) كما قال: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾^(٤) بمعنى لئلا يؤمنوا به، فكفت (لا) من (أن) كما كفت (أن) من (لا) في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضَلُّوا﴾^(٥)،^(٦)

وقد وجهها النحاة على أن التاء أدغمت في السين فشددت، قال الأزهرى: «فالأصل يتسمعون أدغمت التاء في السين فشددت، ومن قرأ (لا يسمعون) خفيفة فهو بمعنى لا يستمعون»^(٧).
وقريب من هذا التوجيه رأى أبى جعفر النحاس، ومكى بن أبى طالب القيسى وابن خالويه^(٨)
وهكذا فإن النسفى يرفض التعسف في توجيه القراءة بالأوجه البعيدة في اللغة ويقول أنه ينبغي صون القرآن عن مثله وقد صدق. فذلك من آداب المفسر كما سبق.

(١) لطرفة بن العبد في شرح القصائد السبع الجاهليات لابن الإنبارى تحقيق عبد السلام هارون، دارالمعارف، الخامسة ١٩٩٣، ص ١٩٢، وهو فى المقتضب للمبرد ٨٥/٢، واللباب فى علل البناء والإعراب ٤٨/١، وخزانة الأدب ١١٩/١ وغيرها.

(٢) النسفى: التفسير ج٤ ص ٢٧، ٢٨، والزمخشري: الكشاف ٥ ص ٢٠٤.

(٣) الفراء: معانى القرآن ٣/٣٨٣.

(٤) الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١.

(٥) النساء: ١٧٦.

(٦) أبو زرعة: الحجة فى القراءات ص ٦٠٥.

(٧) الأزهرى: معانى القراءات ج٢ ص ٣١٦.

(٨) النحاس: إعراب القرآن ج٣ ص ٤١٠، ومكى القيسى، الكشف عن وجوه القراءات ٢ ص ٢٢٢، وابن خالويه: الحجة ص ٣٠١.

الفصل الرابع
النسفي عالم القراءات

القراءات فى اللغة: جمع قراءة، وهى مصدر قرأ، يقال: قرأ، يقرأ قراءةً وقرأنا بمعنى (تلا) فهو قارئ^(١).

وفى الاصطلاح: له تعريفان هما:

١ - علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحى فى الحروف^(٢).

٢ - علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم فى أحوال النطق من حيث السماع^(٣).

وهناك فرق بينه وبين علم التجويد الذى يعنى «إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه، أى: صفاته الذاتية اللازمة لذات الحرف التى لا تنفك عنه»^(٤)، حيث إن الأول وهو علم القراءات يهتم بكيفية الأداء لكلمات القرآن الكريم، واختلافها معزواً لناقله^(٥).

وعلم القراءات هو الذى يهتم بدراسة هذه القراءات، أما التجويد فيهتم بالصفات الذاتية للحروف.

والدليل على نزول القراءات الحديث النبوى الشريف الذى جاء فيه عن النبى ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه»^(٦)، وقوله ﷺ: «أقرأنى جبريل عليه السلام على حرف فراجعته حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^(٧).

(١) ابن منظور ت ٧١١ هـ - لسان العرب - تحقيق عبد الله الكبير - سابق (قرأ).

(٢) محمد سالم محيسن: القراءات وأثرها فى علوم العربية: الكليات الأزهرية، الأولى ١٩٨٤ ج ١/٩.

(٣) على محمد الصنباع: شرح الشاطبية: مطبعة محمد على صبيح القاهرة، د.ت ص ٣.

(٤) محمود رفاعة الطهطاوى: التحفة العنبرية، الجهاز المركزى للكتب الجامعية القاهرة. ١٩٩٠ ص ٥.

(٥) القسطلانى: لطائف الإشارات لفنون القراءات تحقيق عامر عثمان وآخر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٢، ج ١ ص ١٧١.

(٦) أحمد أبو الخير: الأصوات فى رواية حفص عن عاصم: المطبعة الفنية القاهرة ١٩٨٩ ص ١٣.

(٧) البخارى ت ٢٥٦ هـ - الصحيح، تحقيق لجنة من كبار العلماء - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة د.ت ج ٦ ص ١٠٠، والنسائى عبد الرحمن بن شعيب ت ٣٠٣ هـ: السنن، دار الريان للتراث القاهرة، الأولى ١٩٨٧ ج ١ ص ١٠٢، ج ٢ ص ١٥٢، والنووى: شرح مسلم بصحيح النووى تحقيق عبد المعطى قلعجى - دار الغد العربى، القاهرة، الأولى ١٩٨٨ ج ٢ ص ٢٧٣، والإمام مالك بن أنس ت ٢٧٩ هـ، الموطأ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار الشعب القاهرة، الأولى ١٩٧٠، ص ١٤٢.

(٨) البخارى: نفسه ج ٦ ص ٢٠٠.

ويرى ابن حجر العسقلاني ت ٧٧٣هـ، أن هذه الأحاديث «تقوى أن المراد بالأحرف اللغات أو القراءات، أى: أنزل القرآن على سبع لغات أو قراءات»^(١).

ويقول ابن قتيبة ت ٢٧٦هـ فى تفسير المراد بالحرف فى الحديث الأول: «... والحرف يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم، وعلى الكلمة الواحدة ويقع على الكلمة بأسرها، والخطبة كلها، والقصيدة بأكملها، وأنه لا يوجد فى كتاب الله تعالى حرف قرئ على سبعة أوجه»^(٢).

أما أسباب هذا الاختلاف فيذكر: «وكل هذه الحروف كلام الله تعالى وكان من تيسيره أن أمره، أى: النبى ﷺ بأن يقرئ كل قوم بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم، فالهذلى يقرأ «عَتَّى عَيْن» يريد «حَتَّى حِينَ»^(٣)، والأسدى يقرأ «تَعْلَمُونَ» وتَعْلَم، و«تَسْوَدُّ وَجُوهٌ»^(٤)، و«أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ»^(٥) بكسر حرف المضارعة، والتميمى يهمز، والقرشى لا يهمز، ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً؛ لاشتد ذلك عليه، وعظمت الخنة فيه... فأراد الله برحمته، ولطفه، أن يجعل لهم متسعاً من اللغات ومتصرفاً من الحركات»^(٦).

الأسدى

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح البارى بشرح صحيح البخارى، سابق، ج ١٤ ص ٢٠٣.

(٢) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن تحقيق السيد صفار، سابق، ص ٣٤، ٣٥.

(٣) يوسف ٢٣٥ وقرأها بالعين ابن مسعود، كما فى مختصر الشواذ لابن خالويه سنة ١٩٣٤ ص ٦٨، وابن جنى: المحتسب فى تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها تحقيق على النجدى وآخرين، المجلس الأعلى للشتون الإسلامية القاهرة سنة ١٩٨٦ ج ١ ص ٣٤٣، وتسمى هذه الظاهرة (قلب الحاء عينا) بالفحفة وتنسب لهذيل (رمضان عبد التواب - فصول فى فقه العربية، الخانجى، الثالثة سنة ١٩٨٧، ص ١٢٤).

(٤) آل عمران: ١٠٦، وبكسر الفاء قرأها ابن وثاب وأبو زيد كما فى البحر المحيط لأبى حيان، دار الحديث، الثانية د.ت. ج ٣ ص ٢٢.

(٥) يس: ٦٠، وبكسر الهمزة قرأها طلحة والهذيل بن شرحبيل، كما فى البحر المحيط لأبى حيان ج ٧ ص ٣٤٣، وتسمى بظاهرة التثنية، وتنسب لأسد وتميم، رمضان عبد التواب: فصول فى فقه العربية - سابق ص ١٣٨.

(٦) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن - مرجع سابق ص ٣٨، ٣٩، ٤٠.

الاحتجاج بالقراءات :

هل تجوز القراءة بجميع هذه الوجوه؟ وهل يجوز الاحتجاج بها في اللغة والنحو؟ يطرح ابن قتيبة السؤال الأول، ويقدم له إجابة تكاد تكون وافية فيقول: «فإن قال قائل: فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع هذه الوجوه؟ قيل له: كل ما كان منها موافقاً لمصحفنا غير خارج عن رسم كتابه؛ جاز لنا أن نقرأ به، وليس لنا ذلك فيما خالفه»^(١).

وقد استحسنّت الدراسات الحديثة هذا الرأي وقبلته؛ لما فيه من تحديد دقيق للشروط التي يجب توافرها في القراءة المقبولة، ولما فيه من تعليل سديد لرفض المرفوض منها»^(٢).

وقد أضاف ابن الجزرى لهذين الشرطين: موافقة العربية ولو بوجه فقال: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها»^(٣)، كما أنه يرى أن الاختلاف والتنوع من باب التيسير إذ يقول: «قلو كُلفوا بالعدول عن لغتهم، وألستهم لكان من التكليف بما لا استطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع»^(٤) فشروط القراءة الصحيحة:

١ - صحة السند

٢ - موافقة الرسم

٣ - موافقة قواعد العربية

أما القراءة الشاذة فهي التي فقدت أحد هذه الشروط، لا سيما الأول، أي صحة السند «ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة»^(٥).

(١) ابن قتيبة: نفسه ص ٤٢.

(٢) إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية - سابق، ص ٥٦ وغيرها.

(٣) ابن الجزرى محمد بن محمد ت ٨٣٣ - النشر في القراءات العشر - عناية محمد على الصباغ - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة د.ت ج ١ ص ٩.

(٤) نفسه ج ١ ص ٢١.

(٥) نفسه ج ١ ص ٢٩.

وَيُطْلَقُ عَلَى الْقِرَاءَةِ الْأَحْكَامُ الْعَالِيَةِ:

- ١ - من حيث موافقة العربية يُنسب للقراءة «القوة أو الضعف» لكنها لا تتجرد في كليهما عن الصحة ما دامت مستوفاة للشرطين الآخرين.
- ٢ - ومن حيث موافقة أحد المصاحف العثمانية، ينسب للقراءة «الاطراد أو الشذوذ» لكنها لا تتجرد في كليهما عن الصحة مادام الشرطان الآخران موجودين .
- ٣ - ومن حيث صحة السند ينسب لها «التواتر أو الأحاد أو البطلان» وواضح أن البطلان يكون باختلال السند، وأنه مرفوض^(١).

وقد أجمع علماء الأمة على صحة القراءات السبع التي اختارها أبو بكر بن مجاهد ت

٣٢٤هـ في كتابه السبع في القراءات وأصحابها هم:

- ١ - عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي ت ١١٨هـ.
- ٢ - عبد الله بن كثير المدني ت ١٢٠هـ.
- ٣ - عاصم بن أبي النجود الكوفي ت ١٢٧هـ.
- ٤ - أبو عمرو بن العلاء البصري ت ١٥٤هـ.
- ٥ - حمزة بن حبيب الزيات الكوفي ت ١٥٦هـ.
- ٦ - نافع بن أبي نعيم المدني ت ١٦٩هـ.
- ٧ - علي بن حمزة الكسائي الكوفي ت ١٨٩هـ^(٢).

واستحسن العلماء ثلاث قراءات أخرى هي المنسوبة إلى:

- ١ - أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني ت ١٣٠هـ.
- ٢ - يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري ت ٢٠٥هـ.
- ٣ - خلف بن هشام البغدادي ت ٢٢٩هـ^(٣).

(١) محمد عبيد - الاستشهاد والاحتجاج في اللغة - رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث - عالم الكتب - القاهرة - الثالثة سنة ١٩٨٨ ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) ابن مجاهد: السبعة في القراءات - سابق، ص ٤٥: ١٠١، وأبو عمرو الداني ت ٤٤٤هـ - التيسير في القراءات السبع - سابق، ص ١٧: ٢٥.

(٣) ابن الجزري - النشر في القراءات العشر - سابق ج ١ ص ١٧٤: ١٨٨.

واكمل بعض علماء القراءات عدد المقبول منها إلى أربع عشرة قراءة، ونُسبت الأربعة الأخيرة إلى كل من:

- ١ - ابن محيصن^(١) محمد بن عبد الرحمن المكي ت ١٢٣ هـ.
- ٢ - اليزيدي يحيى بن المبارك البصري ت ٢٠٢ هـ.
- ٣ - الحسن البصري ت ١١٦ هـ.
- ٤ - الأعمش سليمان بن مهران الكوفي ت ١٤٨ هـ^(٢).

أما عن الاحتجاج بالقراءات في اللغة فقد قال السيوطي: «فما ورد أنه قُرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً، بل ولو خالفته يُحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يُجز القياس عليه كما يحتج بالجمع على وروده... وما ذكرته من الاحتجاج بالقراء الشاذة لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة»^(٣).

ولا يؤخذ كلام السيوطي هنا على إطلاقه فإن بعض النحاة لم يحتجوا بالقراءات الشاذة فضلاً عن القراءات السبعة المتواترة بل إن منهم من ردّ بعض القراءات المتواترة، ويمكن القول إن موقف النحاة من الاحتجاج بالقراءات القرآنية والاستشهاد بها على إثبات القاعدة النحوية قد انقسموا فيه إلى فريقين:

الفريق الأول: «وهو فريق سلم بكل ما جاء في القرآن بقراءاته المتعددة المتواترة وغير المتواترة، وبعضهم سلم بالقراءات الشاذة واعتمدها في الاستشهاد ودافع عنها بالاحتجاج لها وتوثيقها من لغات العرب»^(٣)، وهؤلاء هم الذين عناهم السيوطي بكلامه السابق.

(١) أبو زرعة - حجة القراءات، سابق، ص ٦٧، ٧١، واتحاف فضلاء البشر بمعرفة القراءات الأربعة عشر، للدمياطي، سابق، ج ١ ص ٤٥.

(٢) السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو - تحقيق أحمد محمد قاسم - مكتبة المجلد العربي - القاهرة الأولى سنة ١٩٧٦، ص ٤٨.

(٣) أحمد مكي الأنصاري: نظرية النحو القرآني - سابق، ص ١٨.

ويتخذ هذا الفريق الأسس التالية في نظريته تلك:

- ١ - أن «الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر»^(١).
- ٢ - أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن»^(٢).
- ٣ - «.. أما ربنا تبارك اسمه وتعالى فكلامه - عز اسمه - أفصح الكلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه»^(٣).

الفريق الثاني: وهو فريق عارض بعض القراءات على اختلاف درجاتها ولم يفرق بين القراءة المتواترة أو الأحادية أو الشاذة، لأن المبدأ عنده هو الدفاع عن القاعدة النحوية حينما تصطدم بقراءة القرآن»^(٤)، وقد قاد حملة هذا الفريق نحاة البصرة المتقدمون ثم تابعهم غيرهم من اللغويين والمفسرين ومصنفي القراءات، يستوى عندهم في ذلك القراءات المتواترة وغيرها وذلك لأنهم يحتكمون إلى ما صنعوه من قواعد وماسنوه من قوانين»^(٥).

وهذا الفريق من النحاة قد يقدم في الاستشهاد بيتاً من الشعر مجهول القائل على قراءة متواترة عند الاستدلال على القاعدة، وعلى مسلك هؤلاء يقول الإمام الفخر الرازي تعليقاً على رفض بعض النحاة لعطف الاسم الظاهر على الضمير المتصل المجرور دون إعادة الخافض كما في قراءة حمزة لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(٦)، بجر الأرحام، وقد يثبتون القاعدة نفسها ويستدلون بقول الشاعر (طويل).

-
- (١) الفراء: معاني القرآن، سابق، ج ١ ص ١٤.
 - (٢) السيوطي: ٩١١ هـ المزهري في علوم اللغة وأنواعها - محمد أبو الفضل وآخرون، سابق، ج ١ ص ٢١٣.
 - (٣) البغدادي عبد القادر بن عمر ١٠٩٣ - خزانة أدب ولب لباب لسان العرب - سابق، ج ١ ص ٩.
 - (٤) أحمد مكي الأنصاري - نظرية النحو القرآني - سابق ص ١٨.
 - (٥) محمد عبد الخالق عضيمة - دراسات لأسلوب القرآن الكريم - دار الحديث - القاهرة الأولى ١٩٧٢، القسم الأول ج ١ ص ١٩.
 - (٦) النساء: ١.

نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سَيُوفِنَا . . . وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غَوِطٌ نَفَائِفُ^(١)

وقول الآخر: (البيسط)

فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا . . . فَازْهَبْ فَمَا بَكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ^(٢)

قائلاً: «والعجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين، ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن»^(٣).

ويقدم ابن خالويه قاعدة مهمة في هذه الشأن إذ يقول في أوجه قراءة قوله تعالى: ﴿مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٤) «.. ويجوز في النحو «مَالِكُ» ولا يقرأ به لأن القراءة سنة ولا تحمل على قياس العربية»^(٥)، أما أبو حيان الأندلسي فيصرخ فيهم قائلاً: «.. ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون»^(٦).

النسفي عالم القراءات:

لقد ذكر النسفي في مقدمة كتابه «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» أنه «جامع لوجوه الإعراب والقراءات»^(٧) وفيه قدر لا بأس به من القراءات ويظهر اعتماده على الكشاف

(١) لمسكين الدارمي في الجاحظ: الحيوان - عبد السلام هارون، ط عيسى الحلبي ج٦ ص ٤٩٤ ويلا نسيه في معاني القرآن للقراء ج١ ص ٢٥٣ وابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف - محمد محيي الدين - ج٢ ص ٤٦٥، وابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها: تحقيق عبد الرحمن العيثمين - دار الخانجي - القاهرة، الأولى ١٩٩٢ ج١ ص ٤٣١.

(٢) البيت بلا نسبه في الكتاب لسبويه - عبد السلام هارون - الخانجي - ج٢ ص ٣٨٢، وابن السراج، الأصول في النحو: سابق، ج٢ ص ١١٩، وابن عصفور ت ٦٦٩ هـ، المقرب: تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخر - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٩٩٨ ص ٣١١، وابن مالك: شرح عمدة الحافظ وعده اللافت: سابق، ص ٦٦٢.

(٣) الفخر الرازي ٦٠٦ هـ - مفاتيح الغيب - سابق، ج٤ ص ٦٥٣.

(٤) الفاتحة: ٤.

(٥) ابن خالويه ت ٣٧٠ هـ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن - مكتب المتنبي د.ت ص ٣٠.

(٦) أبو حيان الأندلسي ٧٤٥ هـ - البحر المحيط - سابق، ج٣ ص ٥٩.

(٧) النسفي: التفسير، سابق، ج١ ص ٢٨.

للزمخشري كثيراً لكنه لا يكثر منها إكثار الزمخشري^(١) كما أنه لا يجاريه في موقفه العنيف من نقدها ولكنه ينقدها في عبارات خفيفة، وقد عمم النسفي ولم يخصص مقصوده بالقراءات في المقدمة وما ذكره الشيخ محمد الذهبي في كتابه "التفسير والمفسرون" عن التزام النسفي بالقراءات السبع فليس كما قال: «وأما من ناحية القراءات فهو ملتزم للقراءات السبع المتواترة مع نسبة كل قراءة إلى قارئه»^(٢)، ولو أضاف الشيخ كلمة «غالباً» لأصاب كبد الحقيقة، وسوف يتضح من خلال استجلاء موقف النسفي من القراءات مدى تمكنه منها رواية ودراية.

أ - تمكن النسفي من حيث الرواية:

نسوق بعض الأمثلة الدالة على سعة اطلاع النسفي فيما يخص القراءات وتمكنه من حيث الرواية ونسبة القراءة إلى قارئها ومن ذلك في قراءات قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٣) قال: «مالك» عاصم وعلى، مَلِكٌ غيرهما وهو الاختيار عند البعض... وقرأ أبو حنيفة والحسن رضي الله عنهما مَلَكٌ،^(٤) وحجة من قرأ (مالك) قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمَلِكِ﴾^(٥)...

ومالك أمدح من مَلِكٍ لأنه يجمع الاسم والفعل، قال ابن حمدون: «أن مَلِكٌ يجمع المالِك، والمالِك لا يجمع المَلِك»^(٦)، وحجة من قرأ (مَلِك) قوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾^(٧) وقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾^(٨)، وعن محمد بن شعيب الجرمي عن أبي معمر عبد الوارث أنه قرأ (مَلَك) بسكون اللام وروى غيره مَلِك مكسورة الميم وساكنة اللام، وهذا من قول العرب إذ يسكنون وسط الاسم في الضم والكسر استثقلاً^(٩)، قال النسفي عن قراءة «مالك»:

(١) إبراهيم رقيده - النحو وكتب التفسير - الدار الجماهيرية للنشر، مصراتة، الثالثة ١٩٩٠ ج٢ ص ٨٨٧، ومنيع عبد

الحليم محمود: مناهج المفسرين - دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة، الأولى سنة ١٩٨٧ ص ٢١٧.

(٢) د. محمد الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، الرابعة ١٩٨٩ ج١ ص ٣٩١.

(٣) الفاتحة: ٤.

(٤) النسفي: التفسير: سابق، ج١ ص ٣٤، ٣٥.

(٥) آل عمران: ٢٦.

(٦) المغربي ت ١٩١٨ - البرهان في تجويد القرآن - تحقيق محمد أبو الفضل ط إحياء التراث، القاهرة ج١ ص ٣٥،

وأبو على الفارسي: الحجة في علل القراءات السبع - تحقيق على النجدي وآخرين - الهيئة المصرية - القاهرة سنة

١٩٨٣ ج١ ص ١١.

(٧) الناس: ٢.

(٨) الحشر: ٢٥.

(٩) القسطلاني: لطائف الإشارات - سابق ج٢ ص ٢٢٠، وأحمد أبو الخير: الأصوات سابق ص ١٣.

«وهذه إضافة اسم الفاعل إلى الظرف عن طريق الاتساع كقولهم: يا سارقَ الليلةَ أهلَ الدارِ، أى مالكَ الأمر كله فى يوم الدين»^(١).

٢ - وفى قوله تعالى: ﴿تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾^(٢) قال: «بإدغام التاء الأولى فى الثانية مكى ومدنى وشامى وأبو عمرو وعلى وأبو بكر»^(٣)، و﴿تَسَاقُطُ﴾ باظهار التاءين^(٤)، و﴿تَسَاقُطُ﴾ بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة^(٥)، و﴿يَسَاقُطُ﴾ بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحماد ونصير^(٦)، و﴿تَسَاقُطُ﴾ حفص من المفاعلة، و﴿تَسْقُطُ﴾ و﴿يُسْقِطُ﴾ و﴿تَسْقُطُ﴾^(٧) - التاء للنحلة والياء للجذع فهذه تسع قراءات^(٨).

وقد اتخذ النسفى منهجاً فى الاختصار غاية فى الدقة فى نسب القراءات إلى أصحابها ففى معظم الأحيان ينسب القراءة إلى بلد القارئ فيقول: كوفى - شامى - بصرى وأحيانا يذكر الاسم الأول للقارئ فقط مثل قراءات قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادَوْهُمْ﴾^(٩) «... تَفَادَوْهُمْ أبو عمرو أسرى تَفَدِهِمْ مكى وشامى، أسرى تَفَدَوْهُمْ حمزة، أُسَارَى تَفَادَوْهُمْ على»^(١٠).

إذ تجده يذكر الاسم الأول للقارئ، فهو يقول: (أبو عمرو، على) وبطبيعة الحال المقصود أبو عمرو بن العلاء البصرى أما على فهو على بن حمزة الكسائى وهو من قراء الكوفة ولكن كان عليه أن يذكر الاسم كاملاً حتى لا يكون هناك مجال للحدث أو التخمين أو للخلط بين الأسماء.

(١) اللسفيج ١ ص ٣٥ - تحقيق مروان الشغار - سابق.

(٢) مريم: ٢٥.

(٣) ابن مجاهد - السبعة سابق ص ٤٠٩، وأبو عمرو الدانى - التيسير، سابق ١٢١.

(٤) نسبها ابن خالويه فى مختصر الشواذ لأبى السمال.

(٥) السبعة ٤٠٩ - وإدانى التيسير: ١٢١.

(٦) ليعقوب فى النشر ٣١٨/٢، وللبراء بن عازب فى معانى القرآن للفراء ١٦٦/٢ وابن جرير الطبرى: جامع البيان فى تفسير القرآن - دار الريان ١٩٨٧ ج ١٦ ص ٥٥، وللأعمش وطلحة وابن وثاب فى البحر المحيط ١٨٤/٦.

(٧) الأولى لأبى نهيك فى تفسير الطبرى ٥٥/١٦، وابن كثير - تفسير القرآن ج ٣/١١٨، والأربعة الأخيرة لأبى حيوة، مختصر الشواذ لابن خالويه، ص ٨٤.

(٨) اللسفى - التفسير: ٥٤/٣، وقد أورد ابن جنى فى المحتسب (يساقط) لمسروق ج ٢ ص ٤٠، وفى البحر المحيط ١٨٤/٦.

(٩) البقرة: ٨٥.

(١٠) ابن مجاهد: السبعة ١٦٤ - أبو عمرو الدانى: التيسير ٦٤، وتفسير النسفى، ج ١ ص ١٠٦.

والاضطراب في تحديدها، وقد ينسب القارئ إلى بلده مكى وشامى، فالمكى عبد الله بن كثير /
والشامى عبد الله بن عامر.

ولم يقتصر النسفى على القراءات التى تتناول مستوى ما من الأصوات أو الصرف أو النحر
أو الدلالة كما سىرى، بل يشير أحياناً إلى عدد الآيات فى السورة وهذا الأمر مجال اختلاف بين
القراء قال النسفى (سورة الإسراء مكية، وهى مائة وعشر آيات بصرى، وأحدى عشرة آية
كوفى وشامى) ^(١).

وكذلك أوردتها البغوى والفراء والألوسى والزمخشري والبيضاوى والفيروزبى ^(٢)، وقد
يربط القراءات بالفقه كما جاء فى قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إذ قال «قراء المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وإنما
كُتبت للفصل والتبرك للابتداء بها؛ ولذا لا يُجهر بها عندهم فى الصلاة، وقُرَأَ مكة والكوفة على
أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة، ولذا يَجْهَرُونَ بها فى الصلاة وقالوا قد أثبتتها السلف فى
المصحف مع الأمر بتجريد القرآن عما ليس فيه» ^(٣).

والفقهاء الثلاثة مالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة يرون أنها ليست بآية من الفاتحة ولا من
غيرها، أما الشافعى وحده فىرى أنها آية من الفاتحة أما فى غيرها من السور فله فيها قولان أحدهما
أنها آية من كل سورة والآخر ليست آية من كل سورة ^(٤).

(١) نسه ج ٢ ص ٤٤٢.

(٢) البغوى الفراء - معالم التنزيل، دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٩٩٣ ج ٣ ص ٧٦، الألوسى: روح المعانى:
دار إحياء التراث العربى - بيروت - الرابعة ١٩٨٥ ج ١٥ ص ٢، والزمخشري: الكشاف عن حقائق سابق، ج ٣
ص ٤٩١، والبيضاوى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ١٩٨٨ ج ١
ص ٥٦٣، والفيروزبى: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - سابق، ج ١ ص ٢٨٨.

(٣) النسفى: التفسير، ج ١ ص ٢٩.

(٤) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن - سابق، ج ١ ص ١٣٩ - ١٥٤ وعبد الرحمن الجزيرى: الفقه على المذاهب
الأربعة - دار الإرشاد للطباعة والنشر د.ت ج ١ ص ٢٢٨، وابن عطية: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب
العزيز، سابق، ج ١ ص ٦٠.

وقد يُفسَّر ببعض القراءات الشاذة بعض القراءات المتواترة كما فى قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَهَا﴾^(١)، فيفسرها النسفى بأن (الفوم) الخنطة أو الثوم لقراءة ابن مسعود (وئومها)^(٢)، ومثل ما جاء فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^(٣)، «الصُّور» القرن أو هو جمع صورة أى ننفخ الأرواح فيها ودليله قراءة قتادة الصُّور بفتح الواو جمع صُورة^(٤)، ولم ينسبها لقتادة سواه^(٥).

وكما يرى فقد مزج النسفى روايته للقراءات بالتفسير والفقه واللغة، وكذلك فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٦).

يقول: هو إدريس النجار عليه السلام قرأ ابن مسعود «وإن إدريس» فى موضع إلياس فقد استعان بقراءة ابن مسعود فى التفسير وأجاز أن يكون المقصود بإلياس هو نبي الله إدريس بناء على القراءة التى نقلها عن الصحابى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ٧ وهكذا ثلثة من المفسرين^(٧).

وهناك قراءات لم ينسبها لقارئ معين وهى متنوعة ومتعددة كما فى قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(٨)، قال: فى «الْبُدْنَ» قرئ برفعها وهو كقوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدْرَنَاهُ مَنَازِلَ﴾^(٩)، ولم تنسب هذه القراءة لأحد فى كتب القراءات التى تيسر الاطلاع عليها للباحث

(١) البقرة: ٦١.

(٢) لابن مسعود وابن عباس فى المحتسب لابن جنى ج١ ص ٨٨، ومختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٤، والعكبرى: إعراب القراءات الشواذ، تحقيق محمد السيد أحمد - عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٩٩٦ ج١/١٦٦، ١٦٧.

(٣) طه: ١٠٢.

(٤) النسفى: التفسير مروان ج٣ ص ١٠٠.

(٥) فى المحتسب قرأها عياض ج٢ ص ٥٩، وفى البحر المحيط: الحسن وعياض فى جماعة ج٦/٢٧٨، وفى إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٩٣/٢.

(٦) الصافات: ١٢٣.

(٧) لابن مسعود فى الكشاف ٢٢٨/٥ وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٣٨٣/٢ ومعه قتادة فى البحر المحيط لأبى حيان ٣٧٣/٧ وابن عطية المحرر الوجيز ٤٨٣/٤، ورواها البغوى الفراء عن عكرمة ٣١/٣، ويراجع الطبرى جامع البيان ٥٩/٢٣، وابن كثير ١٩/٣.

(٨) الحج: ٣٦.

(٩) يس: ٣٩، وقراها بالرفع ابن كثير ونافع وأبى عمر - النشر ٣٥٣/٢.

ومن ذكرها فقد أوردها بذات الصيغة «وقرىء» كابن الأنباري وأبي حيان والألوسي والعكبري^(١)، وأوردت كتب القراءات فيها قراءة أخرى (البُذَن) بضم الباء والدال وتشديد النون^(٢).

ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿مَسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾^(٣)، قال: «وقرىء سَمَارًا»^(٤)، ومثله في قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾^(٥) قال: «... وقرىء لا يَنْكِحُ بِالْجُزْمِ عَلَى النِّهْيِ...»^(٥).

وقد يذكر بعض القراءات التي لم ترد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٦) فقال: «إنك ميِّت أى ستموت» و«إنهم ميِّتون وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل: أنشد أبو عمرو: (طويل)

وتسألني تفسير ميِّت وميِّت . . . فَدُونَكَ قَدْ فَسَّرْتُ أَنْ كُنْتَ تَعْقِلُ
فَمَنْ كَانَ ذَا رُوحٍ فَذَلِكَ مَيِّتٌ . . . وَمَا الْمَيِّتُ إِلَّا مَنْ إِلَى الْقَبْرِ يُحْمَلُ»^(٧)

ففي تفسير القرطبي: «قال الحسن والفراء والكسائي: الميِّت بالتشديد من لم يموت وسيموت، والميِّت بالتخفيف من فارقه الروح فلذلك لم تخفف هنا»^(٨)، وقد قرأ بعض القراء

(١) ابن الأنباري: البيان في إعراب غريب القرآن - حامد عب دالمجيد - الهيئة المصرية سنة ١٩٨٠ ج ٢ ص ١٧٦ والبحر المحيط ٣٦٩/٦، وروح المعاني ١٧/١٥٥، والعكبري: إملأ ما من به الرحمن في إعراب القرآن - سابق، ج ٢ ص ١٤٤، ومثل ذلك الرازي في مفاتيح الغيب ج ١١ ص ٢٧٧.

(٢) عن أبي إسحاق والحسن البصري وعيسى وأبي جعفر في إعراب القراءات الشواذ للعكبري ١٤٠/٢، وتفسير القرطبي ٤٥٩٠/٦، ومختصر ابن خالويه ٩٦.

(٣) المؤمنون: ٦٧.

(٤) لأبي نهيك وأبي رجاء وابن عباس في المحتسب ج ٢ ص ٩٧، والبحر المحيط ٤١٣/٦، ومختصر ابن خالويه ٩٨ وإعراب الشواذ للعكبري ١٦٢/٢.

(٥) السور: ٣.

(٦) الرفع قراءة الجمهور أن سكون الحاء فهي قراءة منسوبة لعمر بن عبيد في مختصر ابن خالويه ص ١٠٠، والبحر المحيط ٤٣١/٦، وإعراب الشواذ للعكبري ١٧٢/٢.

(٧) تفسير اللسفي، طبع عيسى الحلبي، القاهرة، د.ت، ٥٦/٤، ولم أعثر على قائل هذين البيتين حيث لم يردا فيما اطلعت عليه من مصادر لغوية وغيرها، كما أنهما لم يردا في النسخة المحققة لمروان الشغار.

(٨) تفسير القرطبي ج ٨ ص ٥٨٩٩.

الآية بصورة أخرى بالألف هكذا: «إنك مائت وانهم مائتون»^(١) وقد ذكر أبو جعفر النحاس أنها «قراءة حسنة ومثل هذه الألف تحذف في الشواذ»^(٢).

وقال الكسائي: «الميت بالتشديد من لم يمّت وسموت والميت بالتخفيف من فارقت الروح فلذلك لم تخفف هنا»^(٣). وقال النحاس: «وتخفيفه جائز عند غير أبي عمرو بن العلاء فإنه كان لا يجيز التخفيف في المستقبل»^(٤).

وأحيانا لا يكتفى النسفي بذكر القراءة معزوة إلى القارئ بل يقوم بتوجيهها أو بيان أن ذلك ناشئ لاختلاف اللغات وهو يقصد اللهجات ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ حُلِيِّهِمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ﴾^(٥) يقول: «حليهم حمزة وعلى للاتباع»^(٦) أى اتباعاً لحركة اللام والياء بعدها وهى الكسرة، فتتابع الكسرات أسهل من تتابع ضمة ثم كسرة ثم كسرة وهكذا.

أما ما ذكره من اختلاف بعض القراءات لاختلاف اللهجات فهو كثير لا يحصى ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً﴾^(٧). فقال: «بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم، أى (جبلًا) وسهل بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب»^(٨)، أى (جبلًا) وبالتخفيف شامى وأبو عمر (جبلًا)^(٩)، وجبلًا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم، ويعقب على ذلك بقوله وهذه لغات فى معنى اخلق»^(١٠) أى لهجات.

(١) أبو جعفر النحاس: إعراب القرآن زهير مرجع سابق، ج ٤ ص ١٠١، وهى قراءة منسوبة لابن محيصن والحسن وابن الزبير وعمير بن عمر وابن أبى إسحاق، كما فى مختصر ابن خالويه ١٣١، الدمياطى: أتحاف فضلاء البشر بمعرفة القراءات الأربعة عشر: مرجع سابق، ج ٢ ص ٤٢٨، والبحر المحيط ٤٢٥/٧ - والمكبرى إعراب الشواذ، مرجع سابق، ٤٠٩/٢.

(٢) على بن حمزة الكسائي: معانى القرآن - سابق، ص ٢٢٢.

(٣) الأعراف: ١٤٨.

(٤) النسفى: ٧٧/٢، وابن مجاهد السبعة ٢٩٤ وأبو عمرو الدانى التيسير، ص ٩٣.

(٥) يس: ٦٢.

(٦) بضم الجيم والياء وتخفيف اللام ابن كثير وحمزة والكسائي وبضم الجيم والياء وتشديد اللام (روح) والباقون بكسرهما وتشديد اللام - السبعة ٥٤٢ والنشر ٣٥٥/٢ - والأتحاف ٤٠٣/٢ وفى المحتسب قرأها الحسن وابن أبى إسحاق والزهرى والأعرج مثل روح (جبلًا) ج ٢ ص ٢١٦.

(٧) النسفى: ١١/٤.

(٨) الكهف: ٨١.

كتاب التفسير

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبُ رَحْمًا﴾^(١) فيقول: «رَحْمًا وَرَحْمًا» شامياً وهما لغتان،^(٢) أى لهجتان قال ابن أبي زرعة وهما لغتان مثل الرُّعْب والرُّعْب^(٣)، وقال ابن خالويه: وهما لغتان كالعُمُر والعُمُر^(٤) وقال القيسى: وهما لغتان بمعنى كالسَّحْت والسَّحْت^(٥).

أولاً: النسفى والقراءات الشاذة: قدم النسفى تعليقات لغوية للقراءات الشواذ كثيراً ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾^(٦)، قال: «وقرأ أبو حنيفة - رحمه الله - وإذا لاقوا، يقال: لَقِيْتَهُ ولَاقِيْتَهُ إذا استقبلته قريباً منه»^(٧).

قال أبو حيان وهى فاعل بمعنى الفعل المجرد وهو أحد معانى فاعل الخمسة^(٨)،

وفى إعراب القرآن: «والأصل لَاقِيُو» فإن قيل لما ضمنت الواو من (لاقوا) فى الإدراج وحذفت من لقوا فالجواب إن قيل الواو التى فى لقوا ضمة تدل عليها فحذفت لالتقاء الساكنين، وحركت فى (لَاقِيُو) لأن قبلها فتحة»^(٩).

ويرى بعض النحاة «أن» الوجه فيه أن لَقِيَ ولَاقِيَ بمعنى واحد، ويجوز أن تكون لَاقِيَ: لَقِيَ بعضهم بعضاً فيكون من باب المفاعلة من اثنين ويجوز أن يكون قصد القاء»^(١٠).

كتاب التفسير

(١) الكهف: ٨١.

(٢) قرأهما هكذا ابن عامر فى السبعة وأبو عمرو ٣٩٧.

(٣) ابن أبى زرعة: حجة القراءات ص ٤٢٧.

(٤) ابن خالويه: الحجة فى القراءات السبع - مرجع سابق، ٢٢٩، ٢٣٠.

(٥) مكى القيسى: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها - مرجع سابق، ج ٢ ص ٧٢.

(٦) البقرة: ١٤.

(٧) لأبى حنيفة فى مفاتيح الغيب ٤٤٦/١، والبحر المحيط ٦٨/١، والكشاف ١٨٣/١ ولمحمد بن السميع اليمانى فى مختصر ابن خالويه ص ١٠، وإعراب النحاس ١٩٠/١، والإملاء ١٩/١.

(٨) البحر المحيط ٦٨/١.

(٩) النحاس: إعراب القرآن، سابق ١٩٠/١.

(١٠) العكبرى: إعراب القراءات الشواذ: ج ١ ص ١٢٢.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقٌ﴾^(١) وفيها يقول: «وَقُرِئَ (سَرَقٌ) أَيْ نُسِبَ إِلَى السَّرْقَةِ»^(٢)، وهذا توجيه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن^(٣)، وكان أبو حاتم السجستاني قد قال عنها: «ولم أسمع لها إسناداً»^(٤).

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾^(٥) قال: «وفي الشواذ (عُقْبَى) على وزن (فَعْلَى) وكلها بمعنى العاقبة»^(٦).

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ﴾^(٧) قال: «بتشديد الذال والكاف (يَذْكُرُ) وأصله يتذكر كقراءة أبيّ فأدغمت التاء في الذال أى: أو لا يتدبر»^(٨)، قال ابن جرير: «والتشديد أعجب إلى»^(٩) وعن قراءة أبيّ بن كعب - رضى الله عنه - يقول القرطبي: «وهذه القراءة على التفسير لأنها مخالفة لخط المصحف»^(١٠).

فالنسفي هنا يستخدم قراءة شاذة دليلاً على تعليله لقراءة متواترة قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وحزمة والكسائي يذكر»^(١١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(١٢)، قال: «وقرأ عبد الله: (يَأْتُونَ) صفة للرجال والركبان»^(١٣)، قال الفراء: «قرئت يَأْتُونَ يذهب إلى الركبان»^(١٤).

(١) يوسف: ٨١.

(٢) النسخة التفسير ٣٣٤/٢ - ٣٣٥ وقرأها سرق أبو ذر وابن عباس في مختصر الشواذ لابن خالويه ٦٩، وابن عباس ورزين في البحر المحيط ٣٣٧/٥.

(٣) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، سابق ١٢٤ في غريب الحديث، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٩٨٨ ج ١ ص ١٥٦.

(٤) اللحاس: إعراب القرآن ج ٢ ص ٤٣١.

(٥) الكهف: ٤٤.. فسى إعراب اللحاس لأبى إسحاق ٤٥٩/٢ ويدون نسبه فى مختصر الشواذ ٨٣ وإعراب الشواذ ٢١/٢.

(٦) النسخة: ١٥/٣... وقد نقله من الكشاف ٥٨٩/٣٠٠٠.

(٧) مريم: ٦٧، ويذكر قراءة عاصم ونافع وابن عامر.

(٨) النسخة: التفسير ٤١/٣ ونسبت لأبى فى مختصر الشواذ ٨٨ والبحر المحيط ٢٠٧/٦ وإعراب الشواذ ٥٤/٢.

(٩) الطبري: جامع البيان ج ١٦ ص ٨٠.

(١٠) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٨. وقد نسبها لأبى بن كعب.

(١١) ابن مجاهد: السبعة ٤١٠.

(١٢) الحج: ٢٧.

(١٣) النسخة: التفسير ١٥٠/٣ ونسبها لابن مسعود فى مختصر الشواذ ٩٧، والبحر المحيط ٣٦٤/٦ وإعراب الشواذ ١٣٧/٢ ونسبها القرطبي للضحاك وابن أبى عبد الجامع ٤٥٧١/٦.

(١٤) الفراء: معاني القرآن ٢٢٤/٢.

وما يدل على إحاطته بقراءة القراءات أنه قدّم قراءة يزيد على قراءة متواترة كما في قوله تعالى: ﴿هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾^(١)، فقال: بكسر التاء يزيد وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعد، فاعلها مضمّر أى بعد التصديق أو الوقوع^(٢).

قال العكبري: «ويقرأ بالكسر والتنوين، وفيه وجهان: أحدهما: أنه جمع مثل مسلمات وعلى هذا يقف عليه بالتاء، والثاني: أن يكون واحداً وبناء على الكسر لأنه اسم للفعل كنزال»^(٣).

وفي موضع آخر يقول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾^(٤) بنصب (الحق) صفة لـ (الدين)، وهو الجزء... وقرأ مجاهد بالرفع صفة لله كقراءة أبي يوفيههم الله الحق دينهم، وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفاً لله بأن ينتصب على المدح^(٥)، ويرى النحاس أن من قرأه بالرفع فعلى أنه صفة لله عز وجل^(٦)، ويرى العكبري في إعراب الشواذ أن يجوز أن يكون هناك وجه آخر بإضمار هو الحق^(٧).

(١) مريم: ٣٦، وبكسر التاء مع التنوين قرأها عيسى بن عمر كما في إعراب النحاس ١١٣/٣ والمحتسب ٩٠/٢ والقرطبي ٤٦٥٦/٦ ومختصر الشواذ لابن خالويه ٩٩، وبالكسر فقط لأبي جعفر بن القعقاع، والقرطبي جـ ٤٦٥٦/٦.

(٢) النسفي: التفسير ١٧٩/٣.

(٣) العكبري: إعراب الشواذ ١٥٨/٢، والقرطبي الجامع ٤٦٥٦/٦.

(٤) النور: ٢٥... بالنصب السبعة، وبالرفع لمجاهد في الطبري ٨٤/١٨ وإعراب النحاس ١٣٢/٣، والمحتسب ١٠٧/٢ والبحر ٤٤١/٦ وابن خالويه مختصر الشواذ ١٠٣.

(٥) النسفي: التفسير ٢٠٥/٣ ونسب هذه القراءة لأبي بن كعب الطبري ١٨، ٨٤ ومختصر ابن خالويه ١٠٣ والقرطبي ٤٧٤٦/١...

(٦) القرطبي ٤٧٤٦/٦، وابن جرير الطبري ٨٤/١٨ والبحر المحيط: ٤٤١/١.

(٧) العكبري: إعراب الشواذ ١٨١/٢.

ومن ذلك ما أورده حول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِمَّنْ طَلَعْنَا قِنْوَانًا دَانِيَةً وَجَنَاتٌ مِنْ

أَعْنَابٍ﴾^(١)، فقال: وجنات بالرفع الأعشى أى وثم جنات من أعناب أى مع النخل،^(٢)

وقد أنكرها أبو عبيد وأبو حاتم فقال الأخير: «هى محال لأن الجنات لا تكون من النخل»^(٣)، واعترض النحاس على هذا الإنكار فقال: «والقراءة جائزة وليس التأويل على هذا ولكنه رفع بالابتداء والخبر محذوف أى ولهم جنات»^(٤)، موافقاً فى ذلك لرأى الفراء^(٥).

ثانياً: القراءات التي تنازعها النحاة ووقف النسخي منها:

لقد اختار العلماء مجموعة من الضوابط والآداب التي ينبغى على الناظر فى كتاب الله عز وجل تفسيراً واستنباطاً وإعراباً أن يراعيها ويتمثلها، خاصة إذا كان قد اعتمد فى تفسيره على معطيات علم النحو كالنسخي، ومن هذه الضوابط:

١ - ألا يتسارع المفسر فى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة، وما فيه من الاختصار، والحذف، الاضمار والتقديم والتأخير^(٥).

٢ - إذا أعرب المفسر آية أعربها على أظهر محتملاتها، وأرجحها، وفى شروط المفسر يقول أبو

حيان: «أنه يجب أن يكون متنكباً فى الإعراب من الوجوه التي تنزه القرآن عنها، مبيناً أنها مما يجب أن يعدل عنه، وأنه ينبغى أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب إذا كان كلام الله تعالى أفصح كلام، فلا يجوز فيه جميع ما يجوز النحاة فى شعر الشماخ والطرماح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة»^(٦).

(١) الأنعام ٩٩.

(٢) النسخي: التفسير ٣٩/٢، للأعمش فى مختصر ابن خالويه ٤٥، ونسبها الرازى لملى بن أبى طالب، فى مفاتيح الغيب ج٦ ص ٤٩٦، وهى رواية أبى بكر بن عاصم، مكى القيسى: مشكل إعراب القرآن ٢٨١/١ والبحر ١٩٠/٤ وإعراب النحاس ٨٦/٢.

(٣) النحاس إعراب القرآن ج٢ ص ٨٦.

(٤) الفراء: معانى القرآن ج٢ ص ٣٤٧.

(٥) الزركشى: البرهان فى علوم القرآن: تحقيق محمد أبو الفضل - مرجع سابق، ج ٣ ص ٣٠٢، والسيوطى: الإتيقان فى علوم القرآن: محمد أبو الفضل - مرجع سابق، ج ٢ ص ٢٦٠، ٢٦٨.

(٦) أبو حيان: البحر المحيط، سابق ٥/١.

وقد اختار النسفي في تفسيره كثيراً، هذا الموقف، ويتضح ذلك باستعراض موقفه من بعض القراءات التي اختلف النحاة في توجيهها ومن ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ﴾^(١) إذ جاء في تفسيره لها «قرأ أبو عمرو «إنَّ هذين لساحران»^(٢)، وهو ظاهر، ولكنه مخالف للإمام - المصحف - وابن كثير وحفص واخليل، وهو أعرف بالنحو واللغة: «إنَّ هذان لساحران» بتخفيف (إن) مثل قولك: إنَّ زيداً لمنطلق، واللام هي الفارقة بين (إن) النافية والمخففة من الثقيلة، وقيل هي بمعنى (ما) و(اللام) بمعنى إلا، أى: ما هذان إلا ساحران، ودليله قراءة أبي «إنَّ ذان إلا ساحران»^(٣)، وغيرهم «إنَّ هذان لساحران»^(٤).

وقيل هي لغة بلحارث بن كعب وخنعم، ومرارة وكنانة، فالتثنية في لغتهم بالألف أبداً، فلم يقلبوها (ياء) في والنصب كـ (عصا) و(سعدى) قال: (رجز)
 إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا . . . قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا^(٥)
 وقال الزجاج: (إن) بمعنى (نعم) قال الشاعر: (مجزوء الكامل)
 وَقُلْنَا شَيْبٌ قَدْ عَلَا . . . كَفَقْنَا نَفْسَهُ^(٦)
 أى: نعم، والهاء للوقف، وهذان مبتدأ وساحران خبر لمبتدأ محذوف^(٧).

(١) طه: ٦٢.

(٢) ابن مجاهد: السبعة في القراءات ٤١٩.

(٣) الفراء: معاني القرآن ١٨٤/٢، النحاس: إعراب القرآن ٤٣/٣، ابن خالوية: مختصر الشواذ ٩١.

(٤) ابن مجاهد: السبعة ص ٤١٩ لنافع، وابن عامر وحمة والكسائي.

(٥) البيت لأبي النجم المعلى أو رؤية بن العجاج كما في ابن الأنباري: الانصاف في مسائل الخلاف، سابق ج ١ ص ١٨، وابن هشام: مغنى اللبيب ٤٣، ٣٨، وشرح شذورالذهب ٤٨٥، وعبد السلام هارون معجم الشواهد، سابق ج ٢ ص ٥٥٦.

(٦) لابن قيس الرقيات في إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ج ٣/٤٥، وبلا نسبة في كتاب سيبويه ج ٣ ص ١٥١ وج ٤ ص ١٦٣، وابن الأنباري: البيان في إعراب غريب القرآن ١٤٥/٢.

(٧) النسفي: التفسير ٥٧/٣، ٥٨، والزجاج: معاني القرآن، تحقيق: عبد الجليل شلبي، مرجع سبق ج ٣ ص ٣٦١.

ومن الشبهات التى أوردها المشككون حول قراءة أبى عمرو بن العلاء لهذه الآية حديثاً ضعيفاً لم يصح عن السيدة عائشة رضى الله عنها: «أن فى القرآن خطأ ستقيمه العرب بألستها»^(١).

لذلك فقد وجه النحاة هذه القراءة فى الآية «إن هذان لساحران» بعدة وجوه منها:

- ١ - (إن) بمعنى (نعم)، وهو رأى سيبويه كما ذكر أبو جعفر النحاس^(٢).
- ٢ - أنه على لغة إلزام المثنى بالألف رفعاً ونصباً وجراً فى لغة بنى الحارث بن كعب وغيرهم// وهذا قول الفراء والأخفش وأبى عبيدة^(٣).
- ٣ - أن الاسم ضمير الشأن محذوف والتقدير، إنه هذان^(٤).
- ٤ - أنه قد حذفت ألف لالتقاء الساكنين والألف المحذوفة إما الف الثانية أو ألف هذا التى تظهر نطقاً لا خطأ وهو قول للفراء^(٥).
- ٥ - أنه لما كان الإعراب لا يظهر فى الواحد أجرى كذلك فى الثانية، وهو رأى لابن كيسان^(٦).

قال النحاس: «والقول الثانى من أحسن ما حملت عليه الآية إذ كانت هذه اللغة معروفة وقد حكاهما من يرتضى علمه وصدقته وأمانته، فمتهم أبو زيد الأنصارى، وهو الذى يقول إذا قال سيبويه حدثنى من أثق به فإنما يعينى»^(٧).

(١) ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن، سابق ص ٢٥، وقد رد عليه العلماء للمزيد شرح شذور الذهب ٤٤٩، وأبو عبيدة مجاز القرآن، مرجع سابق، ج ٢ ص ٢١، ومحمد عبد الخالق عضيمة - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج ١ ص ٢٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨.

(٢) أبو جعفر النحاس: إعراب القرآن ج ٣ ص ٢٤٥، والكتاب لسيبويه ج ٤ ص ١٦٢.

(٣) معانى القرآن: الفراء ٨٤/٢، والنحاس: إعراب القرآن ٤٥/٣.

(٤) النحاس: إعراب القرآن ٤٥/٣، الزجاج: معانى القرآن ٣٦٣/٣ وأبو عبيدة: مجاز القرآن ٢٢/٢، وابن الانبارى: البيان ١٤٥/٢.

(٥) معانى القرآن للفراء ١٨٤/١. وابن هشام: شذور الذهب ٤٩.

(٦) النحاس: إعراب القرآن ٤٤/٣، وابن هشام: شذور الذهب ٤٩.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ج ٣ ص ٤٦، وابن زيد الأنصارى ت ٢١٤ هـ، الدوادى فى اللغة: محمد عبد القادر - دار الشروق، القاهرة الأولى ١٩٨١، ص ٢٥٩.

وقد أورد النسفي الأوجه الثلاثة الأولى ونقل فيها من آراء الزجاج في كتابه معاني القرآن واستشهد بالبيت الأول ولم يورده الزجاج أو الزمخشري في الكشف مما يدل على أنه كان يقرأ ويتنخب من الشواهد ما يستدل به ^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ^(٢). قال: «قرأ بالنصب عيسى بن عمر على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن» ^(٣).

قال سيبويه: «وقد قرأ أناس، والسارق والسارقة» ^(٤) والزانية والزاني، وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة، ولكن أبت العامة إلا القراءة بالرفع ^(٥) أى: تقديره عنده «مما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني» قال ابن الحاجب: «فهى على هذا جملتان، ولذلك لو وقف على قوله الزانية والزاني على مذهب سيبويه لكان وفقاً حسناً ثم يتدنىء فاجلدوا لأنهما جملتان مستقلتان» ^(٦).

قال ابن جني: «وهذا منصوب بفعل مضمر أى اجلدوا الزانية والزاني فلما أضمر الفعل الناصب فسر به بقوله فاجلدوا كل واحدة منهما مائة جلدة وجاز دخول الفاء في هذا الوجه لأنه موضع أمر ولا يجوز زياداً فضريته لأنه خبر وساعت الفاء مع الأمر لمضارعته الشرط، ألا تراه دالاً على الشرط» ^(٧)، وكذلك قال العكبري في إعراب الشواذ ^(٨). أما الفراء فيرى أنه لا وجه للنصب في تخريج الآية ^(٩).

(١) الزمخشري: الكشف ٨٢/٣، والقرطبي: ٤٣٨٩/٦.

(٢) النور: ٢.

(٣) اللسفي ١٣١/٣ - وبالرفع قرأها السبعة، وبالنصب عيسى بن عمر في البحر المحيط ٤٧٦/٣، وفي مختصر ابن خالويه عيسى بن عمر ويحيى بن يعمر ١٠٢، والمحتسب ١٠٠/٢، وإعراب النحاس ١٢٧/٣، مجاز القرآن ٦٣/٢، إعراب الشواذ ١٦٠/١.

(٤) المائدة: ٣٨ - بالنصب عيسى بن عمر في مختصر الشواذ ٣٨، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٨٨/٢ - ومشكل إعراب القرآن للقيسي ٢٥٥/١، والكشاف ٢٣٤/٢.

(٥) سيبويه: الكتاب ١/١٤٤.

(٦) ابن الحاجب: الأمالي النحوية، مرجع سابق، ج ٢ ص ٥٠٧، والرضي: شرح الكافية ١/١٧٨.

(٧) ابن جني: المحتسب ١٠٠/٢.

(٨) العكبري: إعراب الشواذ ١٧٠/٢، ١٧١.

(٩) الفراء: معاني القرآن ٢/٢٤٤.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾، وكلمة الله هي العُلْيَا^(١) .. قال: وكلمة الله بالنصب يعقوب بالعطف^(٢)، والرفع على الاستئناف أوجه إذ هي كانت ولم تنزل عالية^(٣).

وقد اعترض الفراء وأبو حاتم ومكي بن أبي طالب القيسي على هذه القراءة فقال الفراء: «ولست أستحب ذلك لظهور الله تبارك وتعالى، لأنه لو نصبها والفعل فعله كان أجود أن يقال وكلمته هي العُلْيَا»^(٤).

وقريب منه رأى أبي حاتم^(٥)، وقال القيسي: «ويلزم ألا يظهر الاسم وأن يقال وكلمته هي العُلْيَا»^(٦)، وكذلك قال أبو منصور الأزهرى: «القراءة بالرفع لأن القراءة عليه، وهو في الكلام أوجه»^(٧)، وقال العكبري: «وهو ضعيف لثلاثة أوجه: أحدها أن فيه وضع الظاهر موضع المضمَر إذ الوجه أن تقول كلمته، والثاني أن فيه دلالة على أن كلمة الله كانت سفلى فصارت عُلْيَا وليس كذلك، والثالث تأكيد مثل ذلك فهي بعيد إذ القياس أن يكون أياها»^(٨).

وأجاز النصب لتقدمها فعل محذوف أبو جعفر النحاس، والقرطبي، وابن عطية^(٩)، ويستدلون بقراءة أبي بن كعب «وَجَعَلَ كَلِمَتَهُ هِيَ الْعُلْيَا»^(١٠).

فالنسفي يختار الرأي الذي اختاره كثير من النحاة ويذكر رأى بعضهم وإن كان مرجوحاً لديه.

(١) القرية: ٤٠.

(٢) يعقوب والحسن والأعمش - النشر ٢/٢٧٩، ومختصر الشواذ لابن خالويه ٥٢، والبحر المحيط ٤٤/٥.

(٣) اللسفي: مروان ٢/١٨٣، ١٨٤.

(٤) الفراء: معاني القرآن ١/٤٣٨.

(٥) النحاس إعراب القرآن ٢/٢١٦.

(٦) القيسي: مشكل إعراب القرآن، تحقيق ياسين السواس - مرجع سابق، ١/٣٦٣.

(٧) أبو منصور الأزهرى: معاني القراءات، مرجع سابق، ج ١ ص ٤٥٤.

(٨) العكبري: إملاء ما من به الرحمن، سابق ٢/١٥، ١٦.

(٩) النحاس إعراب القرآن ٢/٢١٦، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤/٣٠٧٤، ٣٠٧٥، وابن عطية المحرر الوجيز في

تفسير الكتاب العزيز، مرجع سابق ٣/٣٦.

(١٠) ذكرها له في البحر المحيط ٤٤/٥.

ثالثاً: موقف النسخي من القراءات المتواترة التي أنكرها بعض النحاة: اعتمد بعض النحاة على قواعدهم النحوية في تخطئة بعض القراءات المتواترة كما سبق وعن هؤلاء يتحدث الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة فيقول: «يؤسفني أن أقول: إن كتب النحو واللغة والتفسير وغيرها قد تضمنت نصوصاً كثيرة في الطعن على الأئمة القراء الذين تواترت قراءاتهم في السبع والذين ارتضت الأئمة الإسلامية قراءاتهم فركنوا إليها وعولوا عليها». ولم يكتف النحويون بتلحين ما خالف قواعدهم، وإنما كان منهم تلحين لبعض القراءات المتواترة مع موافقتها لأقيستهم»^(١).

وفي الصفحات التالية سوف يتضح موقف النسخي من بعض القراءات المتواترة التي أنكرها بعض النحاة أو القراء ومن ذلك:

أولاً: موافقة خافضة للمنكرين:

١ - في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) فقد قال: «نَجَّى شامى وأبو بكر بإدغام النون في الجيم عند البعض لأن النون لا تدغم في الجيم وقيل تقديره نَجَّى النَجَاءَ المؤمنين فسكن الياء تخفيفاً وأسند الفعل إلى المصدر ونصب المؤمنين بالنَّجَاءِ، لكن فيه إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز» وفيه تسكين الياء، وبابه الضرورات، وقيل أصله نُنْجَى من التنجية فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت إحدى التاءين في قوله تعالى: ﴿تُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(٣) وقد اقتفى النسخي خطى الزمخشري حينما قال: «وهذا لا يجوز» وكان الزمخشري قد قال: «ومن تحمل لصحته فجعله فعل وقال نَجَّى النَجَاءَ المؤمنين فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنَّجَاءِ فمتعسف بادر التعسف»^(٤).

(١) الشيخ: محمد عبد الخالق عزيمة: دراسات لأسلوب القرآن، مرجع سابق، ج ١ ص ١٩، ٢٤.

(٢) الأنبياء: ٨٨ وقرأها (نجى) أبو بكر بن عياش وحدة ابن مجاهد: السبعة ٤٣.

(٣) القدر: آية ٤ والنسخي: التفسير: ١٣٣/٣، ١٣٤.

(٤) الزمخشري: الكشاف ١٦٢/٤.

فالذى حمل الزمخشري وتابعه النسفى على هذا رواية «المؤمنين» لا غير وقد أنكرها كذلك أبو إسحاق النحوى: فقال: «من قال معناه نُحْيِ النَّجَاءَ المؤمنين فهو خطأ باجماع النحويين كلهم إذ لا يجوز (ضرب زيدا)»^(١) تريد ضرب الضرب زيدا، وكذلك قال الفراء: «كأنه احتمل اللحن ولا نعلم له جهة إلا تلك»^(٢) وصرح الزجاج بتلحين القراءة فقال: «فأما ما روى عن عاصم بنون واحدة فلحن لا وجه له»^(٣).

وكان ابن قتيبة وأبو عبيدة اختار التوجيه الأول حتى لا يطعنا فى قراءة متواترة قرأ بها ابن عامر وعاصم، وذكر ابن قتيبة «وكان أبو عبيد يختار فى هذا الحرف مذهب عاصم... ويستشهد عليه حرفاً فى سورة الجاثية كان يقرأ به أبو جعفر المدنى: وهو قوله: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(٤) أى لِيَجْزِيَ الْجَزَاءَ قَوْمًا وأنشدنى بعض النحويين:

وَلَوْ وَدِدْتُ فَقِيرَةً جَزَوُ كَلْبٍ . . . لَسَبَّ بِذَلِكَ الْجَرُّ الْكِلَابُ^(٥)
أى لَسَبَّ السَّبُّ...^(٦).

وقد أنكر الفريق الأول هذه الحجج وقال الفراء عن قراءة أبى جعفر المدنى فى آية الجاثية: «هذا لحن ظاهر»^(٧)، وأورد القرطبى أن أبا عمرو بن العلاء قال: «وهذا لحن ظاهر»^(٨)، وبينما لم يعترض الزمخشري على قراءة سورة الجاثية أجازها الكسائى^(٩).

(١) الأزهرى: معانى القراءات ١٧٠/٢.

(٢) الفراء: معانى القرآن ١١٠/٢.

(٣) الزجاج: معانى القرآن وإعرابه ٤٠٣/٣.

(٤) الجاثية: ١٤، قرأها أبو جعفر المدنى والأعرج وشيبة فى اتحاف فضلاء البشر ٤٦٦/٢، والقرطبى ٦٢١٢/٩.

(٥) لجرير بن عطية: فى شرح الجمل الزجاجى لابن عصفور، تحقيق: صاحب أبو جناح - الرشيد - بغداد د.ت.

(٦) ٥٣٧/١، وابن الشجرى: الأمالى الشجرية - مرجع سابق، ج ٢ ص ٢١٥.

(٧) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن: ٥٤، ٥٥، ٥٦.

(٨) الفراء: معانى القرآن ج ٣/٤٦.

(٩) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ٦٢١٢.

(٩) الكسائى: المغنى ص ٢٣١، والقرطبى ٦٢١٢/٩.

فالنسفي لم ينكر القراءة لكنه أفاد بأن تأويل النحاة لها غير سائغ ويؤيد ذلك أنه في قراءة عاصم والكسائي لقوله تعالى: ﴿فَنُجِّيْ مِنْ نَّشَاءٍ﴾^(١) فلم ينكرها فقال «بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامى وعاصم وعلي، لفظ الماضى المبني للمفعول، والقائم مقام الفاعل (من) والباقون فَنُجِّيْ بنونين»^(٢)، فى حين أن ابن عطية أنكرها فى المحرر الوجيز فقال: «وهى غلط»^(٣). وقد دافع أبو حيان عن هذه القراءة قائلاً: «وليست غلطاً، ولها وجه فى العربية»^(٤).

٢ - ومن متابعته الخافضة لإنكار بعض النحاة لبعض القراءات المتواترة ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾^(٥)، وكان النحاة قد أنكروا همز معاش، قال النسفي: «والوجه تصريح الياء لأنها أصلية بخلاف صحائف، فالياء زائدة وعن نافع أنه همز تشبيهاً بصحائف»^(٦)، وقد جاء فى المنصف لابن جنى رداً عنيفاً وقدحاً فى القارئ ما يلى: «فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة «معاش» بالهمز فهى خطأ فلا يلتفت إليها، وإنما أخذت عن نافع ابن أبى نعيم، ولم يكن يدرى ما العربية، وله أحرف يقرؤها لحناً نحواً من هذا»^(٧)، وتابعه فى ذلك ابن خالويه فقال: «إنَّ همزه لحن»^(٨).

وقال ابن الأنبارى: «وهى قراءة ضعيفة فى القياس»^(٩)، ومثلهم النحاس الذى قال: «والهمز لحن لا يجوز»^(١٠).

وقد أجازها من النحاة على بُعد مكى بن أبى طالب القيسى الذى قال: «وروى معاش، ومجازه أنه شبه الياء الأصلية بالزائدة فأجراها مجراها وفيه بعده»^(١١)، وقال أبو حيان: «لكنهم روه

(١) يوسف: ١١٠، وكتاب السبعة ٣٥٢.

(٢) النسفي: مروان ٣٤٥/٢.

(٣) ابن عطية: المحرر الوجيز: ٢٨٩/٣.

(٤) أبو حيان: البحر المحيط ٣٣٥/٥ وينظر النحو القرآنى لأحمد مكى الأنصارى ١٢٧ وما بعدها.

(٥) الأعراف: ١٠ - وقرأها نافع وابن عامر فى رواية بالهمز - السبعة ٢٧٨ - وقال أبو بكر: وهو غلط.

(٦) النسفي: جدا ٦٧/٢، والكشاف ٤٢٥/٢.

(٧) ابن جنى: المنصف شرح تصريف المازنى: مرجع سابق، جدا ١ ص ٣٠٧.

(٨) ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها - سابق جدا ٧٦، وإعراب ثلاثين سورة ٤٩.

(٩) ابن الأنبارى: البيان، سابق جدا ١ ص ٣٥٥.

(١٠) النحاس: إعراب القرآن جدا ١١٥/٢.

(١١) مكى بن أبى طالب القيسى: مشكل إعراب القرآن، سابق ٣٠٦/١.

وهم ثقات فوجب قبوله... ولنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة، وما جاء به نقل القراء الثقات،.. كابن عامر وهو عربى صراح... والأعرج وهو من كبار قراء التابعين والأعمش وهو من الضبط والإتقان والحفظ والثقة بمكان ونافع وهو قد قرأ على سبعين من التابعين وهم من الفصاحة والضبط والثقة باخل الذى لا يجهل فوجب قبول ما نقلوه إلينا ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة^(١)، فالنسفى لم يتجرف وراء القاعدة، ومن عجب أن أول من أنكرها من النحاة أورد أن من العرب من يهمز فقال: «وقد قالت العرب: مصائب فهمزو» وبعضهم همز مدائن^(٢).

٣ - وفى قوله تعالى: ﴿فَلَنَّمَا يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣)، «... والوجه الرفع فى (فيكون)» وهى قراءة العامة على الاستئناف أى فهو يكون، أو على العطف على (يقول)، ونصبه ابن عامر على لفظ (كن) لأنه أمر، وجواب الأمر بالفاء نصب، وقلنا إن (كن) ليس بأمر حقيقة، إذ لا فرق بين أن يقال: «وإذا قضى أمراً فإنما يكونه فيكون» وبين أن يقال: «فإنما يقال له كن فيكون»، وإذا كان كذلك فلا معنى للنصب^(٤)، ويقول فى موضع آخر فى سورة يس ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٥)، «... فيكون شامى وعلى عطف على يقول: وأما الرفع فلأنهما جملة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى أمره أن يقول له كن»^(٦).

فالنسفى هنا يقدم نقداً هادئاً لقراءة ابن عامر ولم يرد مثل هذا النقد فى الكشف، وكان ابن مجاهد قد بدأ بتخطئة قراءة ابن عامر بنصب يكون فى سورة البقرة فقال: «وهو غلط»^(٧)، وقال ابن الأنبارى عن قراءة ابن عامر «هذه القراءة ضعيفة»^(٨)، أما العكبرى فقال:

(١) أبو حيان: البحر المحيط ٢٧١/٤.

(٢) ابن جنى: المنصف سابق ٣٠٧/١، ٣١٢، ويراجع النحو القرآن أحمد مكى الإنصارى ١٠٤، ١٠٥.

(٣) البقرة: ١١٧، بالنصب ابن عامر فى السبعة ١٦٩ وقال ابن مجاهد: «وهو غلط!!!».

(٤) النسفى: التفسير، مروان ١٢١/١.

(٥) يس: ٨٢ بالنصب ابن عامر والكسائى فى السبعة ٥٤٤.

(٦) النسفى: التفسير ٢٤/٣.

(٧) ابن مجاهد: السبعة ١٦٩.

(٨) ابن الأنبارى: البيان ١٢٠/١.

«وَقُرِّئَكُمْ بِالنَّصَبِ عَلَى جَوَابِ لَفْظِ الْأَمْرِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ»^(١)، وَكَانَ سَيِّبُوهُ وَالْفَرَاءُ قَدْ أَنْكَرَا وَجْهَ الرَّفْعِ فِي الْآيَةِ^(٢).

وَقَدْ جَاءَتْ قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ هَكَذَا فِي مَوْضِعَيْنِ آخَرَيْنِ، الْأَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤)، وَقَدْ وَافَقَهُ الْكَسَائِيُّ بِالنَّصَبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٥)، وَفِي سُورَةِ يَسَ^(٦)، فَهَذِهِ أَرْبَعُ مَوَاضِعَ جَاءَتْ فِيهَا الْقِرَاءَةُ بِالنَّصَبِ عَنْ ابْنِ عَامِرٍ وَالْكَسَائِيِّ وَقَالَ النَّحَاةُ فِيهَا مَا قَالُوا... وَتَابِعَهُمْ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ كَابْنِ عَطِيَّةٍ حِينَما قَالَ: «وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى فِي قِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ: «هَذَا لَحْنٌ»^(٧)، وَلِذَلِكَ كُلُّهُ فَقَدْ دَافَعَ أَبُو حَيَّانٍ عَنْ حُجَّةِ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ فَقَالَ: «فَالْقَوْلُ بِأَنَّهَا لَحْنٌ مِنْ أَقْبَحِ أَلْخَطَأِ الْمُؤْتَمِّمِ الَّذِي يَجْرُ قَائِلُهُ إِلَى الْكُفْرِ»^(٨)، وَاخْتَارَ الطَّبْرِيُّ رَوَايَةَ النَّصَبِ وَأَجَازَهَا^(٩).

وَحُجَّةُ النَّحَاةِ أَنَّ الْمَضَارِعَ إِذَا وَقَعَ بَعْدَ الْفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ جَوَابًا لَمْ يَجْزِ فِيهِ إِلَّا الرَّفْعُ وَالْعَجَبُ أَنَّهُمْ أَجَازُوا ذَلِكَ فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ وَلَمْ يَقْبَلُوا الْقِرَاءَاتِ الْمُتَوَاتِرَةَ قَالَ سَيِّبُوهُ: «وَقَدْ يَجُوزُ النَّصَبُ فِي الْوَاجِبِ فِي اضْطِرَارِ الشَّعْرِ وَنَصْبِهِ فِي الْاضْطِرَارِ مِنْ حَيْثُ انْتَصَبَ فِي غَيْرِ الْوَاجِبِ وَذَلِكَ لِأَنَّكَ تَجْعَلُ أَنَّ الْعَامِلَةَ فَمَا نَصَبَ فِي الشَّعْرِ اضْطِرَارًا قَوْلُهُ: (وَافِر) سَأَتُرْكُ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيمٍ... وَأَتَحَقُّ بِالْحِجَازِ فَاسْتَرِيحًا»^(١٠)

(١) العكبري: إملاء ما من به الرحمن ٦٠/١.

(٢) سيبويه الكتاب ٣/٣٩، والفراء ١/٧٤.

(٣) مريم: ٤٥.

(٤) غافر: ٦٨.

(٥) النحل: ٤٠.

(٦) الكشف: لمكي بن أبي طالب ١/٢٦٠، والسبعة ٣٧٣.

(٧) ابن عطية المحرر الوجيز ١/٢٠٢، والبحر المحيط ١/٣٦٥، والقرطبي ١/٥٨٤.

(٨) أبو حيان: البحر المحيط ١/٣٦٥.

(٩) الطبري: جامع البيان ١/٤٠٦ ونقله القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ١/٥٨٤.

(١٠) للمغيرة بن حبياء في الخزائن، مرجع سابق، ج ٨ ص ٥٢٤، وابن يمش ٧/٢٥٥ وابن الشجري الأمالي: ١/٢٧٩.

والسيرافي: ما يحتمل الشعر من الضرورة تحقيق: عوض القوزي دار المعارف، الثانية ١٩٩١ ص ٢٤١.

وقال الأعشى، وأنشدناه يونس: (طويل)

هــنـهـالـك لا تجزونيـني عـنـد ذاكـم . . . ولكن سيجزيني الإله فيعقب^(١)

وهو ضعيف في الكلام وقال طرفة: (طويل)

لـنـا هـضـبـة لا يـدخـل الـذـل وـسـطـهـا . . . ويأوي إليها المستجير فيعصم^(٢)

وكان أبو عمر يقول: لا تأتينا فنشتمك^(٣)، ووافقه المبرد وأورد البيتين الأول والثالث^(٤) وابن مضاء القرطبي وأوردها^(٥)، فهذا سيبويه يجيز النصب للضرورة الشعرية ولا يجيزه للقراءة القرآنية المتواترة، والغريب أن القيسي أجازه عن بعد في موضع في سورة البقرة، ولم يجزه في كتابه الآخر بل قال عن قراءة الكسائي لآية النحل ويس: «فأما اختصاص الكسائي للنصب في النحل ويس فهو حسن قوى»^(٦).

ب - نقده اللاذع: وقد اتبع في ذلك بعض النحاة ومن ذلك ما أورده في قراءتين الأولى لأبي عمرو والثانية لحمزة على النحو الآتي:

١ - في قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِر لِمَن يَشَاءُ﴾^(٧) قال النسخي: «بالإدغام أبي عمرو وقال صاحب الكشف مدغم الراء في اللام لاحت مخطئ لأن الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز إدغام المضاعف»^(٨).

(١) للأعشى في ما يحتمل الشعر من الضرورة للسيرافي ص ٢٤٤ وابن عصفور - منائر الشعر - تحقيق السيد إبراهيم

- الأندلس بيروت الثانية ١٩٨٢ ص ٢٨٤ وغيرها وفيها (ثمت) بدلاً من (هنالك).

(٢) لطرفة في تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب للأعلم الشنتمري - زهير سلطان

- الرسالة - الثانية ١٩٩٤ ص ٣٩٧ والكتاب لسيبويه ٤٠/٣.

(٣) سيبويه: الكتاب ٤٠/٣.

(٤) المبرد: المقتضب - مرجع سابق، ج ٢/٢٤.

(٥) ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، الثالثة ١٩٨٨ ص ١٢٥، ١٢٦.

(٦) مكى بن أبي طالب: مشكل إعراب القرآن ٧٠/١، والكشف ٢٦٠/١، ٢٦١.

(٧) البقرة: ٢٨٤، ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي بالجزم في كتاب السبعة ص ١٩٥.

(٨) النسخي: التفسير: ٢٨٤/١، ٢٨٥، والكشاف للزمخشري: ٥١٨/١.

وسبويه لا يجيز ذلك يقول: «والراء لا تدغم فى اللام ولا فى النون لأنها مكررة»^(١) ، والنسفى هنا يصرح بالكتاب وصاحبه وقلما يفعل ذلك فى المواضع الأخرى وما أكثرها كأنه يخشى أن ينسب ذلك التلحين لأبى عمرو وحده، وقد أجاز ذلك الإدغام من النحاة الكسانى والفراء والرؤاسى، قال أبو حيان: وأجاز ذلك الكسانى والفراء وحكياء سماعياً ووافقهما على سماعه رواية وإجازة أبو جعفر الرؤاسى وهو إمام من أئمة اللغة والعربية... والإدغام وجه من القياس... ورووه عن العرب فوجب قبوله والرجوع إليه إلى علمهم ونقلهم إذ من علم حجة على من لم يعلم، ولا يجوز أن يعتقد فى القراء أنهم غلطوا^(٢) .

٢ - فى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(٣) بجر الأرحام فى قراءة حمزة بن حبيب الزيات قال النسفى «وبالجر حمزة على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف لأن الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كشيء واحد فأشبهه العطف على بعض الكلمة»^(٤) .

وقد تابع النسفى موقفه من هذه القراءة حينما يعارض بالقاعدة النحوية التى لا تميز عطف الظاهر على المضمير المتصل المجرور دون إعادة الخافض قراءة سبعية أخرى قرأ بها حفص عن عاصم لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٥) فقرأها حفص والمسجد الحرام ولم يرد فيها خلاف فى هذا الموضع لكن النسفى الذى ضعف قراءة حمزة فيقول فى سورة البقرة: «والمسجد الحرام» عطف على سبيل الله، أى وصد عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام وزعم الفراء أنه معطوف على الهاء فى (به) أى كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند البصريين العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، فلا تقول مررت به وزيد ولكن نقول وبزيد، ولو كان

(١) النسفى: مروان ٢٨٤/١، ٢٨٥، والكشاف ٥١٨/١ .

(٢) أبو حيان: البحر المحيط ٣٦٢/٢، ٣٦٣ .

(٣) النساء: ١، والسبعة لابن مجاهد ٢٢٦ .

(٤) النسفى: التفسير: مروان ٣٠٥/١ .

(٥) البقرة: ٢١٧ .

معطوفا على الهاء هنا لقليل وكفر به وبالمسجد الحرام»^(١)، ويؤكد ثباته على اختيار هذا الرأي ما أورده في موضع ثالث حول قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾^(٢)، ويعطف (وما يث من دابة) على الخلق المضاف، لأن المضاف إليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف عليه»^(٣) قال الأزهرى: «وأما خفض الأرحام على قراءة حمزة فهي ضعيفة عند جميع النحويين»^(٤) وقال الأخفش: «وقال بعضهم والأرحام جر، والأول أحسن لأنك لا تجرى الظاهر المجرور على المضمرة المجرورة»^(٥).

وقال الزجاج: «القراءة الجيدة نصب الأرحام... فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر وخطأ أيضا في أمر الدين عظيم»^(٦).

وقد بلغ نقد بعض النحاة غاية في التجريح ولعل أقبحه ما قاله المبرد في قراءة حمزة «لو أنى صليت خلف إمام فقرأ بها لقطعت صلاتي»^(٧)، وأنكرها الطبرى^(٨).

ومن دافع عن هذه القراءة واحتج لها ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن فقال: «ومن خفض أراد الذى تساءلون به وبالإرحام وهو مثل قول الرجل: نشدتك بالله وبالرحم»^(٩)، وقد أنكر ابن يعيش كلام أبى العباس المبرد فقال: «وقد رد أبو العباس محمد ابن يزيد هذه القراءة وقال لا تحمل القراءة بها وهذا القول غير مرضى من أبى العباس لأنه قد روراه إمام ثقة ولا سبيل إلى رد الكل الثقة مع أنه قرأها جماعة من غير السبعة كابن مسعود وابن عباس والقاسم وإبراهيم

(١) النسفى: التفسير: ١٧١/١، ١٧٢.

(٢) الجاثية: ٤.

(٣) النسفى: ١٩٦/٤.

(٤) الأزهرى: معانى القراءات ٢٩٠/١.

(٥) الأخفش: معانى القرآن: ١/٤٣٠، ٤٣١.

(٦) الزجاج: معانى القرآن وإعرابه ٦/٢.

(٧) الحريرى: درة الغواص فى أوهام الخواص - محمد أبو الفضل، دارالفكر العربى - الثانية ١٩٩٧ ص ٥٦،

والقرطبى: ١٦٦٩/٢.

(٨) الطبرى: جامع البيان ج ٤ ص ١٥١، قال: «وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب».

(٩) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن - السيد صقر - دار الكتب العلمية - أولى ١٩٧٨ ص ١١٨.

النخعي والأعمش والحسن البصري وقادة ومجاهد وإذا صحت الرواية لم يكن سبيل إلى ردها» ^(١) وكما قال أبو حيان: «قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ قرأ بها سلف الأمة واتصلت بأكابر أقرأ الصحابة» ^(٢)، وقال ابن مالك: «ومثلها في كلام العرب كثير كقول بعض العرب ما فيها غيره وفرسه بالجر عطفاً على الهاء ومنه قول الشاعر:

هَلَّا سَأَلْتُ بِذِي الْجَمَاجِمِ عَنْهُمْ . . . وَأَبِي نَعِيمٍ ذِي اللِّوَاءِ الْمُحَرِّقِ ^(٣)

ومثله:

إِذَا وَقَدُوا نَارًا لِحَرْبٍ عَدَّوَّهُمْ . . . فَقَدْ خَابَ مَنْ يَصْلِي بِهَا وَسَعِيرُهَا ^(٤)

ومثله:

لَوْ كَانَ لِي وَزْهِيرٌ ثَالِثٌ وَرَدَّتْ . . . مِنَ الْعِمَامِ عِدَانَا شَرٌّ مَوْرُودٍ ^(٥)

.. والعمل بمقتضى هذه الشواهد في النظم والنثر قياساً هو مذهب يونس والأخفش والكوفيين وهو إختيار أبي على الشطوين وإختياري» ^(٦).

فالنسفي يتمسك بالقاعدة ويرفض القراءة في هذا الموضع فقط مما يدل على أنه يختار ويتنخب مما يختاره رأياً لا يحيد عنه.

(١) ابن يعيش: شرح المفصل - مكتبة المتنبى - القاهرة. د.ت ج٣/٧٨.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط: ١٥٧/٣ و ١٤٧/٢.

(٣) بلا نسبة في الأنصاف ٤٦٦/٢ والبحر المحيط: ١٤٨/٢ ومعاني القرآن للفراء: ٨٦/٢.

(٤) بلا نسبة في البحر: ١٤٨/٢ وابن مالك: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية د.ت ٥٦.

(٥) أبو حيان البحر: ١٤٨/٢، وابن مالك: شواهد التوضيح ٥٦.

(٦) ابن مالك: شرح عمدة الحافظ وعدة اللا حظ - سابق ج٢/٦٦١، ٦٦٥، ومذهب الكوفيين في الانصاف لابن الإنباري ٤٦٣/٢ وابن عقيل بشرح ألفية ابن مالك: مرجع سابق، ج٣ ص ٢٤٠، والأشموني: شرح الفية بن مالك مرجع سابق، ج٣/١١٤، والسيوطي: همع الهوامع: شرح جمع الجوامع: النسفي: التفسير، سابق، ج٢/١٣٩، وخالد الأزهرى: شرح التصريح على التوضيح - دار الأحياء - الأولى سنة ١٣٢٠هـ ١٥١/٢، والرصنى: شرح الكافية ١١٢/١٠.

ثالثاً: النسفي ينتصر للقراءات السبعية التي أنكرها بعض النحاة:

وقد تنوع عرض النسفي لهذه القراءات المتواترة مؤيداً لها ومخالفاً لبعض النحاة الذين أنكروا بعض هذه القراءات في عدة مستويات لغوية ما بين المستوى الصوتي في قضية الهمزة لبعض القراءات والأدغام والمستوى الصرفي والمستوى النحوي والدلالي وفيما يلي عرضاً لهذا الموقف:

- الهمزة :

١ - في قوله تعالى: ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ﴾^(١) قال النسفي: «الياء فيه منقلبة عن واو (ضواء) لكسرة ما قبلها، وقلبها قبل همزة لأنها للحركة أجمل»^(٢)، وقد أنكروا ابن مجاهد هذه القراءة فقد جاء في النشر لابن الجزري «.. وزعم ابن مجاهد أنه غلط مع اعترافه أنه قرأ كذلك على قبل، وخالف الناس ابن مجاهد، ووافق قبلًا: أحمد بن يزيد الحلواني فرواه كذلك عن القواس شيخ قبل وهو على القلب قدمت فيه اللام على العين، كما قيل في (عات) (عتا) ..»^(٣)، وما قاله ابن مجاهد «كذلك قال قبل عن القواس وأباه ابن فليح وغيره وقالوا: (وضياء بهمزة واحدة بعد الألف مثل سائر الناس»^(٤).

وفي توجيه هذه القراءة السبعية المتواترة يقول أبو زرعة: «وحجته قوله: ﴿رثاء الناس﴾^(٥) وضياء جمع (ضوء) مثل بحر وبحار والأصل (ضواء) فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فصارت ضياء كما تقول: ميزان وميقات وجائز أن يكون الضياء مصدرًا مثل (الصوم والصيام) والأصل (صوام) فقلبت الواو ياء تقول: (ضياء القمر يضيء ضوءاً وضياء)، كما تقول: قام يقوم قياماً»^(٦)، وكذا العكبري في الإملاء قال: «والياء منقلبة عن (واو) لقولك (ضوء)، والهمزة أصل، ويقرأ بهمزين بينهما ألف والوجه فيه أن يكون آخر الياء وقدم الهمزة، فلما وقعت الياء طرفاً بعد ألف زائدة قلبت همزة عند قوم، وعند آخرين قلبت الفا ثم قلبت الألف همزة لئلا يجتمع ألفان»^(٧).

(١) يونس: ٥.

(٢) النسفي: ٢٢١/٢.

(٣) ابن الجزري: النشر ٤٠٦/١. وعضيمة دراسات لأسلوب القرآن، سابق، ٨٩/١.

(٤) ابن مجاهد: السبعة ٣٢٣. وهي قراءة ابن كثير.

(٥) البقرة: ٢٦٤.

(٦) أبو زرعة: حجة القراءات ٣٢٨.

(٧) العكبري: إملاء ما من به الرحمن ٢٤، ٢.

ويرى مكى القيسى أنها جمع ضوء فيقول: «وكون ضياء جمع ضوء فى قراءة من همز همزتين أحسن لأن الجمع يحسن فيه القلب ويكثر»^(١).

٢ - قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمَ ضِيزِي﴾^(٢)، وفى قراءة (ضِيزَى) وعنها يقول النسفى: «ضِيزَى بالهمز مكى من ضَاَزَه مثل ضَاَزَه»^(٣)، وكان الفراء قد أنكر همزها فقال: «والقراء جميعاً لم يهملوا (ضِيزَى)، ومن العرب من يقول قسمة (ضَاَزَى)، وبعضهم يقول قسمة ضَاَزَى وضِيزَى بالهمز ولم يقرأ بها أحد نعلمه»^(٤)، ووافقه على هذا الرفض الزجاج الذى قال: «ولا يجوز من هذا فى القرآن إلا ما قرئ به وهو (ضِيزَى) بالياء غير مهموز»^(٥).

وقد دافع عنها أبو عبيدة فقال: «ربما همزها قوم فقالوا: أضَاَزْتُهُ، وأنا أضَاَزُهُ، وهى من ضِيزَى»^(٦)، وهما لغتان كما قال أبو زرعة: «وهما لغتان، تقول: ضَاَزْنَى حَقَى أى: نَقَصْنَى، وضَاَزْنَى، وضَاَزَهُ، يَضِيزُهُ، وضَاَزَهُ يَضَاَزُهُ بمعنى»^(٧)، وفى اللسان أن أبا زيد الأنصارى «سمع العرب تهمز ضِيزَى»^(٨)، وحكى الكسائى عن عيسى «ضِيزَى»، وقال: ضَاَزَ يَضِيزُ، ضِيزَى، وضَاَزَ يَضُوزُ، ضِيزَى، وضَاَزَ يَضَاَزُ، ضَاَزَ، إذا ظلم وتعدى وبخس وانتقص»^(٩).

وكذلك عن الأخفش أنه قال: «وقد يهمل فيقال: ضَاَزَهُ، تَضَاَزَهُ ضَاَزاً وأنشد: (طويل)
وإن تَنَاَعْنَا نَنْتَقِصْكَ، وإن تَقَمَّ . . . فحَقَّكَ مَضْنُوزٌ وأنْفُكَ رَاغِمٌ»^(١٠)

(١) القيسى: الكشف ١/٥١٢.

(٢) النجم: ٢٢ وقرأها بالهمزة ابن كثير، السبعة ٦١٥، والدانى: التيسير ١٦٦.

(٣) النسفى: التفسير: مروان ج٤ ص ٢٨٩.

(٤) الفراء: معانى القرآن ٩٨/٣.

(٥) الزجاج: معانى القرآن وإعرابه ٧٣/٥.

(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/٢٣٧.

(٧) أبو زرعة: حجة القراءات ٦٨٦، والقالى: المقصور والممدود، تحقيق عبد الملمع هريدى - الخانجى،

الأولى ١٩٩٩ ص ١٩٢.

(٨) ابن منظور: لسان العرب: (ضيز).

(٩) الكسائى: معانى القرآن سابق ٢٣٨، والقرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٩/٦٥٠٣.

(١٠) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ج٩/٦٥٠٣، وأبو حيان: البحر المحيط ٨/١٦٨، والبيت بلا نسبة فيها، وفى

اللسان (ضيز) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، مرجع سابق، ج٣ ص ٣٨٠، ومعجم مجمل اللغة لابن فارس،

تحقيق زهير غازى - مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٩٨٤ ١/٥٧٠، والقالى: المقصور والممدود، سابق ١٩٢، وفى

رواية وأن (نوب)، و(فحظك).

وهكذا قال الأزهرى: «المعنى فى ضَمَزَى وضِيزَى واحد، يقال: ضَاَزَه يُضِيزُه إذا نقصه حقه، ويقال ضَاَزَه يَضَاَزُه بالهمز بمعنى واحد»^(١).

٣ - قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٢) قُرئت بالهمز فقال النسفى: «واشتقاقها من بَرَأَ الله الخلق، وقيل اشتقاقها من البرى، وهو التراب، ولو كان كذلك لما قرءوا البرينة كذا قاله الزجاج»^(٣).

وكان إمام النحاة سيبويه قد أنكر تحقيق الهمزة فقد جاء فى الكتاب: «بلغنا أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون الهمزة فى (نبي) و(برية) وذلك قليل ردىء»^(٤) فى موضع، وفى الموضع الثانى أجازها وحكى فيها الاختلاف فقال: «وكذلك البرية تهمزها فأما النبى فإن العرب قد اختلفت فيه... قال العباس بن مرداس: (كامل) يا خاتَمَ النَّبِئَاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ... بِالْحَقِّ كُلُّ هُدًى السَّبِيلِ هُذَاكَ»^(٥) ذا القياس»^(٦).

وحول قراءة نافع (البرينة) قال الزجاج فيما نقله النسفى «والأصل البرينة إلا أن الهمزة خففت لكثرة الاستعمال يقولون هذا خير البرية وشر البرية وما فى البرية مثله واشتقاقه من بَرَأَ إليه الخلق وقال بعضهم جائز أن يكون اشتقاقها من البرى وهو التراب، ولو كان كذلك لما قرأوا البرينة بالهمزة والكلام بَرَأَ الله الخلق يبرؤهم»^(٧).

وقال أبو زرعة: «إنه من بَرَأَ الله الخلق يبرؤهم بَرَاءً، والله البَارِئُ وخلق يبرؤون والبرينة فعيلة بمعنى مفعوله كقولك قتل بمعنى مقتول»^(٨)، ومثله قال ابن خالويه فى إعراب القراءات وقال فى الحجة «ودليله قوله «هو الله الخالق البارئ»»^(٩).

(١) الأزهرى: معانى القراءات ٣/٣٨، والقيسى: الكشف ٢/٢٩٥.

(٢) البينة ٧، ٦ وقرأها بالهمز نافع وابن عامر، كتاب السبعة ٩٩٣، والتيسير للدانى ١٨٢.

(٣) النسفى: التفسير ٤/٣٧١.

(٤) سيبويه: الكتاب ٣/٥٥٥.

(٥) للعباس بن مرداس فى ابن هشام: سيرة النبى والسيرة النبوية لابن هشام تحقيق محمد محبى الدين - دار التراث، القاهرة، د.ت ج ٩٥/٤ وابن الأنبارى: البيان ١/٨٧.

(٦) سيبويه: الكتاب ١/٤٦٠، والمقتضب ١/١٦٢.

(٧) الزجاج: معانى القرآن وإعرابه ٥/٣٥٠.

(٨) أبو زرعة: حجة القراءات ٧٦٩.

(٩) ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها ٢/٥١٣، والحجة فى القراءات ٣٧٤. والآية فى سورة الحشر رقم: ٢٤.

وهكذا قال مكى بن أبى طالب القيسى فى الكشف، أما قوله فى قراءة نافع ﴿وتقتلون
النبيين﴾^(١) بالهمزة نافع وكذا بابه^(٢)، وهو على الأصل كما فى الشاهد السابق الذى ذكره
سيبويه للعباس بن مرداس وكذا قال أبو زرعة وابن خالويه فى الحجة «أنه أخذه من قوله: (أنبا)
بالحق إذا أخبر به ومنه أثبتوني بأسماء هؤلاء»^(٣)، وقد جاء به على الأصل^(٤).
ولم يخالف ذلك من النحاة إلا ابن درستويه الذى يقول: «... وأهل العربية
يزعمون أن النبى أصله الهمز لأنه عندهم من أنبأه الله، والعرب كلهم لا يهمزون إلا فى ضرورة
شعر وشذوذ»^(٥).

وقريب من ذلك ما أنكره النحاة من قراءة حمزة بن حبيب لقوله تعالى: ﴿وما أنتم
بمصرخي﴾^(٦) بكسر الياء وقد أنكرها من النحاة الأخفش والزجاج والزمخشري فقال الأخفش:
«هذه لحن لم نسمع بها من أحد من العرب ولا أهل النحو»^(٧) وأما الزجاج فقد أنكر استدلال
الفراء على إجازة الكسر على ما فيها من ضعف بيت الأغلب العجلي: (رجز)
قال لها: هل لك يا تافسي . . . قالت له: ما أنت بالمرضي^(٨)
فقال الزجاج معلقا: وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه.. وليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب
ولا هو مما يحتج به فى كتاب الله تعالى^(٩)، ومثل ذلك أورد أبو جعفر النحاس^(١٠)، أما
الزمخشري فاكفى بالقول: «بكسر الياء وهى ضعيفة»^(١١).

(١) البقرة: ٦١، نافع فى السبعة ١٥٧، والتيسير ٦٣، وأبو زرعة: الحجة ٩٩.

(٢) النسخة: التفسير ٥٢/١٠.

(٣) البقرة: ٣١.

(٤) ابن خالويه: الحجة ص ٨٠، وأبو زرعة: حجة القراءات ص ٩٩ والقيسي: الكشف ٢٤٤/١ والأزهري: معانى
القراءات ١٥٤/١.

(٥) ابن درستويه: تصحيح الفصح وشرحه: محمد بدوى المختون: المجلس الأعلى، القاهرة، الأولى ١٩٩٨، ص ١٧٦.

(٦) إبراهيم: ٢٢، وقرأها كذلك حمزة فى السبعة ٣٦٢، ونسبت للأعمش فى تأويل مشكل القرآن ٦٢، والأخفش ٥٩٩/٢.

(٧) الأخفش: معانى القرآن: ٥٩٩/٢.

(٨) للأغلب العجلي فى خزانة الأدب للبغدادى - تحقيق هارون - الخانجى، ٤/٣٤٤ وحاشية يس على شرح التصريح

لخالد الأزهرى، ج ٢/٦٠ وبلا نسبة فى الكشف ٣/٣٧٥، ومعانى القرآن للفراء ٧٦/٢، والبحر المحيط ٥/٤١٩.

(٩) الزجاج: معانى القرآن ج ٣، ١٥٩، ١٦٠.

(١٠) النحاس: إعراب القرآن ج ٢ ص ٣٦٨، ٣٦٩.

(١١) الزمخشري: الكشف ٣/٣٧٧.

وقد أجازها من النحاة الفراء، وقال أبو عمرو بن العلاء: «هي جائزة»^(١)، وقال: «هي باخفض حسنة»^(٢)، وقد وجهها بعض النحاة بعدة وجوه منها:

١ - أن الكسرة على التقاء الساكنين، وأصله (مُصْرَخِينَ) لى، فحذف النون، للإضافة واللام للتخفيف، فالتقى الساكنان: ياء الإعراب وياء الإضافة، وهى ياء المتكلم وأصلها السكون، فكسرت للتخلص من التقاء الساكنين»^(٣).

٢ - أن الأصل « فى مصرخى ثلاث ياءات: ياء الجمع وياء الإضافة، وياء زيدت للمد: حذفت الياء التى للمد وبقيت الياء المشددة مكسورة.. وفيها بعد من جهة الاستعمال، وهى حسنة على الأصول»^(٤).

٣ - وفى الكسر وجهان: أحدهما أنه كسر على الأصل، والثانى: أنه أراد مصرخى، وهى لفية يقول: أربابها: (فتى) (رَمِيَّتِيَّة) فتبع الكسرة الياء إشباعاً إلا أنه فى الآية حذف الياء الأخيرة اكتفاء بالكسر قبلها»^(٥).

وكذلك يرى النسفى: «أنها للاتباع لنلا تجتمع الكسرة والياء بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الأولى ياء الجمع، الثانية ضمير المتكلم»^(٦).

أما ما استدلوا به فليس بيتاً فرداً فقد استدل ابن جنى بيت للنابغة الذبياني (طويل)
على عمرو نعمة بعد نعمة . . . لوالده ليست بذات عَصَارِبِ^(٧)
أما مسائل الصرف فقد أنكر بعض النحاة بعض القراءات لمخالفتها لأصول تلك المسائل عندهم ومن ذلك.

(١) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص ٤١٩، ٤٢٠، للمزيد: النحو القرآنى ص ٩٩: ١٠٠.

(٢) البغدادي: خزانة الأدب ج٢ ص ٤٣٤.

(٣) ابن الجزرى: النشر: ج٢ ص ٢٨٧، والدمياطى: اتحاف فضلاء البشر ج٢ ص ١٦٨.

(٤) مكى القيسى: مشكل إعراب القرآن ج١ ص ٤٤٦.

(٥) العكبرى: الإملاء ج٢ ص ٦٨.

(٦) النسفى ج٢ ص ٢٦٠.

(٧) ابن جنى: المحتسب ٤٩/٢ - وأبو حيان: البحر المحيط ٤٢٠/٥ وابن منظور: لسان العرب (عقرب).

١ - قراءة عبد الله بن عامر وحزمة لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١) ومثلها قوله تعالى: ﴿هَٰذَاكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾^(٢) الأولى بضم اللام وواو واحدة، والثانية بكسر الواو في ولاية» وقد وصفها باللحن أبو عمرو بن العلاء كما ذكر أبو حيان^(٣) وابن قتيبة الذي قال: ولا وجه للولاية ههنا إنما هو من (تَلَوْا) بواوين من (لَيْكَ) في الشهادة وميلك إلى أحد الخصمين^(٤).

وقد أجاز بعض النحاة أن يكون التقدير: «وإن تلووا عليهم» فطرح عليهم جائز» وهذا هو الأخفش، أما أبو علي الفارسي فقد قال: «فمن قرأ (تَلَوْا) فمعناه - والله أعلم - الإقبال عليهن والمقاربة لهن في العدل»^(٥).

وفسرها بعضهم بقوله: من قرأ بضم اللام وواو واحدة احتمل أن يكون من وَلِيَ (على) وأصله (تَوَلَّيَا) ثم أعل بحذف الواو لوقوعها بين تاء وكسرة ثم ألقى حركة الياء على اللام، وحذف الياء لسكونها وسكون الواو بعدها^(٦)، وقد أجازها من النحاة الزجاج الذي قال: «ويجوز أن يكون وإن تَلَوْا من الولاية»^(٧)، أما النسفي فقد قال: «وإن تَلَوْا بواو واحدة وضم اللام شامى وحزمة من الولاية»^(٨)، وفي موضع آخر حول قوله تعالى: ﴿هَٰذَاكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾^(٩) قال: الولاية بكسر الواو حمزة وعلى، فهي بالفتح النصرة والتولى بالكسر السلطان والملك^(١٠) وقد انكر الكسر في آية الكهف النحاس فقال: «وقرأ الكوفيون الولاية بالكسر، أى السلطان وهو

(١) النساء: ١٣٥ والسبعة ٣٩، والأعمش في أتحاف فضلاء البشر ٥٢٢/١، ويحيى بن وثاب في تأويل مشكل القرآن: ٦١.

(٢) الكهف: ٤٤.. حمزة والكسائي - أسبعة ٣٩٢ والنشر ٢/٢٧٧.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط: ١٣٠/٦.

(٤) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٦٢ وتفسير غريب القرآن ١٣٦.

(٥) أبو علي الفارسي: الحجة في علل القراءات السبع ج ٢ ص ١٨٠.

(٦) مكى: القيسى: إعراب مشكل القرآن ج ١ ص ٢٠٨.

(٧) الزجاج: معاني القرآن ١١٨/٢.

(٨) النسفي: تفسير ج ١ ص ٣٧٢.

(٩) الكهف: ٤٤، حمزة والكسائي في السبعة ٣٩٢، والنشر ٢/٢٧٧.

(١٠) النسفي: السابق ٢٨/٣.

بعيد جداً^(١)، وتابعه القيسى فقال: «الفتح فى الكهف أحسن.. وهو الاختيار لأن عليه الجماعة»^(٢).

وقد أجازها الفراء فقال: «وكسر الواو فى الولاية أعجب إلى من فتحها وقد سمعناهما بالفتح والكسر قال الشاعر: (طويل)
دَعِيهِمْ فَهُمْ أَسْبُ عَلَى وَلايَةٍ . . . وَحَفَرُهُمْ أَنْ يَعْلَمُوا ذَاكَ دَائِبٌ»^(٣)

وقال ابن كثير: «قرأ حمزة ولايتهم بالكسر والباقون بالفتح وهما واحد كالدلالة والدلالة»^(٤)، وفى اصلاح المنطق «الولاية والولاية فى النصرة يقال هم على ولاية جميعاً»^(٥)، قال الأزهرى: «من كسر الواو فى مصدر الواو لان ولاية الواو كالصناعة... ومن العرب من يجيز الولاية بالكسر فى التناصر لأن فى تولى القوم بعضهم بعضاً ضرباً من الصناعة»^(٦).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾^(٧) قال فى تفسيرها: (لا تجاوزوا الحد (وَعَدَّ) ورش، (تَعْدُوا) مدنى غير ورش»^(٨) بسكون العين وتشديد الدال^(٩)، وقد أنكر أبو جعفر النحاس هذه القراءة فقال: «ولا يجوز إسكان العين ولا يوصل إلى الجمع بين ساكنين فى هذا الذى يقرأ بهذا إنما يروم الخطأ»^(١٠).

(١) النحاس: إعراب القرآن ٤٢٩/٢.

(٢) مكى بن أبى طالب القيسى: الكشف ٤٩٧/١، وقال الأخفش فى معانى القرآن: «ولا أعلم كسر الواو إلا لغة، .. ٥٤٩٠/٢»

(٣) معانى القرآن للفراء ٤١٨/١، ٤١٩.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج ٣٢١/٢.

(٥) ابن السكيت: اصلاح المنطق، تحقيق أحمد شاکر وعبد السلام هارون.. دار المعارف، الرابعة ١٩٨٧، ص ١١١، والتبريزى: تهذيب اصلاح المنطق، تحقيق فوزى مسعود - الهيئة المصرية، الأولى ١٩٨٦ ج ١ ص ٣٢١ ونقله ابن منظور فى اللسان (ولى) عن سيبويه.

(٦) الأزهرى: معانى القراءات ج ١ ص ٤٤٦.

(٧) النساء: ١٣٥.

(٨) النسخ: ٢٦١/١.

(٩) ابن مجاهد: السبعة ٢٤٠ لدافع برواية ورش وأبو عمرو الدانى: التيسير فى القراءات السبع ٨١٠.

(١٠) أبو جعفر النحاس: إعراب القرآن ٤٩٥/١.

وكذلك أنكرها ابن خالويه الذي قال: «روى نافع إسكان العين وتشديد الدال وهو قبيح»^(١).

وقد احتج لهذه القراءة أبو زرعة فقال: «لا تعدّوا ساكنة العين مشددة الدال، وحجته قوله ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾»^(٢).. والأصل لا تعدّوا ثم أسكن التاء وأدغم في الدال فصار تعدوا.. وقرأ ورش تعدّوا بفتح العين نقل فتح التاء إلى العين مثل يهدّى»^(٣).

وكان لفيف من النحاة قد أنكروها فقال ابن الأنباري: «تعدّوا» وهذه القراءة ضعيفة»^(٤) وكذلك قال العكبري: «هي قراءة ضعيفة لأنه جمع بين ساكنين وليس الثاني حرف مد»^(٥) وكذا أنكرها مكى بن أبى طالب القيسي فقال: «وهو غير جائز»^(٦).

٣ - قراءة ابن عامر لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾^(٧) وفيها قال النسفي: «والهاء في (اقتده) للوقف تسقط في الوصل، واستحسن إظهار الوقف لثبات الهاء في المصحف، ويحذفها حمزة وعلى في الوصل، ويختلسها شامي»^(٨).

كان ابن مجاهد أول من أنكر قراءة عبد الله بن عامر «بكسر الدال ويشم الهاء، الكسر من غير بلوغ ياء، وهذا غلط، لأن هذه الهاء (هاء) وقف لا تعرب في حال من الأحوال»^(٩)، ورواها النحاس باللحن فقال: «وهذا لحن»^(١٠).

(١) ابن خالويه: الحجة في القراءات ١٢٨ وعلى القراءات السبع ج١ ص ١٣٩.

(٢) البقرة: ٦١.

(٣) أبو زرعة: حجة القراءات ص ٢١٨.

(٤) ابن الأنباري: البيان ج١ ص ٢٧٣.

(٥) العكبري: الإملاء ١/٢٠٠.

(٦) مكى بن أبى طالب: الكشف ج١ ص ٤٠٢.

(٧) الأنعام: ٩٠.. قرآن حمزة والكسائي بغير هاء في الوصل ويقفان بالهاء وعبد الله ابن عامر بكسر الدال وإشمام

الهاء الكسر من غير بلوغ ياء، والباقيون بإثبات الهاء في الوصل وساكنة في الوقف - السبعة ٢٦٢، والداني: التيسير

٨٦، والحجة لأبوزرعة ٢٦٠.

(٨) النسفي: التفسير: مروان ٣٤/٣٣/٢.

(٩) ابن مجاهد: السبعة ٢٦٢.

(١٠) النحاس: إعراب القرآن ٨١/٢.

واختار عند الزجاج الوقف ^(١) ، وتابعهما ابن خالويه إذ قال في الحجة «فأما من كسر هذه (الهاء) في الوصل فقد وهم» ^(٢) .

وانتصر لهذه القراءة واحتج لها أبو زرعة فقال: قرأ ابن عامر (اقتدهي) بالإشباع، جعلها اسماً، قال بعض أهل البصرة جعل ابن عامر (الهاء) فيه ضميراً لمصدر وهو الاقتداء كان الأصل فيه فبهدهم اقتد اقتداء ثم أضمر الاقتداء، فقال (فبهدهم اقتدهي) ^(٣) ، وساق هذا الكلام الأزهرى وعلق قائلاً وهو مذهب حسن في اللغة ^(٤) ، وقال أبو حيان: «وتغليط ابن مجاهد قراءة الكسر غلط منه» ^(٥) .

أما في المسائل النحوية فقد كثر إنكار بعض النحاة للقراءات المتواترة ولم يتابع النسفي النحاة في ذلك كثيراً سوى ما مر من موقفه من قراءة حمزة بجر (الأرحام) في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ^(٦) ومن ذلك ما يلي:

١ - في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿ ^(٧) قال النسفي: «بضم الياء وكسر الزاي «يَحْزَنُكَ» نافع من حَزَنَهُ وَأَحْزَنَهُ.. ومن زعم أن من قرأ (أنا) نَعْلَمَ بالفتح فسدت صلاته، وإن اعتقد معناه كفر» ^(٨) .. فقد أخطأ لأنه لا يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر.. كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل» ^(٩) .

والنسفي هنا ينتقد موقف الزمخشري وقال النيسابوري: «وجوز جار الله الزمخشري: فتح أن» على تقدير لام التعليل بل جوز أن تكون المفتوحة بدلاً من قولهم والمكسورة مفعولاً

(١) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٧٠ .

(٢) ابن خالويه: الحجة في القراءات ١٤٥ .

(٣) أبو زرعة: حجة القراءات ٢٦٠ .

(٤) الأزهرى: معاني القراءات ١/٣٧٠ .

(٥) البحر المحيط: ٤/١٧٦ .

(٦) النساء: ١

(٧) يس: ٧٦، ولم تناسب بالفتح لأحد من القراء..

(٨) الزمخشري: الكشاف ٥/١٩٢ .

(٩) النسفي: التفسير: مروان ٤/١٣، ١٤ .

لقولهم ويكون نهى الرسول ﷺ من ذلك كنهيه عن الشرك فى قوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)..^(٢)، وقال بعض المفسرين «وشاع أن الوقف على (قولهم) متعين، وقيل ليس به»^(٣)، وهو وقف تام كما قال أبو عمرو الداني فى المكتفى^(٤)، وكما عرف الداني نفسه الوقف التام بأنه «الذى يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده، لأنه يتعلق بشيء مما بعده»^(٥).

٢ - قراءة نافع لقوله تعالى: ﴿فَبِمِ تَبَشِّرُونَ﴾^(٦) بكسر النون وقال النسفى: «بالتخفيف نافع، والأصل تبشرونى، فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين»^(٧).

وقد نسبها إلى الغلط أبو حاتم السجستاني^(٨)، وكذلك ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن إذ قال: «ولو أريد بها الوجه الذى ذهب إليه لكانت فبم تبشرونى لأنها فى وضع رفع»^(٩)، وكذلك ابن عطية الذى قال: «لا يجوز حذف النون الأولى، وهو لحن لأنها علامة رفع الفعل»^(١٠).

وقد دافع كثير من النحاة عن قراءة نافع ومنهم ابن الإنبارى الذى قال: «تحذف نون الوقاية أو الإعراب، وكل له وجه»^(١١)، وكذلك سيبويه واخليل، والفراء وأبو عبيدة وابن مالك وابن خالويه والعكبرى^(١٢)، ومن أقوالهم: «والحجة لمن خفف النون وكسرها أنه حذف إحدى النونين

(١) الأنعام: ١٤ - يونس ١٠٥ - القصص ٨٧.

(٢) الليسابورى: غرائب القرآن و رغائب الفرقان بهامش جامع البيان للطبرى ج٢٣ ص ٣٥.

(٣) الألوسى: روح المعانى ج٢٣ ص ٥٢.

(٤) أبو عمرو الداني: المكتفى فى الوقف والابتداء - تحقيق يوسف المرعشلى - مؤسسة الرسالة، بيروت - اثنان ١٩٨٧ ص ٤٧٥ - ٤٧٦.

(٥) السابق: نفسه ص ١٤٠.

(٦) الحجر: ٥٤، وهى قراءة نافع فى السبعة ٣٦٧.

(٧) النسفى: التفسير مروان ٣٩٤/٢.

(٨) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص ٤٥٨.

(٩) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ٦٤.

(١٠) ابن عطية: المحرر الوجيز ٥٤٠/٤.

(١١) ابن الإنبارى: البيان فى غريب إعراب القرآن ج٢ ص ٧٠.

(١٢) عامر سليمان عميره: الاتجاهات النحوية والصرفية لابن قتيبة فى أدب الكاتب وتأويل مشكل القرآن - رسالة ماجستير - مخطوط كلية الآداب - جامعة الزقازيق سنة ١٩٩٥ ص ٣٨، وسيبويه الكتاب ٥١٩/٢، ومعانى

الفراء ٩٠/٢ - وأبو عبيدة - مجاز القرآن ٢٠٦/١.

تخفيفاً من غير إدغام، واجتزأ بالكسرة من الياء، ويستشهد له بقول الشاعر: (وافر)
رأته كالثَّغَامِ يُعْمَلُ مِسْكَاً . . . يسوء الفالسيات إذا فليني^(١)

قال البصريون: أراد (فليني) فحذف إحدى النونين، وقال الكوفيون: أدغم النون ثم حذفها واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾^(٢) .. ﴿أَتَعَدَّانِي﴾^(٣) قالوا لما ظهرت النونات لم يحذفها^(٤)، واختار الأزهري: قراءة الفتح^(٥).

وقد دافع عنها أبو حيان فقال: «وليس بلحن؛ لأن التركيب متفق عليه، واخلاف جرى في أيهما حذف»^(٦)، ومن حيث الرواية قال الزجاج: «والإقدام على رد هذه القراءات غلط؛ لأن نافعاً - رحمه الله - قرأ بها، ولم يقرأ بحرف إلا وأقل ما قرأ به اثنان من قراء المدينة، وله وجه في العربية فلا ينبغي له أن يرد»^(٧).

ومن شواهدا عند النحاة قول أبي حية النميري: (وافر)
أبالموت الذي لا بُدَّ أنِّي . . . مُلاقٍ لا - أباك - تَخَوِّفِينِي؟^(٨)
يريد تخوفيني.

٣ - ومن تعليله للقراءات المتواترة ما رد به على الزمخشري في قراءة حمزة لقوله تعالى ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾^(٩) بكسر همزة (إن)^(١٠) حيث

(١) لعمر بن معد يكرب في الكتاب لسبويه ٥١٩/٣، ومعاني الفراء ٩٠/٢ - وابن جنى: المنصف ٣٧٧/٢ - وابن الأنباري: الاضداد - محمد أبو الفضل، الكويت، الأولى ١٩٦٠، ص ١٥٣.

(٢) الأعراف: ١٥٠.

(٣) الأحقاف: ١٧.

(٤) ابن خالويه: الحجة ٢٠٦، ٢٠٧.

(٥) الأزهري: معاني القراءات ٧٠/٢.

(٦) أبو حيان: البحر المحيط ج ٧، ٤٣٩، وإرتشاف الضرب من لسان العرب مرجع سابق، ج ١ ص ٤٧٢.

(٧) الزجاج: معاني القرآن ج ١ ص ٢١١ وج ٣ ص ١٨١.

(٨) له في مجاز القرآن لأبي عبيدة ج ١ ص ٣٥٢، وابن الشجري: الأمالي الشجرية سابق ٣٦٢/١، والبغدادى، خزانة الأدب ١٠٥/٤، وابن منظور: لسان العرب (أبي) وبلا عزو في معاني القرآن للأخفش ٤٤٤/١.

(٩) الأنفال: ٥٩.

(١٠) قرأها بالكسر عبد الله بن عامر وحفص وحمزة، ابن مجاهد، السبعة في القراءات ٣٠٧.

قال: «... أنهم شامي، أى؛ لأنهم، ولكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غير أن المكسورة على طريق الاستئناف، ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة ففيه نظر؛ لما بيناه من عدم تفرد بها»^(١).

وقد نسبها إلى اللحن أبو حاتم السجستاني^(٢)، وقال الزمخشري: «هذه القراءة التي تفرد بها حمزة ليست ببيرة»^(٣).

ومن أجاز كسر همزة (إن) العكبرى^(٤)، وقرئ بالكسر على الاستئناف والقطع واختاره القرطبي: «وهو الاختيار؛ ولأن الجماعة عليه»^(٥)، أما من حيث الرواية (فلا ينبغي لأى شخص مهما كان أن يوجه إليها أى طعن»^(٦).

٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٧) بكسر الهمزة فى (إن) قال النسفى: «إن صدوكم على الشرط، مكى وأبو عمرو ويدل على الجزاء ما قبله وهو لا يجرمنكم»^(٨)، وقد أنكر أبو جعفر النحاس هذه القراءة فقال: «وهذه القراءة لا تجوز بإجماع النحويين إلا فى شعر على قول بعضهم»^(٩)، وكذلك أنكرها أبو حاتم السجستاني وأبو عبيدة^(١٠)، واختار ابن خالويه فى إعراب القراءات السبع الفتح فقال: «والاختيار الفتح»^(١١).

وقد أجازها كثير من النحاة كسيبويه وابن الإنبارى والأخفش والفراء وقال الأخير: «ولو كسرت على معنى الجزاء لكان صوابا وفى حرف عبد الله (إن يصدوكم)»^(١٢) فإن كسرت

(١) النسفى: التفسير ١٥٧/٢.

(٢) النحاس: إعراب القرآن: ١٩٣/٢، وابن خالويه إعراب القراءات ٢٣٠/١ - القرطبي: الجامع ٢٩٦٠/٤.

(٣) الزمخشري: الكشاف ١٥٧/٢.

(٤) العكبرى: إملاء ما من به الرحمن ٦/٢.

(٥) مكى القيسى: مشكل إعراب القرآن ٣٥١/١، والقرطبي: الجامع ٢٩١١/٤.

(٦) محمد سالم محيسن: المغنى فى توجيه القراءات العشر - الكليات الأزهرية - القاهرة، الثانية، ١٩٧٨ ج ١ ص ٤٤.

(٧) المائدة: ٢ - لابن كثير وأبو عمرو فى السبعة ٢٤٢.

(٨) النسفى: التفسير ٣٩١/١.

(٩) النحاس: إعراب القرآن ج ٢ ص ٥، ونقله القرطبي ج ٣ ص ٢١٤٤.

(١٠) القرطبي: ٢١٤٥/٣.

(١١) ابن خالويه: الحجة فى القراءات البعجا ١٤٣.

(١٢) القيسى: الكشف ٤٠٥/١ ومشكل إعراب القرآن ٢١٩/١، وابن الإنبارى: البيان ٢٨٣/١، والأخفش: معانى القرآن

٤٦٠/٢، وكتاب سيبويه: ١٦١/٣.

جعلت الفعل مستقبلاً^(١)، وكذلك وجهها الأزهرى، ومكى بن أبى طالب، وابن خالويه فى الحجة^(٢)، وقد أنكر أبو حيان على أبى جعفر النحاس ومن تابعه فى تضعيف هذه القراءة فقال: «وهذا الإنكار منهم لهذه الآية صعب جداً فإنها قراءة متواترة إذ هى من السبعة والمعنى معها صحيح»^(٣).

٥ - قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ﴾^(٤) ففى تفسير هذه الآية يقول النسفى: «حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ» حال بإضمار قد،^(٥) وجمهور النحاة يمنع مجئ الحال جملة فعلية فعلها ماض غير مسبوق بقد، وقد أجاز الكوفيون وأبو الحسن الأخفش ذلك واستدلوا بالآية^(٦) وقراءة الحسن: «حصرة صدورهم»^(٦).

وقول الهذلى: (طويل)

وَإِنِّي لَتَعْرِوْنِي لَذِكْرًاكِ هِزَّةٌ . . . كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بِلَلِّهِ الْقِطْرُ^(٧)

ومثلها جاء قوله تعالى: ﴿وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾^(٨) وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾^(٩)، وقوله عز وجل: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾^(١٠)، فجملة (واستيقنتها) فى الأولى وَقَعَدُوا فى الثانية وَكُنْتُمْ فى الثالثة وردت الماضى فيها حالاً غير مسبوق بقد وكلها من القراءات المتواترة الموثوق بها^(١١).

(١) الفراء معانى القرآن ٣٠٠/١.

(٢) ابن خالويه: الحجة ١٢٩.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط ٤٢٢/٣.

(٤) النساء: ٩٠.

(٥) النسفى: التفسير ٣٥٣/١.

(٦) النشر لابن الجزرى ٢٥١/٢، ونسبها الأزهرى ليعقوب الحضرمى فى معانى القراءات ٣١٤/١، وإتحاف فضلاء البشر ٥١٨/١.

(٧) لأبى صخر الهذلى: فى الأنصاف ٢٥٣/١، و(نفضة) فى الرضى: شرح الكافية.. تحقيق يوسف حسن عمر، الجامعة الليبية بالبيضاء - الأولى سنة ١٩٧٣ ج ٥٤/٢، والأزهرى: معانى القراءات ٣١٤/١، وأبو حيان البحر المحيط ٣١٧/٣، والطبرى: جامع البيان: ٢/٩، وابن الجزرى: النشر ٢٥١/٢.

(٨) الأنعام: ١٤.

(٩) آل عمران: ١٦٨.

(١٠) البقرة: ٢٨.

(١١) أحمد مكي الأنصارى: نظرية النحو القرآنى ص ١٢٤ بتصرف.

٦ - وفي الفصل بين المتضايين تناول النحاة قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لَكثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾^(١) في قراءة عبد الله بن عامر «زَيْنٌ» .. (قَتْلُ) (أَوْلَادَهُمْ) (شُرَكَائِهِمْ) برفع الزاي ورفع اللام ونصب الدال وكسر همزة شركاء^(٢) ..

بناء «زَيْنٌ» للمجهول، ونائب الفاعل كلمة (قَتْلُ) بالرفع، و(شُرَكَائِهِمْ) بالكسر مضاف إليه أما نصب كلمة أولاد على أنها مفعول به للمصدر قتل وهي الفاصلة بين المضاف (قتل) والمضاف إليه (شركاء) فقال النسفي: «... هو فاعل زَيْن بالضم، قتل بالرفع: أولادهم بالنصب شركائهم بالجذر شامى على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم»^(٣).

وقد حظيت هذه القراءة بأكبر قدر من إنكار النحاة بدأ بقول الفراء: «وكان بعضهم يقرأ زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم» فيرفع القتل إذا لم يسم فاعله ورفع الشركاء فينويه كأنه قال: زينه لهم شركاءهم ... وليس قول من قال إنما أرادوا مثل قول الشاعر: (رجز) فزَجَّجَتْهَا بِمَزَجَّةٍ ... زَجَّ الْقَلُوصِ أَبِي مَزَادَةَ^(٤)

بشيء. وهذا مما كان يقوله نحويون.. ولم نجد مثله في العربية»^(٥).

وقال أبو عبيد: «لا أحب قراءة ابن عامر لما فيها من الاستكراه»^(٦).

وكذلك قال الطبري: «والقراءة التي لا أستجيز غيرها «وكذلك زَيْنٌ لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاءهم» بفتح الزاي من (زين) ونصب القتل بوقوع زين عليه وخفض أولادهم بإضافة القتل، ورفع الشركاء بفعلهم لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم»^(٧).

(١) الأنعام: ١٣٧.

(٢) ابن مجاهد: السبعة ٢٧٠. وأبو عمرو الداني: التيسير ٨٨.

(٣) النسفي: التفسير ٣٥/٢.

(٤) بلا نسبة، ويرى فزججتها بمزجه في مجالس ثعلب ١٥٢، والخصائص ٤٠٩/٢، والإنصاف ٤٢٧ وابن يعيش:

شرح المفصل ١٩/٣، والأشمونى ٢٧٦/٢، والخزانة ٤١٥/٤.

(٥) الفراء: معاني القرآن ١/٣٥٧، ٣٥٨.

(٦) البغدادى: خزانة الأدب ٤/٤٢٣.

(٧) الطبري: جامع البيان ٨/٣٣.

وتابعهم أبو جعفر النحاس حينما أورد في إعراب هذه القراءة «فأما ما حكاه أبو عبيد عن ابن عامر وأهل الشام فلا يجوز في كلام ولا شعر وإنما أجاز النحويون التفريق بين المضاف والمضاف إليه في الشعر بالظرف لأنه لا يفصل فأما بالأسماء غير الظروف فلحن»^(١).

وجاءت عبارة الأزهري أشد قسوة حيث قال: «أما قراءة ابن عامر فهي متروكة لأنها لا تجوز.. ولا يجوز عندى القراءة بها»^(٢).

وفى رده لقراءة ابن عامر يقول الزمخشري منتصراً للقاعدة «والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورة وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً»^(٣).

وقريب منها جاءت عبارة الرضى الاسترياذى فى شرح الكافية^(٤)، ونسبها صراحة إلى الضعف مكى بن أبى طالب القيسى إذ قال: «وهذه القراءة ضعيفة»^(٥)، ومثله قال ابن الأنبارى: «وهذه القراءة ضعيفة فى القياس بالإجماع»^(٦).

وكان ابن جنى اللطف النحويين الرافضين عبارة هذه المرة حيث قال: «وهذا فى النشر وحال السعة صعب جداً لا سيما والمفعول به مفعول لا ظرف»^(٧).

وقد انتصر لهذه القراءة الكوفيون والكسائي^(٨)، وابن مالك الذى اتخذها حجة فى جواز

الفصل فقال:

وَحُجَّتِي قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ . . . فَكَمْ لَهَا مِنْ عَاضِدٍ وَنَاصِرٍ^(٩)

(١) النحاس: إعراب القرآن ٩٨/٢.

(٢) الأزهري: معانى القراءات ٣٨٨/١ وللمزيد ابن خالويه: حجة القراءات ١٥١ وعلل القراءات السبع ١٧١/١ والعكبري: إملاء ما من به الرحمن ٢٦٢/١.

(٣) الزمخشري: إعراب القرآن ٤٠١/٢.

(٤) الرضى: شرح الكافية: تحقيق: يوسف حسن عمر ج ٢/٢٦٠.

(٥) مكى بن أبى طالب: الكشف ٤٥٤/١ ومشكل إعراب القرآن ٢٩١/١.

(٦) ابن الأنبارى: البيان ٣٤٣/١.

(٧) ابن جنى: الخصائص: محمد على النجار، مرجع سابق، ج ٢ ص ٤٠٩.

(٨) ابن الأنبارى: الانصاف فى مسائل الخلاف ٤٢٧ والبغدادى: الخزانة ٤٢٢/٤ والرضى: شرح الكافية ٢٥٩/٢ وما بعدها.

(٩) ابن الجزرى: النشر ٢٦٤/٢، والألوسى: روح المعانى ٣٣/٨، وابن مالك فى شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ٤٩٠/١، ٤٩١.

واستدل بالحديث الصحيح الذى جاء فيه عن مناقب أبى بكر «فهل أنتم تاركوا لى صاحبي» ففصل بالجار والمجرور^(١).

وقال السيوطى: «يجوز الفصل بالمفعول لثبوته فى السبع المتواترة وحسنه كون الفاصل فضلة فإنه يصح بذلك لعدم الاعتداد وكونه غير أجنبى من المضاف»^(٢).

وأيد ذلك الأشمونى والصبان وابن عقيل والخضرى^(٣)، ومن حيث الرواية فقال الجزرى: «بل الصواب فى مثل هذا الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول فى الفصحى الشائع فى الدائع اختصاراً، ولا يختص بضرورة الشعر ويكفى فى ذلك دليلاً هذه القراءة الصحيحة المشهورة التى بلغت التواتر كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين.. وهو عربى صريح من صميم العرب فكلامه حجة وقوله دليل»^(٤).

وقال السمين الحلبي: «قراءة ابن عامر متواترة صحيحة وقد تجرأ كثير من الناس على قارئها بما لا ينبغي وهو أعلى القراء السبعة سنداً»^(٥)، ويقول الألوسى: «لو سلمنا أن قراءة ابن عامر منافية لقياس العربية لوجب قبولها أيضاً بعد أن تحقق صحة نقلها كما قبلت أشياء نافت القياس مع أن صحة نقلها دون صحة القراءة المذكورة بكثير»^(٦)، ويعلق أبو حيان على إنكار الزمخشري للقراءة بقوله: «وأعجب لعجمى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح محض قراءة متواترة موجوداً نظيرها فى لسان العرب فى غير ما بيت وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانهم»^(٧).

(١) جزء من حديث النبى ﷺ فى مناقب أبى بكر - فتح البارى لابن حجر ج ١٠ ص ٥٤٤ و ج ١٣ ص ١٠٦.

(٢) السيوطى: مع الهوامع ٥٢/٢.

(٣) الأشمونى: ٢٧٦/٢ وحاشية الصبان نفس الموضع وشرح ابن عقيل ج ٨٢/٣ وحاشية الخضرى عليه - ضبط يوسف اليقاعى، دار الفكر - بيروت، الأولى ١٩٩٥ ج ٢ ص ٢٨، ٢٩.

(٤) ابن الجزرى: النشر ج ٢ ص ٢٦٣، واتحاف فضلاء البشر ٣٢/٢، وروح المعانى ٣٣/٨.

(٥) البغدادى: خزائن الأدب ٤٢٢/٤.

(٦) الألوسى: روح المعانى ٣٣/٨.

(٧) أبو حيان: البحر المحيط ٢٢٩/٤.

وقال بعضهم: «ولا بعد فيما استبعده أهل النحو من جهة المعنى»^(١)، وهكذا فالنسفي وقف مع القراءة المتواترة ودافع عنها ولم يتكررها كما فعل كثير من النحاة، بل انتصر للقراءة المتواترة كما فعل بعض النحاة كما تبين مما سبق.

٧ - وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ثَلَاثُمِائَةِ سِنِينَ﴾^(٢) فقد قال النسفي في تفسيرها: «بالإضافة حمزة وعلي على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز»^(٣).

وقد أنكر المبرد هذه القراءة فقال: «وقد قرأ بعض القراء بالإضافة فقال: (ثَلَاثُمِائَةِ سِنِينَ)، وهذا خطأ في الكلام غير جائز، وإنما يجوز في الشعر للضرورة»^(٤)، وقد أنكرها أبو حاتم وأبو علي الفارسي^(٥).

وكذا قال العكبري: «وقرأ بالإضافة وهو ضعيف في الاستعمال»^(٦)، ووافق ذلك ما ذكره الرضي الاسترياذى في شرح الكافية عن قراءة حمزة والكسائي: «ولا شك أن قراءة الجماعة أقيس من قراءتهما عند النحاة»^(٧)، وقال ابن خالويه: «ليست هذه القراءة مختارة لأن العرب إذا أضافت هذا الجنس أفردت فيقولون عندي ثلاثمان ديناراً»^(٨).

وقد انتصر لها كثير من النحاة ودافعوا عنها ومن هؤلاء القراء الذي قال: «ومن العرب من يضع السنين موضع سنة فهي حينئذ في موضع خفض لمن أضاف»^(٩)، ورداً على ابن خالويه يقول

(١) البغدادى: خزائن الأدب: ٤/٤٢٤، وللمزيد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٦١٣ وغيره مما سبق وأحمد مكي الأنصاري - نظرية النحو القرآني ٧٨٠ وما بعدها.

(٢) الكهف: ٢٥ - وهي قراءة حمزة والكسائي في السبعة ٣٩٠.

(٣) النسفي: التفسير: ١٠/٣.

(٤) المبرد: المقتضب: ١٧١/٢.

(٥) أبو حيان: البحر المحیط: ١١٧/٦.

(٦) العكبري: إملأ ما من به الرحمن ١٠١/٢.

(٧) الرضي الاسترياذى شرح الكافية ٣/٣٠٦.

(٨) ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها ج ١ ص ٣٩٠ وخالف رأيه في الحجة فقال: «والحجة أنه أتى بالعدد على وجهه وأضافه على خفة بالمفسر مجموعاً على أصله لأن إجماع النحويين على أن الواحد المفسر عن العدد معناه الجمع ص ٢٢٣.

(٩) الفراء: معاني القرآن ٢/١٣٨.

أبو زرعة: «بل هذه القراءة مختارة»^(١)، أما ابن الأنباري فاعتبره رجوعاً إلى الأصل حيث قال: «ومن لم ينون أضاف مائة إلى سنين تنبيهاً على الأصل الذي كان يجب استعماله كما جاء في استحوذ واستروح واستصوب تنبيهاً على الأصل»^(٢).

واحتج القيسي لقراءتهما فقال: «سنة بمعنى سنين لا اختلاف في ذلك فحملاً الكلام على معناه فهو حسن في القياس قليل في الاستعمال لأن الواحد في الاستعمال أخف من الجمع»^(٣).

ومن أجازها ابن مالك فقال في الألفية: «ومائة ألف لفرد أضف . . . ومائة بالجمع نَزراً قد رَدِفَ»^(٤)

وفي موضع آخر قال: «وقد تضاف مائة إلى جمع كقراءة حمزة والكسائي»^(٥).

وهو مذهب قطرب والكسائي، وقال الأخرى: «العرب تقول: أقمت عنده مئة سنة، ومئة سنين»^(٦).

وقد انتصر النسفي للقراءة إذا كان لها وجه صحيح في العربية موافقاً بذلك كثيراً من النحاة رافضاً تخطئة قراءة متواترة بحجة مخالفة قياس العربية.

(١) أبو زرعة: حجة القراءات ص ٤١٤.

(٢) ابن الأنباري: البيان ٢/٢٠٦.

(٣) مكى: القيسي: مشكل إعراب القرآن ٢/٤٠ والكشف ٢/٥٨.

(٤) ابن مالك: متن الألفية، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(٥) ابن مالك: شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم هريدي - دار المأمون للتراث د.ت ج ٣ ص ١٦٦٧، والأشمونى:

شرح الألفية ج ٤ ص ٦٦، وحاشية الصبان نفس الموضع.

(٦) أبو زرعة: حجة القراءات ٤١٤، والكسائي: معاني القرآن ١٨٦.

الفصل الخامس
النسفی بین سابقیه ولاحقیه

علماء الأمة من السلف الصالح يأخذ بعضهم عن بعض، ويقتفى بعضهم أثر بعض ولا يصرح الآخذ أو المقتفى باسم المأخوذ عنه إلا قليلاً فيما كان من المؤلفات يتصف بالشمول والإحاطة كالبحر المحيط لأبي حيان، وجامع البيان للطبري، أما المؤلفات المختصرة الوجيزة وفقاً لمنهج صاحبها فقلماً تأتي فيها الآراء منسوبة لأصحابها المتقدمين، ولا سيما إذا كانت في القواعد العامة والمقررة، وارتضاها المتقدمون والمتأخرون على حد سواء.

وتراهم جميعاً محبين للعلم، مقبلين عليه إقبالاً شديداً، وترى لكل منهم شخصية مستقلة ذات كيان مستقل في البحث والدرس، على الرغم من علاقات التأثير والتأثير التي يخضع لها الجميع.

ويظهر ذلك واضحاً فيمن قبل النسفي، وفيمن بعده، حتى في أسماء المدونات التي دونوا فيها تفسيرهم للقرآن الكريم.

فالإمام الزمخشري جاز الله محمود بن عمر الخوارزمي المتوفى ٥٣٨ هـ سمي كتابه: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاليل في وجوه التأويل.

والإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى سنة ٧٠١ هـ سمي كتابه «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»^(١).

والإمام القاضي ناصر الدين، أبو سعيد، عبد الله، بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى ٦٨١ هـ سمي كتابه «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»^(٢).

مما يؤكد عمق العلاقات بين السابق واللاحق، ومن خلال هذه المسميات سوف يظهر توافق غير قليل في هذه التفاسير، وسوف نرى أيضاً تبلوراً في شخصية كل مفسر، وطريقاً يغلب عليه/ ومنهجاً يتسم به وحده، ويضمن له حرية النظر، وحرية الإضافة، وحرية الاستقلال عن غيره/ وتلك سمة العلماء الأفذاذ الذين قطعوا حياتهم حباً في القرآن، وتعلقاً به، وحباً عليه.

وقد جاء في مقدمة تفسير النسفي «سئل الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود

(١) ترجمته في الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/٢١٦١ وإنباه الرواة على أنباه النباه للقفطي ٣/٢٦٥ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ج٢ ص ٢٧٩، ومعجم الأدباء لياقوت ٤٨٩،٥.

(٢) ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي: ج٢ ص ٥٠، ٥١، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج٢ ص ٢٦٦، وحاجي خليفة كشف الظنون ١٨٦، ١٠٣٢، وغيرها.

النسفى عن سبب تأليفه لهذا التفسير فقال: «وقد سألتى من تتعين إجابته كتاباً وسطاً فى التأويلات جامعاً لوجوه الإعراب والقراءات، متضمناً لدقائق علمى البديع والإشارات، حافلاً بأقاويل أهل السنة والجماعة خالياً من أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل»^(١).

وعملى فى هذا البحث هو مسائل النحو والصرف فى تفسير النسفى، وهذا الفصل مخصص لعلاقات التأثير والتأثر فى تلك السائل التى وقفت عليها فى البحث.

وسوف تتبين تلك العلاقات من خلال النماذج القرآنية التى نسرقها، ونقف عندها، لنرى ما بها من الآثار التى توضح علاقة اللاحقين بالسابقين عن طريق المنهج التاريخى الذى يضبط تلك المسألة.

ولعل أبرز الذين أخذ عنهم النسفى وتأثر بهم جاز الله محمود بن عمر الزمخشري ولا سيما تفسيره المسمى بالكشاف، الذى أخذ فيه بدوره عن الزجاج^(٢) وسيبويه والخليل والأخفش^(٣) وابن درستويه^(٤)، والرماني: على بن الحسن المتوفى سنة ٣٨٤ هـ صاحب التفسير الكبير^(٥)، مما دفع بعض الباحثين المعاصرين إلى القول «إن الزمخشري سطا على هذا التفسير ونسب الكثير منه إلى نفسه حيث لم يصرح؛ بالمصدر الذى نقل عنه»^(٦).

ومن نماذج تأثر النسفى وأخذه عن الكشاف ما يلى:

-
- (١) النسفى: التفسير ج١ ص ٢٨.
- (٢) الكشاف ١٠٩/١ وغيرها، وللمزيد منهج الزمخشري فى تفسير القرآن مصطفى الجوينى - دار المعارف الثالث ١٩٨٤ ص ٨٠ وإبراهيم رفيدة النحو وكتب التفسير ج١ ص ٦٩٣ وغيرها.
- (٣) الكشاف: ١١٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٤، ١٨٤، ٢٠٨ وغيرها.
- (٤) الكشاف: ١، ١٣٦.
- (٥) ترجمة فى نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الانبارى تحقيق أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربى ٧٩٨ ص ٢٧٦ وانباء الرواة للقطي ٢/٢٩٤، ٢٩٦، وبغية الوعاة للسيوطى ١٨١، ١٨٧٢ وغيرها.
- (٦) عبد العال سالمك القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية - المكتبة الأزهرية ١٩٩٥ ص ٢٢٤ ومصطفى الصاوى الجوينى: منهج الزمخشري سابق ص ٨٥.

أولاً : من سورة الأنعام :

- قال الله تبارك وتعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ .
- ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ .
- ﴿ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ .
- ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ .
- ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ .
- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ .
- ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .
- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ .
- ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ .
- ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ .
- ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ .
- ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وجوه الاتفاق بين الزخشرى والنفسى :

- ١- (جعل) : يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ وإلى مفعولين إذا كان بمعنى (صير) كقوله : ﴿ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾ (٢) (٣) .

(١) الأنعام: الآيات من ١ - ١٢ .

(٢) الزخرف ١٩ .

(٣) الكشف ج ٢ ص ٣٢٠ والنفسى مدارك التنزيل ج ٢ ص ٥ .

- ٢- وأفرد النور للقصد إلى الجنس، أو لأن الظلمات كثيرة، ولأن ظلمة كل شيء تختلف باختلاف ذلك الشيء والنور حزب واحد، لا يختلف كما تختلف الظلمات^(١).
- ٣- وعطف قوله: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ إما على قوله: (الحمد لله) على معنى: أن الله حقيق بالحمد على ما فى خلق؛ لأنه ما خلقه إلا نعمة، ثم الذين كفروا به يعدلون؛ فيكثرون نعمته، أو على (خلق السموات)، على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه، ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه^(٢).
- ٤- (ومعنى ثم): استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته^(٣).
- ٥- (وأجل مسمى عنده) مبتدأ، والخبر (عنده)، وقدم المبتدأ، وإن كان نكرة، والخبر ظرفاً، وحقه التأخير، لأنه تخصص بالصفة، فقارب المعرفة^(٤).
- ٦- (فى السموات) متعلق بمعنى اسم الله، كأنه قيل: وهو المعبود فيها، ومنه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾^(٥)، أو وهو المعروف بالإلهية، أو المتوحد بالإلهية فيها أو هو الذى يقال له الله فيهما، لا يشرك به فى هذا الاسم، ويجوز أن يكون (الله فى السموات) خبراً بعد خبر، على معنى: أنه الله، وأنه فى السموات والأرض^(٦).
- ٧- (يعلم سرهم وجهرهم) خبر بعد خبر، أو كلام مبتدأ، أى هو يعلم سرهم وجهرهم^(٧).
- ٨- ومن فى ﴿وما تأتيهم من آية﴾ للاستغراق، وفى ﴿من آيات ربهم﴾ للتبعية، أى: وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التى يجب فيها النظر والاعتبار، إلا كانوا عنه معرضين، تاركين للنظر، لا يلتفتون إليه، ولا يرفعون به رأساً لقلّة خوفهم، وتدبرهم للعواقب^(٨).

(١) الكشف ج٢ ص ٣٢١، والنسفى: مدارك التنزيل ج٢ ص ٥، والبيضاوى ٢٩٢/١.

(٢) الكشف ج٢ ص ٣٢١، والنسفى: مدارك التنزيل ج٢ ص ٥، والبيضاوى ٢٩٢/١.

(٣) الكشف ج٢ ص ٣٢١، والنسفى: نفسه ج٢ ص ٥، والبيضاوى ٢٩٢/١.

(٤) الكشف ج٢ ص ٣٢٢، والنسفى ج٢ ص ٥، والبيضاوى ٢٩٣/١.

(٥) الزخرف: ٨٤.

(٦) الكشف: ج٢ ص ٣٢٢، والنسفى: نفسه ج٢ ص ٦، والبيضاوى ٢٩٣/١.

(٧) الكشف ج٢ ص ٣٢٣، والنسفى نفسه ج٢ ص ٦، والبيضاوى ٢٩٣/١.

(٨) الزمخشري: الكشف ج٢ ص ٣٢٧، والنسفى: مدارك التنزيل ج٢ ص ٢٤٦.

٩- ﴿فَقَدْ كَذَبُوا﴾ مردود على كلام محذوف، كأنه قيل: إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها، وهو الحق، أو القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة، فعجزوا عنه ^(١).

١٠- ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، وهو القرآن، أى أخباره وأحواله بمعنى سيعلمون بأى ~~شيء~~ يستهزءوا، وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء، وذلك عند إرسال العذاب عليهم فى الدنيا، ويوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام، وعلو مكانته ^(٢).

١١- ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ...﴾ مكن له فى الأرض: جعل له مكاناً، ومنه قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ ^(٣) وقوله: ﴿أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ﴾ ^(٤) وأما مكنته فى الأرض فائتبه فيها، ومنه قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ ^(٥)، ولتقارب المعنيين جمع بينهما فى قوله: «مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم»، والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاداً وثمود وغيرهم من البسطة فى الأجسام والسعة فى الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا، لأن الماء ينزل منها إلى السحاب أو المطر ^(٦).

١٢- ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ كتاباً مكتوباً، فى قرطاس فى ورق ~~✓~~
﴿فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ولم يقتصر بهم على الرؤية؛ لئلا يقولوا: سكرت أبصارنا، ولا تبقى لهم علة، فقالوا: إن هذا إلا سحر مبين، تعنتاً وعناداً للحق بعد ظهوره، «لقضى الأمر» لقضى أمر هلاكهم، (ثم لا ينظرون)، بعد نزوله طرفه عين، إما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله ﷺ فى صورته، وهى آية لا ~~شيء~~ أين منها وأيقن، ثم لا يؤمنون، كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ ^(٧). لمن يكن بد من إهلاكهم.

(١) الكشف ج ٢ ص ٣٢٣، النسفى: مدارك التنزيل ج ٢ ص ٧.

(٢) الكشف: ج ٢ ص ٣٢٤، النسفى: ج ٢ ص ٧.

(٣) الكهف: ٨٤.

(٤) القصص: ٥٧.

(٥) الأحقاف: ٢٦.

(٦) الكشف: ج ٢ ص ٣٢٤ - النسفى: التفسير ج ٢ ص ٧.

(٧) الأنعام: ١١١.

وأما لأنه يزول الاختيار الذى هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة فيجب إهلاكهم.
وأما لأنهم إذا شاهدوا ملكاً فى صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى (ثم)
بعد ما بين الأمرين، قضاء الأمر، وعدم الإنظار، جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر؛ لأن
مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة^(١).

١٣- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ ولو جعلنا الرسول ملكاً كما
اقترحوا، لجعلناه رجلاً، أى لأرسلناه فى صورة رجل، كما كان ينزل جبريل على رسول الله
ﷺ فى أعم الأحوال فى صورة دحية^(٢)، لأنهم لا يقفون مع رؤية الملائكة فى صورهم^(٣).
﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وغلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ، فإنهم يقولون إذا رأوا
الملك فى صورة إنسان: هذا إنسان وليس بملك، ويجوز أن يراد: وللبسنا عليهم حينئذ ما
يلبسون على أنفسهم الساعة فى كفرهم بآيات الله البينة^(٤).

١٤- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، تسلياً لرسول الله
ﷺ عما كان يلقى من قومه، فأحاط به الشئ الذى كانوا يستهزئون به وهو الحق، حيث أهلكوا
من أجل الاستهزاء به، والفرق بين (فانظروا) وبين (ثم انظروا)، أن النظر جعل سبباً عن السير فى
قوله: (فانظروا)، فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين.

وأما قوله: (سيروا فى الأرض ثم انظروا) فمعناه إباحة السير فى الأرض للتجارة وغيرها
من المنافع، وإيجاب النظر فى آثار الهالكين، ونبه على ذلك بـ (ثم) لتباعد ما بين الواجب
والمباح^(٥).

(١) الكشف ج٢ ص ٣٢٥، والنسفى: مدارك ج٢ ص ٨.

(٢) وهو دحية بن عوف الكلبي: وكان يضرب به المثل فى حسن الصورة، صحابى مشهور أول مشاهدته الخندق، مات
سنة ٤٥ هـ فى خلافة معاوية، الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى . كلكتا الهند ١٨٥٣ هـ ج٢
ص ١٦٢، ونزول جبريل فى صورة دحية الكلبي أخرجه البخارى ج٦ ص ٧٢٨، كتاب المناقب (٣٦٣٤).

(٣) الكشف ج٢ ص ٣٢٦، والنسفى ج٢ ص ٨.

(٤) الكشف ج٢ ص ٣٢٦، والنسفى ج٢ ص ٨.

(٥) النسفى: مدارك التنزيل ج٢ ص ٩٢٨ من الكشف ج٢ ص ٣٢٧، ٣٢٨.

١٥- ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ سؤال تبكيت ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ تقرير لهم، أى هو الله، لا خلاف بينى وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره (كتب ربكم على نفسه الرحمة)، أى: أوجبها على ذاته فى هدايتكم إلى معرفته، ونصب الأول لكم على توحيده، بما أنتم مقرون به من خلق السموات والأرض، ثم أوعدهم على إغفالهم النظر، وإشراكهم به من لا يقدر على خلق شئ بقوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فيجاز بكم على إشراككم.

وقوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ نصب على الذم أو رفع، أى: أريد الذين خسروا أنفسهم، أو أنتم الذى خسروا أنفسهم^(١).

ومن خلال تلك النماذج من أول سورة الأنعام ما الذى وجدناه ؟

وجدنا الإمام النسفى يحاكى صاحبه الزمخشري فى كثير مما ذهب إليه فى مسائل النحو والإعراب، ومسائل اللغة، حتى الأسلوب، والكلمات، والصيغ، ولم يبق إلا أن يقول: قال الزمخشري، أو هذا ما ذهب إليه الزمخشري، والنص القرآنى بآياته المتعددة شاهد صدق على ذلك.

والحقيقة أن هذه المحاكاة لا تمثل عيباً يغض من شأن الإمام النسفى، فقد كان علماء السلف، يقتفى بعضهم أثر بعض، ويأخذ بعضهم من بعض، وذلك فى المسائل التى لا تحتل الخلاف، أو وجهات النظر، لصفاء نفوسهم، وقوة إيمانهم، وتعلقهم بالقرآن الكريم، فلم يكن السلفى يجد حرجاً فى أن ينقل المسألة بنصها عن سابقه، ما دامت المسألة واضحة وضوح الشمس، ولا تخضع لشيء من المباحكات اللفظية، أو وضع لفظ مكان لفظ، ولا يضيف إليه شيئاً ولا ينقص منه شيئاً.

ويمكن القول أنه: ليس عندهم عقد نفسية، ولا مركبات نقص، يلجأون من خلالها إلى التغيير والتبديل علاجاً لأنفسهم من العلل التى تنتابهم، وتغير من أنماط سلوكهم، من غير ما حاجة إلى التغيير والتبديل.

(١) النسفى: مدارك التنزيل ج٢ ص ٩، من الكشف ج٢ ص ٣٢٨، ٣٢٩.

والذى يعزز هذا الرأى هو أن الأمام النسفى ذو شخصية علمية مستقلة كل الاستقلال /
فليس فى تفسيره وفقاً على ما جاء فى تفسير سابقه الزمخشري ولذلك ترى له صورة واضحة
وبديعة يضيفها فى تفسيره ويستقل بها عن صاحبه.

وقراءة ثانية لهذه الآيات بعينها من سورة الأنعام، ليتجلى لك هذا الرأى:

- تفرد النسفى فى تفسير ﴿الحمد لله﴾ فى مطلع السورة فقال: ﴿الحمد لله﴾ تعميم فى اللفظ
والمعنى، مع تعريض الاستغناء، أى الحمد لله وإن لم تحمدوه^(١).

- ﴿بربهم يعدلون﴾ أى: يساوون به الأوثان، تقول: عدلت بذا، أى ساويت به، والباء فى
﴿بربهم﴾ صلة للعدل لا للكفر، أو ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه، أى يعرضون عنه /
فتكون الباء صلة للكفر، وصلة يعدلون، أى عنه محذوفة^(٢).

- ﴿هو الذى خلقكم من طين﴾ من لابتداء الغاية، أى: ابتداء خلق أصلكم، يعنى آدم منه^(٣).

- ﴿ولقد استهزئتم برسلى من قبلك﴾ (منهم) متعلق بسخروا، كقوله: ﴿فيسخرون منهم﴾
✓ (٣) والضمير للرسل، والدال مكسورة عند أبى عمرو وعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما
اتباعاً لضم التاء^(٤).

✓ ويعلل لذلك ابن أبى مريم فيقول: «وذلك لأنه اجتمع ساكنان، أحدهما الدال من (لقد) /
والثانى السين من (استهزئ) فكسرت الدال لالتقاء الساكنين^(٥).

- ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ قال النسفى: نصب على الذم أى: أريد الذين
خسروا أنفسهم ... قال الأخفش: الذين بدل من (كم) فى ليجمعنكم ، أى: ليجمعن هؤلاء

(١) النسفى: مدارك التنزيل ج٢ ص ٥.

(٢) نفسه: ٦.

(٣) التوبة ٧٩.

(٤) نفسه ج٢ ص ٨، قرأ أبو عمرو عاصم وحزمة فى الوصل بكسر الدال، والباقيون بالضم، كما فى غيث النفع فى
القراءات السبع للصفاقسى ص ٩٨، والشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج٢ ص ٢٢٥، وإتحاف فضلاء البشر
سابق ج٢ ص ٢٠٥.

(٥) ابن أبى مريم: الموضح فى القراءات - مرجع سابق، ج١ ص ٤٦٠.

المشركين الذى خسروا أنفسهم، والوجه هو الأول، وهو، النصب على الذم؛ لأن سيويه قال: لا يجوز مررت بى المسكين، ولا بك المسكين فتجعل المسكين بدلاً من الباء أو الكاف لأنهما فى غاية الوضوح، فلا يحتاجان إلى البدل والتفسير^(١).

ورأى الأخفش له فى معانى القرآن هكذا «وقال (كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم) فنصب لام (ليجمعنكم)، لأن معنى (كتب) كأنه قال (والله ليجمعنكم) ثم أبدل فقال: الذين خسروا أنفسهم، أى: ليجمعن الذين خسروا أنفسهم^(٢)».

وهكذا فإن الإمام النسفى لم ينقل من الكشاف نقلاً خالصاً، وإنما أخذ عنه، وأخذ عن غيره، فلم يكن واقفاً عليه وحده، وإنما كان يتردد على غيره من علماء النحو كسيويه والأخفش، ومن علماء القراءات، فيأخذ ما يراه نافعا للمقام الذى يتحدث عنه، وللآية أو الآيات التى يفسرها.

وسيطر من خلال هذا الفصل أن النحو المذكور فى (الكشاف)، وفى تفسير النسفى إنما هو نحو النحويين السابقين، أفاد به كل من المفسرين الكبارين.

ولكن من أين استقى الإمام الزمخشري مادته العلمية فى المسائل النحوية ؟

استقى الإمام الزمخشري مادته العلمية فى المسائل النحوية من المصادر النحوية، ولم يكن مقطوع الصلة بعلماء النحو الذين سبقوه، على اختلاف مداراسهم واتجاهاتهم، ففى قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قال الزمخشري، وتبعه النسفى: إن (أجل) مبتدأ، واخبر (عنده)، وقدم المبتدأ، وإن كان نكرة، واخبر ظرفاً، وحقه التأخير؛ لأنه تخصص بالصفة^(٣).

(١) النسفى: مدارك التنزيل ج٢ ص ٩.

(٢) الأخفش: سعيد بن مسعدة - معانى القرآن - عبد الأمير الورد - ج٢ ص ٤٨٢، ونقل هذا الرأى عن الأخفش أبو جعفر النحاسى فى إعراب القرآن ج٢ ص ٣٠٧، ومكى بن أبى طالب القيسى: مشكل إعراب القرآن ٢٤٧/١، وابن الأنبارى فى البيان ج١ ص ٣١٥، والعكبرى فى إملاء ما من به الرحمن ج١ ص ٢٣٦، وهؤلاء سبقوا النسفى/ وكذلك نقله أبو حيان فى البحر المحيط ج٤ ص ٨٣، وهو ممن جاءوا بعد النسفى.

وللنحويين في ذلك كلام كثير، يقول ابن مالك - رحمه الله تعالى -

وَخَبِرُوا بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْفٍ جَرٍّ . . . نَاوِينَ مَعْنِي كَانِينَ أَوْ اسْتَقَرَّ

فالخير عند النحاة على ضربين: مفرد، وجملة^(١)، ومنهم من جعل الخبر ثلاثة أنواع (مفرد - جملة - شبه جملة)، فالفريق الأول يرى أن شبه الجملة ليس قسماً مستقلاً، ويقدره بمفرد/ ومن هؤلاء: ابن السراج، والأخفش، وابن هشام وابن عصفور^(٢) ونسب هذا الرأي لسيويه.

ففي شبه الجملة إن قدرت (كائناً) كان من قبيل المفرد، وإن قدرت (استقر) كان من قبيل الجملة.

وقيل: إنه من قبيل الجملة، وأن كلا منهما متعلق بمحذوف هو فعل، والتقدير: زيد استقر عندك، أو يستقر عندك، أو في الدار، ونسب هذا إلى جمهور البصريين وإلى سيويه كذلك. ورجحه ابن الحاجب^(٣).

ويرى ابن عقيل: أنه متعلق بمحذوفك وذلك المحذوف واجب الحذف وقد صرح به شذوذاً كقول الشاعر (طويل)

لَكَ الْعِزُّ إِنْ مَوْلَاكَ عَزَّ وَإِنْ يَهْنُ . . . فَأَنْتَ لَدَيَّ بِحَبْوَةِ الْهُوِيِّ كَائِنٌ^(٤)

وأجازه ابن جني قائلاً: «إنه جائز لكونه أصلاً»^(٥)، وعليه فلا شذوذ في التصريح به^(٦).

(٣) اللسفي: ج ٢ ص ٦، والكشاف ج ٢ ص ٣٢٢.

(١) ابن جني: اللع في العريه - حسين شرف - عالم الكتب الأولى ١٩٧٩ ص ١١٠.

(٢) ابن السراج: الأصول في النحو ج ١ ص ٦٤، وابن هشام: أوضح المسالك ١/١٦٣، وابن عصفور: شرح الجمل ٣٤٥/١.

(٣) ابن عقيل: شرح الألفية - سابق ج ١ ص ٢١١، والسيوطي: جمع لهوامع ١/٩٧٨.

(٤) لم ينسب لأحد في مغني اللبيب ٤٤٦، وجمع لهوامع ج ١ ص ٩٨، والدرر اللوامع للشنقيطي ج ٢ ص ١٨ وفيه (الهون)، وموطن الشاهد (كائن) حيث صرح به وهو متعلق الظرف الواقع خيراً شذوذاً.

(٥) الشنقيطي: الدرر اللوامع سابق ج ٢ ص ٤٨.

(٦) للشيخ محمد محيي الدين تعليق سديد على رأي ابن جني في كتابة «منحه الجليل على شرح بن عقيل بهامش شرح ابن عقيل ج ١ ص ٢١٥، فليُنظر ثم.

وأما ظرف المكان الذى يقع خبراً، فللنحوين نظر طويل حوله، فهو يقع خبراً عن الجثة نحو: زيد عندك، وعن المعنى، نحو القتال عندك.

أما ظرف الزمان فيقع خبراً عن المعنى مثل: القتال يوم الجمعة أو فى يوم الجمعة ولا يقع خبراً عن الجثة مطلقاً عند جمهور النحاة، وأجازه بشرط الإفادة ابن مالك ووافقه ابن عقيل^(١).

لقد رأى النحاة أن الأصل فى المبتدأ أن يكون معرفة ليتمكن الحكم عليه، ولأن معنى النكرة غير معين، والإخبار عن غير المعين لا يفيد ما لم تحصل فائدة^(٢)، وتلك الفائدة يستدل عليها بالقرائن التى اصطلاح النحاة على تسميتها بمسوغات الابتداء بالنكرة، تجاوزت الثلاثين عند علماء النحو^(٣).

ومن ذلك:

- أن يتقدم الخبر عليها وهو ظرف أو جار ومجرور مثل: فى الدار رجل.
- أن يتقدم على النكرة استفهام، مثل: هل فتى فيكم؟
- أن يتقدم على النكرة نفي: مثل: ما أحد خير منك.
- أن توصف: مثل قوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾^(٤)
- أن تكون شرطاً: مثل: من يقيم أقم معه.
- أن تكون عامة مثل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٥).

وهكذا فإن المسائل النحوية التى وقف عندها الزمخشري سابقاً، والنسفى لاحقاً مسائل بحثها علماء النحو، وقالوا فيها كلاماً ما جديراً بالنظر والاعتبار، وأصبحت مسلمات قائمة على قواعد وأصول، تستمد بقاءها وقوتها من الشعر العربى القديم، ومن كتاب الله عز وجل الذى نزل بلغة العرب.

(١) ابن عقيل: السابق ج١ ص ٢١٤، والسيوطى: جمع الهوامع ج١ ص ٩٩.

(٢) الصبان: حاشية الصبان ج١ ص ٢٠٥.

(٣) ابن هشام: مغنى اللبيب ص ٤٦٧، والسيوطى: الأشباه والنظائر ج٢ ص ٦١ والأشمونى ٢٠٥/١، والنحو الوافى

عباس حسن - دار المعارف ج١ ص ٣٤٦ وما بعدها.

(٤) البقرة: ٢٢١.

(٥) آل عمران: ١٨٥.

غاية الأمر أن الإمام النسفى قد حاكى أستاذه الزمخشري فى المسائل النحوية بأعيانها// وبأسلوبها، شغفا بأستاذه، وتعلقاً به، وتأثراً بمنهجه وطريقته.

وهذا لا يعيب الرجل، ولا ينقص من قدره إذ له مع ذلك شخصيته المتفردة فى تفسيره، من إيجاز لما أورده أستاذه، وإضافته لبعض المسائل حيناً وإغفاله بعض المسائل حيناً آخر.

النموذج الثانى : من سورة التوبة :

- قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ 》.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ 》.

- ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ 》^(١).

وفىها أوجز النسفى ما ذهب إليه سابقه الزمخشري فى هذه النقاط:

١- ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ يقول: فيه بعث المؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار^(٢).

٢- ﴿الذين اتبعوه فى ساعة العسرة﴾ يقول: فى غزوة تبوك، ومعناه فى وقتها، والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق وكانوا فى عسرة من الظهر، يعتقب العسرة على بعير واحد. ومن الزاد: تزودوا التمر المدود، والشعير المسوس، وبلغت بهم الشدة، أن اقتسم التمرة اثنان، وربما مصها الجماعة، ليشربوا عليها الماء.

(١) التوبة: الايات ١١٧ - ١٢٠ .

(٢) النسفى: مدارك التنزيل ج٢ ص ٢١٣ الكشف ج٣ ص ١٠٠ .

ومن الماء، حتى نحروا الإبل، وعصروا كرشها وشربوه، فى شدة زمان من حمارة القيظ، ومن الجذب والقحط ^(١).

٣- ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ عن الثبات على الإيمان، أو عن اتباع الرسول فى تلك الغزوة، واخراج معه، وفى كاد ضمير الشأن، وهو كقولهم: ليس خلق الله مثله، أى: ليس الشأن خلق الله. ولم يصرح بأن هذا قول سيويه، وصرح به صاحب الكشف ^(٢).
و (يزيغ) بالياء لم يصرح الزمخشري بأنه لحمزة، وصرح به النسفى ^(٣).

٤- ﴿ثم تاب عليهم﴾ تكرار للتوكيد.

٥- ﴿إنه بهم رؤوف رحيم، وعلى الثلاثة﴾ ، أى: وتاب على الثلاثة، وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ^(٤)، وزاد النسفى: وهو عطف على النبى ^(٥).

٦- ﴿الذين خلفوا﴾ عن الغزو، وزاد الزمخشري فى (خلفوا) قيل عن أبى لبابة وأصحابه، حيث تيب عليهم، وقرئ (خلفوا) ^(٦) أى خلفوا الغازين بالمدينة، أو فسدوا من مخالفة، خلوف الفم، وقرأ أبو جعفر الصادق - رضى الله عنه - (خالفوا) ^(٧)، وقرأ الأعمش: (وعلى الثلاثة اخلفين) ^(٨).

٧- ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾، برحبها أى: مع سعتها، وهو مثل للحيرة فى أمرهم، كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرون فيه قلقاً وجزعاً.

٨- ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ أى: قلوبهم، لا يسمعا أنس ولا سرور؛ لأنها مرضت من فرط الوحشة والغم.

(١) النسفى: مدارك التنزيل جـ ٢ ص ٢١٣ الكشف جـ ٣ ص ١٠٢.

(٢) الزمخشري: الكشف جـ ٣ ص ١٠٢ من كتاب سيويه جـ ١ ص ٧٠.

(٣) النسفى: مدارك التنزيل جـ ٢ ص ٢١٤، والسبعة فى القراءات لابن مجاهد ٣١٩.

(٤) الطبرى: جامع البيان جـ ١١ ص ٤١، وابن هشام: السيرة النبوية - مكتبة التراث جـ ٤ ص ١٧٦.

(٥) النسفى: مدارك التنزيل جـ ٢ ص ٢١٤.

(٦) خلفوا بفتح الخاء واللام قرأها: عكرمة بن خالد وزر بن حبيس ورويت عن أبى عمرو، فى مختصر الشواذ لابن

خالويه ص ٦٠، والمحتسب لابن جنى جـ ١ ص ٣٠٥، والبحر المحيط لأبى حيان جـ ٥ ص ١١٠.

(٧) (خالفوا) أبو جعفر، وعبد الرحمن السلمى وجعفر بن محمد فى المختصر ٦٠، والمحتسب جـ ١ ص ٣٠٥، والبحر/ ١١٠.

(٨) البحر المحيط جـ ٥ ص ١١٠ للأعمش، وقال إنها على سبيل التفسير لأنها مخالفة للمصحف.

٩- ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره، ثم تاب عليهم بعد خمسين يوماً ﴿ليتوبوا﴾ ليكونوا من التوابين.

١٠- ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾ عن أبي بكر الوراق أنه قال: التوبة النصوح أن تضيق على التائب بما رحبت، وتضيق عليه نفسه، كتوبة هؤلاء الثلاثة^(١).
وزاد هنا الزمخشري زيادات كثيرة، وجد النسفى أنها تخل بمقام الإيجاز الذى التزمه فى تفسيره، فلم يذكرها.

١١- ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾، فى إيمانهم دون المنافقين، أو مع الذين لم يتخلفوا، أو مع الذين صدقوا فى دين الله نية وقولاً وعلماً.
وزاد النسفى: أن الآية تدل على أن الإجماع حجة، لأنه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم^(٢).

١٢- ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب...﴾، وقال النسفى: المراد بهذا النفى، أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يلقوه بأنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه^(٣).

١٣- ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب...﴾ يقول النسفى محاكاة للزمخشري: ذلك النهى عن التخلف، بسبب أنهم لا يصيبهم عطش، ولا تعب، ولا مجاعة فى الجهاد، ولا يدوسون مكاناً من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم، وأحفاف راحلهم وأرجلهم، يغيظ الكفار، أى: يفضيهم ويضيق صدورهم، ولا يصيبون منهم إصابة بقتل أو أسر أو جرح أو كسر أو هزيمة.

والموطن إما مصدر كالمرود، وإما مكان، فإن كان مكاناً فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه^(٤).

(١) النسفى: مدارك التنزيل ج٢ ص ٢١٤، من الكشف ج٣ ص ١٠٣، ١٠٤.

(٢) النسفى: نفسه ج٢ ص ٢١٤، والكشاف ج٣ ص ١٠٥.

(٣) نفسه ج٢ ص ٤١٥، الكشف ج٣ ص ١٠٥.

(٤) نفسه: ج٢ ص ٣١٥ مع الكشف ج٣ ص ١٠٦، ١٠٧.

﴿ولا ينفقون نفقة﴾ في سبيل الله، صغيرة ولو ثمرة، ولا كبيرة مثل ما أنفق عثمان رضى الله عنه في جيش العسرة^(١)، ﴿ولا يقطعون وادياً﴾ أى أرضاً في ذهابهم ومجئهم أو هو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منظر الليل وهو في الأصل فاعل من (ودى) إذا سأل، ومنه الودى، وقد شاع في الاستعمال بمعنى الأرض ﴿إلا كتب لهم﴾ من الإنفاق، وقطع الودى ﴿ليجزئهم الله﴾ متعلق - أى: أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء^(٢).
وزاد الزمخشري زيادات كثيرة في هذا الصدد لم يأخذ النسخة منها شيئاً إذ ذلك يتنافى مع منهجه في الإيجاز.

النموذج الثالث : من سورة هود :

- يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿الْأَرْكَانَ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ، ثُمَّ فَصَّلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ، أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ، وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَلَا إِنَّهُمْ يَشْتُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٣).

١- قال الزمخشري: ﴿أحكمت آياته﴾ نظمت نظاماً محكماً، لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم المرصف، ويجوز أن يكون نقلاً بالهمزة من ﴿حكم﴾ إذا صار حكيماً، أى: جعلت حكمه كقوله: ﴿آيات الكتاب الحكيم﴾^(٤)، وقيل: منعت من الفساد، من قولهم: أحكمت الدابة، إذا وضعت عليها الحكمة لئلا تمنعها من الجماع، قال جرير: (كامل).
ابني حنيفة أحكموا سفهاءكم إنني أخاف عليكم أن أغضب^(٥)

(١) في غزوة تبوك في العام التاسع من الهجرة: للمزيد الطبقات الكبرى لابن سعد - ج ٢ ص ٢٣٨، المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا اسماعيل بن كثير - تحقيق محمد زينهم - دار المعارف - القاهرة الأول ٩٩٩ ج ١ ص ١٨٥، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر، تحقيق: شوقي ضيف، دارالمعارف، الثانية ١٩٩١، ص ٢٣٨.

(٢) النسخة: مدار التنزيل ج ٢ ص ٤١٥ مع الكشف ج ٣ ص ١٠٧.

(٣) هود: الآيات من ١ - ٥.

(٤) لقمان: ٢.

(٥) ديوان جرير: تحقيق نعمان طه دار المعارف - الثالثة ١٩٨٦ ج ١ ص ٤٦٦، ولسان العرب (حكم).

وعن قتادة: أحكمت من الباطل (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص، أو جعلت مفصلة سورة سورة، وآية آية، أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة، أو فصل ما يحتاج إليه العباد، أى بين، وخص وقرئ: ﴿أحكمت آياته ثم فصلت﴾ أى: أحكمتها أنا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ﴿ثم فصلت﴾^(١) أى فرقت بين الحق والباطل.

فإن قلت: ما معنى ثم ؟

قلت: ليس معناها التراخى فى الوقت، ولكن فى الحال، كما تقول: هى محكمة أحسن الإحكام، ثم مفصلة أحسن التفصيل، وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل^(٢).

٢- ﴿الَّا تَعْبُدُوا﴾ مفعول له، على معنى، لئلا تعبدوا، أو تكون (أن) مفسرة؛ لأن فى تفصيل الآيات معنى القول، كأنه قيل: قال: لا تعبدوا إلا الله، أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله.

٣- ﴿وَأَن اسْتَغْفِرُوا﴾ أى أمركم بالتوحيد والاستغفار، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله، على لسان النبى ﷺ إغراءً منه على اختصاص الله بالعبادة، ويدل عليه قوله: ﴿إِنى لكم منه نذير وبشير﴾ كأنه قال: عبادة غير الله، إننى لكم منه نذير، كقوله ﴿فَضْرِب الرقاب﴾^(٣)، والضمير فى (منه) لله عز وجل، أى إننى لكم نذير وبشير من جهته، كقوله: ﴿رَسُول من الله﴾^(٤) أو هى صلة النذير: أى أنذركم منه، ومن عذابه إن كفرتم، وأبشركم بثوابه إن آمنتم.

فإن قلت: ما معنى (ثم) فى قوله: ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾، قلت: معناه استغفروا من الشرك، ثم ارجعوا إليه بالطاعة، أو استغفروا، والاستغفار توبة، ثم أخلصوا التوبة، واستقيموا عليها كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقامُوا﴾^(٥).

(١) بفتح الفاء والصاد قرأها عركة والضحاك والحجدرى وزيد بن على، وهى روايه عن اكثير كما فى مختصر الشواذ لابن خالويه ٦٣، والمحتسب ٣١٨/١، والبحر المحيط ٢٠٠/٥ وأعراب القراءات الشواذ للعكرى ج ١ ص ٦٥٤ وغيرها.

(٢) الكشف للزمخشرى: ج ٣ ص ١٨١.

(٣) محمد: ٤

(٤) البيهقى: ٢.

(٥) فصلت: ٣٠.

٤- ﴿يَتَعَكَّمُ﴾ يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، من عيشة واسعة ونعمة متتابعة.

٥- ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن يتوفاكم، كقوله ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(١).

٦- ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ ويعطى في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه، جزاء فضله، لا يبخل منه، أو فضلة في الثواب والدراجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات.

٧- ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، وإن تولوا ﴿عَذَابٌ يَوْمَ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة، وصف بالكبر، كما وصف بالعظم والثقل، وبين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم إلى من هو قادر على كل شيء فكان قادراً على أشد ما أراد من عذابهم لا يعجزه، وقرئ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ من ولى^(٢).

٨- ﴿يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ﴾ يزورون عن الحق، وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل على الشيء بإستقبله بصدوره، ومن أזור عنه، وانحرف ثنى عنه صدره أو طوى عنه كشحه.

٩- ﴿لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ﴾ يعنى: ويريدون ليستخفوا من الله، فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم، ونظير إضممار (يريدون) لقود المعنى إلى إضمماره في قوله تعالى: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾^(٣)، معناه: فضرب فانفلق، ومعنى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضاً، كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾^(٤)، ثم قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَعلنُونَ﴾ يعنى أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم، فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء، والله مطلع على ثيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم، ونفاقهم غير نافي عنده.

(١) التحل: ٩٧.

(٢) بضم التاء والواو واللام مشددة ابن محيصن في الاتحاف ١٢٢/٢، وعيسى واليماني والأعرج في مختصر ابن خالويه ٦٣، ٦٤، والبحر المحيط لأبى حيان ج ٥ ص ٢٠١، وأعراب القراءات الشواذ ١/٦٥٥.

(٣) الشعراء: ٦٣.

(٤) نوح: ٧.

روى أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وكان يظهر لرسول الله ﷺ الحجة، وله منطق حلو وحسن سياق، فكان يعجب رسول الله ﷺ مجالسته، ومحدثته، وهو يضمّر خلاف ما يظهر وقيل: نزلت في المنافقين^(١)، وقرئ: (تَنَوْنِي) صدورهم^(٢)، واثْنُونِي افْعُولُ مِنَ الشَّيْءِ، كاحْلُولِي من الخلاوة، وهو بناء مبالغة، قُرِئَ بالتاء والياء^(٣)، وعن ابن عباس: (تَنَوْنِي)، وقرئ (تَنُون) ^(٤) وأصله تَنَوْنَنَ تَفْعُولٌ مِنَ الثَّنِ، وهو ما هش وضعف من الكلأ، يريد مطاوعة صدورهم للشئ، كما ينشئ الهش من النبات أو أراد ضعف إيمانهم، ومرض قلوبهم، وقرئ (تَنِين) ^(٥) من اثْنَانِكَ (أَفْعَالٌ) منه، ثم همز كما قيل أَيْبَأْتُ، وأَذْهَمْتُ، وقرئ: (تَنَوْنِي) ^(٦) بوزن تَرَعَوْنِي ^(٧).

دور النسخ في الأخذ والاستفادة من الزمخشري في هذه الآيات:

لم يأخذ النسخي كل شيء، وإنما أوجز إيجازاً يتفق مع منهجه في التفسير، فقوله تعالى: ﴿الرَّكَابُ﴾ أي: هذا كتاب، فهو خبر مبتدأ محذوف ﴿أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ﴾ صفة له، أي نظمت تنظيمًا رصينًا محكمًا لا يقع فيه نقص، ولا خلل كالبناء المحكم.

- ﴿ثُمَّ فَصَّلْتُ﴾ كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص، أو جعلت فصولاً سورة سورة، وآية آية، أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة، أو فصل فيها مما يحتاج إليه العباد، أي بين وخلص.

- وليس معنى (ثم) التراخي في الوقت ولكن في الحال.

(١) النيسابوري: أسباب النزول - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - د.ت ص ٢٠١.

(٢) بناء مفتوحة وتاء ساكنة ونون مفتوحة وواو ساكنة ونون مكسورة ابن عباس في معاني القرآن للفراء ٣/٢، ومختصر ابن خالويه ٦١، وزاد في المحتسب ٣١٨/١، والبحر المحيط ٢٠٢/٥ يحيى بن يعمر والمجدري وأبارزين، والطبري ١٤/١١ الضحاك وفي معاني القرآن للأخفش ٥٧٤/٢ - قرأها الأعمش.

(٣) بالياء قرأها ابن عباس ومجاهد وابن يعمر وابن أبي اسحاق وأبو الأسود في البحر المحيط ٢٠٢/٥.

(٤) قرأها جعفر بن أبي المغيرة في مختصر الشواذ، ونسبت لابن عباس أيضاً في إعراب النحاس ٢٧٢/٢، والمحتسب ٣١٩/١، وتفسير القرطبي ج ٤ ص ٣٣٢٢، وزاد في البحر المحيط: عروة والأعشى، وابن أبي أزيى ٢٠٢/٥.

(٥) عروة والأعشى ومجاهد في المحتسب ٣١٩/١، وإعراب القراءات الشواذ ٦٤٥/١.

(٦) نسبها أبو حيان لابن عباس أيضاً ج ٥ ص ٢٠٢، وقال غلط أبو حاتم هذه القراءة.

(٧) الزمخشري: الكشاف ج ٣ ص ١٨١ - ١٨٣.

- ﴿مَنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ صفة أخرى لكتاب، أو خبر بعد خبر، أو صلة لأحكمت وفصلت: أى من عنده أحكامها تفصيلاً.
- ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ مفعول له، أى لئلا تعبدوا، أو (أن) مفسر؛ لأن فى تفصيل الآيات معنى القول، كأنه قيلك لا تعبدوا إلا الله وأمركم أن لا تعبدوا إلا الله.
- ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ أى: من الله ﴿وإن استغفروا ربكم﴾ أى أمركم بالتوحيد والاستغفار، ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ أى: استغفروه من الشرك، ثم ارجعوا إليه بالطاعة ﴿يُتَعَبَّكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ يطول نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة، ونعمة متتابعة.
- ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أى: إلى أن يتوفاكم، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ ويعطى فى الآخرة كل من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله، لا يخس منه شيئاً.
- ﴿وإن تَوَلَّوْا﴾، وإن تولوا، ﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ هو يوم القيامة.
- ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فكان قادراً على إعادتهم.
- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَمُنُّونَ بِصُدُورِهِمْ﴾ يَزُورُونَ عن الحق، ويحرفون عنه، لأن من أقبل على الشئ ٤ استقبله بصدوره، ومن أزور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كُشْحه.
- ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ ليطلبوا الخفاء من الله، فلا يطلع رسوله، والمؤمنين على أوزارهم.
- ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يغطون بها، أى يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع (كلام الله) كقول نوح عليه السلام: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾^(١).
- ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أى: لا تفاوت فى علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء، والله مطلع على ثيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافي عنده، وقيل نزلت فى المنافقين ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيه^(٢).

(١) نوح: ٧.

(٢) النسي: مدارك التنزيل ج٢ ص ٢٥٨، ٢٥٩.

والمسائل النحوية التي اتفق عليها المفسران الفاضلان: الزمخشري والنسفي

١- ثم: ومعناها التراخي في الوقت، وقد يكون معناها التراخي في الحال.

٢- تعدد الصفات.

٣- المفعول لأجله.

وسوف أستعرض أصول هذه المسائل في كتب النحو الأمهات، ليتضح إلى أى مدى كانت محاكاة النسفي لأستاذه الزمخشري.

أولاً: ثم:

ثم من حروف العطف ولها عدة معاني لدى النحاة والمفسرين على النحو الآتي:

١- أولاً: للاستبعاد:

والمقصود استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها، وعدم مناسبه له، وتارة يعبر عن هذا المعنى بتفاوت مرتبة ما بعدها عما قبلها^(١).

قال الرضي: «وقد تجيء في الجمل خاصة، لاستبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها، وعدم مناسبه له كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ﴾^(٢)، فالإشراك بخالق السموات والأرض مستبعد غير مناسب، وهذا المعنى فرع التراخي ومجازه^(٣)، ومثلها قوله ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾^(٤) وقال أيضاً: «لاستبعاد مضمون ما بعدها عما قبلها، فإن بين توبة العبد، وهي انقطاع العبد إليه بالكلية وبين طلب المغفرة بونا بعيداً»^(٥).

(١) محمد عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج٢ ص ١٠٢.

(٢) الأنعام: ١

(٣) الرضي: شرح الكافية تحقيق يوسف عمر - ج٤ ص ٣٨٩.

(٤) هود: ٣.

(٥) الرضي: شرح الكافية السابق ج٤ ص ٣٨٩.

ب - التراخي في الزمان والأحوال والأخبار:

- في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(١)، قال أبو حيان: «ثم: للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الأحوال»^(٢).

- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٣)، قال القرطبي: «هذا يدل على أنهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر والآيات وذلك أعظم جرمهم»^(٤).

- وكذلك في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٥)، قال أبو حيان: «أتى بلفظ (ثم) التي هي للمهلة تعظيماً لهذا القول، وإذا انتفى هذا القول بعد المهلة كان انتفاؤه بدونها أولى وأحرى»^(٦).

- وفي قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَلَئِنْ يُقَاتِلْوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ﴾^(٧)، قال الزمخشري: «للتراخي في الأخبار، والتراخي في المرتبة؛ لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليهم الأدبار»^(٨).

ج - الترتيب الذكري من غير اعتبار التراخي والمهلة فلا تفيد أن الثاني بعد الأول بل ربما يكون قبله:

قال الرضي: «قد تجيء ثم مجرد الترتيب في الذكر، والتدرج في درج الارتقاء من دون اعتبار التراخي، والبعد بين تلك الدرج، ولا أن الثاني بعد الأول في الزمان بل ربما يكون قبله كقوله: (خفيف).

إِنَّ مَن سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ . . . ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ^(٩)

(١) الحج: ٣٣.

(٢) أبو حيان البحر المحيط ٦/٣٦٨.

(٣) البقرة: ٩٢.

(٤) القرطبي: الهامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٢٩.

(٥) آل عمران: ٧٩.

(٦) أبو حيان: البحر المحيط ٤/٥٠٤.

(٧) آل عمران: ١١١.

(٨) الزمخشري: الكشاف ج ١ ص ٦١٠.

(٩) لأبي نواس في رصف المياني للمالقي ١٧٤، والجنى الداني للمرادى ٤٢٨، ومغنى اللبيب ١٢٥، وجمع الهوامع

١٣١/٢، والأشعوني ١٧٤/٣، والخزانة ٤٠/١١. والرضي: شرح الكافية ٤/٣٩٠.

ثم بمعنى الواو:

اختلف النحاة في مجئ ثم بمعنى الواو، فقد أجازوه الفراء^(١)، وقطرب كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(٢)، وكذلك الأخفش^(٣) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾^(٤)، ووافقهم أبو حيان^(٥) في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾^(٦).

ورفض ذلك جمهور النحاة من البصريين وتأولوا ما سبق بما يخرجها عن معنى الواو^(٧).

التكرار على سبيل التوكيد:

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٨) قال أبو حيان^(٩): «كررت هذه الجملة على سبيل التوكيد في هذه الصفات، ولا ينافي التوكيد العطف بشم، فهو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾^(١٠).

وكان الرضى^(١١) قد قال مثل ذلك: «وقد تكون (ثم) والفاء مجرد التدرج وإن لم يكن الثانى مترتباً فى الذكر على الأول، وذلك إذا تكرر الأول بلفظه مثل «وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين»^(١٢).

(١) المرادى: الجنى الدانى ٤٢٧ ومغنى اللبى ١١٧، ومعانى القرآن للفراء ٤١٥/٢.

(٢) الزمر: ٦.

(٣) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص ٢٦٨٦ وج٨ ص ٧١٦١.

(٤) الأعراف: ١١.

(٥) أبو حيان: البحر المحيط ج٢ ص ٩٩، ومثلها ج٤ ص ٢٧٢.

(٦) الزمخشري: الكشاف ج١ ص ٤١٢.

(٧) المائلى: رصف المباني ١٧٤، والمرادى ٤٢٦، ومغنى اللبيب ١١٦.

(٨) المائدة: ٩٣.

(٩) البحر المحيط ج٤ ص ١١٦، ج٢ ص ٥٠٨.

(١٠) التكاثر: ٣: ٤.

(١١) الرضى: شرح الكافية ج٤ ٤٩٠.

(١٢) الانفطار: ١٧، ١٨.

العطف بضم على جملة محذوفة:

أجاز بعض النحاة العطف بضم على جملة محذوفة يدل عليها السياق مثل قوله تعالى: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ، ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١) عطف على كلام محذوف يدل عليه السياق «والتقدير: نهلك الأمم ثم ننجي»^(٢).

زيادة ثم:

يرى الأخفش والكوفيون زيادة (ثم) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾^(٣) ولم يوافق على ذلك جمهور النحاة من البصريين وغيرهم^(٤).

ثم للاستئناف:

أجاز بعض النحاة ومنهم المالقي وأبو حيان مجيء ثم للاستئناف وما بعدها جملة مستأنفة  مثل ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾^(٥).

وكذلك قوله: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ الصُّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾^(٦)، يقول أبو حيان: «وهذه الجملة مستأنفة أي ثم هم يقولون بعد، وهي إخبار من الله تعالى بتوليهم»^(٧).

وقد تفرد النسفي باعتبار (ثم) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُولُوكُمْ الَّادْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾^(٨)، للاستئناف حيث قال: «هو ابتداء إخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء».

(١) يونس: ١٠٢، ١٠٣.

(٢) الزمخشري: الكشف ١٧٧/٣، والبحر المحيط ٥٩٤/٥، والعكبري: إملاء ما من به الرحمن ٢٧/١.

(٣) التوبة: ١١٨.

(٤) ابن يعيش: شرح المفصل ٩٦/٨، والرضي ٣٩٢/٤، ومغنى اللبيب ١١٧، والبحر المحيط ١١٠/٥.

(٥) الأنعام: ٦٤.

(٦) المائدة: ٤٣.

(٧) البحر المحيط: ٤٩٠/٣، ووصف المباني للمقالى ١٧٥، والجنى الدانى ٤٢٥ وخزانة الادب ٤٠/١١.

(٨) آل عمران: ١١١.

وليس بمعطوف على (يولوكم) إذا لو كان معطوفاً عليه ل قيل: ثم لا ينصرون، وإنما استؤنف ليؤذن أن الله لا ينصرهم، قاتلوا أو لم يقاتلوا، وتقدير الكلام: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون^(١).

وإذا أضيف إلى ذلك أن القرآن الكريم هو المصدر الأول الذي اعتمد عليه واضعوا النحو أدركنا قيمة إمام فذ كالإمام الزمخشري في توظيف المسائل والمعاني النحوية، وهو بصدد تفسيره في الكشف، وأدركنا كذلك إلى أى مدى كان النسخى على صواب فى اقتفاء أثر الزمخشري فى هذه المعانى والمسائل دون أن تذوب شخصيته العلمية المتميزة كما أسلفنا.

ويمكن القول مع بعض الباحثين المعاصرين أن الزمخشري قد اهتم بالنظرية القاعدية فى كتابة «المفصل فى علم العربية» وهو من مصنفات النحو التعليمى الذى يهتم بمسائل النحو لمعرفة أحكام التراكيب وبنية المفردات^(٢).

كما أنه اهتم بالنظرية التطبيقية الإعرابية فى تفسير الكشف واقتفى أثره الإمام النسخى.

٢ - عطف الصفات وتعدد ها :

ولعلماء النحو ومنهم الزمخشري باع طويل فى هذه المسألة، واشترط أبو حيان فى عطف الصفات أن تختلف مدلولاتها^(٣)، وقال ابن عصفور: «ولا يجوز عطف بعض النعوت على بعض حتى تختلف معانيها»^(٤)، ولا يجوز العطف إلا (بالواو) عند أبى حيان ووافق السهيلي وابن خروف^(٥)، «وإنما يجوز العطف لاختلاف المعانى، لأنه حينئذ ينزل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات فيصح العطف»^(٦) وفيما يلى استعراض موجز لهذا البحث فى مصنفات التراث النحوى وبيان موقف النسخى فى ذلك.

(١) اللسخى: مدارك التنزيل ج١ ص ٢٦٤.

(٢) محمد عبادة: النحو التعليمى فى التراث العربى: منشأة المعارف بالاسكندرية - الأولى ١٩٨٦ ص ٥٧، ٥٨.

(٣) أبو حيان البحر المحيط ج٥ ص ١٠٤.

(٤) ابن عصفور: القرب ص ٣٠٢.

(٥) السيوطى: همع الهوامع ١١٩/٢.

(٦) السيوطى: همع الهوامع ١٢٠/٢.

١- يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يَمْدُدَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنْ مُّسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَآمِنَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثِيَابٍ وَأَبْكَارًا﴾^(١).

قال النحاس: «كله نعت لأزواج، وأبكاراً عطف داخل في النعت أيضاً»^(٢). ويقول الزمخشري: «فإن قلت: لم أخلت الصفات كلها عن العاطف، ووسط بين الثياب والأبكار؟ قلت: لأنهما صفتان متافيتان، لا تجمعن فيها اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن يد من الواو»^(٣).

وقال أبو حيان: «وهذه الصفات تجتمع، وأما الثبوبة والبكارة فلا تجمعان، فلذلك عطف أحدهما على الآخر، ولو لم يأت بالواو لاختل المعنى»^(٤). ولم يخرج النسفي عن هذا الإجماع فقال: «إنما وسط العاطف بين الثياب والأبكار دون سائر الصفات؛ لأنهما متافيتان بخلاف سائر الصفات»^(٥).

٢- يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾^(٦).

قال النحاس: «عطف كله»^(٧)، وقال الزمخشري: «الواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها»^(٨)، وجاء في البحر المحيط «وهذه الأوصاف الخمسة هي لموصوف واحد، وهم المؤمنون، وعطفت بالواو، ولم تتبع دون عطف، لتباين كل صفة من صفته إذ ليست في معنى واحد، فينزل تغاير الصفات وتباينها منزلة تغاير الذوات فعطفت»^(٩).

(١) التحريم: ٥.

(٢) النحاس: إعراب القرآن ٤/٤٦٢.

(٣) الزمخشري: الكشاف ٦/١٦٠.

(٤) أبو حيان: البحر المحيط ج ٨ ص ٢٩٢، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري ٢/١٤٠.

(٥) النسفي: مدارك التنزيل ج ٤ ص ٣٦٩.

(٦) آل عمران: ١٧.

(٧) النحاس: إعراب القرآن ج ٣ ص ٣٦١.

(٨) الزمخشري: الكشاف ج ١ ص ٥٣٤.

(٩) أبو حيان: البحر المحيط ج ٢ ص ٤٠٠.

وأضاف النسفي: «وللإشعار بأن كل صفة مستقلة»^(١).

٣- يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ
الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾^(٢).

قال الفراء: «استؤنف بالرفع لتمام الآية قبلها وانقطاع الكلام، فحسن الاستئناف، وهي في
قراءة عبد الله ﴿التائبين العابدين﴾^(٣) في موضع خفض؛ لأنه نعت للمؤمنين به اشترى من
المؤمنين التائبين»^(٤).

وقال أبو حيان: «الصفات إذا تكررت، وكانت للمدح أو الذم أو الترحم جاز فيها الاتباع
للمنعوت، والقطع في كلها أو بعضها، وإذا تباين حال الوصفين جاز العطف، ولما كان الأمر
مباين للنهي، إذا الأمر طلب فعل، والنهي طلب ترك فعل، فحسن العطف في قوله:
(والناهون)^(٥).

وقال النسفي: ودخلت الواو للإشعار بأن السبعة عقد تام، أو لتضاد بين الأمر والنهي»^(٦).

٤- يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٧)، جاء في البحر
الخط: «وانتصب (المقيمين) على المدح، وارتفع (المؤتون) أيضاً على إضمار (هم) على
سبيل القطع إلى الرفع، ولا يجوز أن يعطف على المرفوع قبله؛ لأن المنعوت إذا انقطع في شيء
منه لم يعد ما بعده إلى إعراب المنعوت، وهذا القطع لبيان فضل الصلاة والزكاة، فكثير
الوصف بأن جعل في جمل»^(٨).

(١) النسفي: مدارك التنزيل ج ١ ص ٢٢٦.

(٢) التوبة: ١١٢.

(٣) قرأها عبد الله بن مسعود في مختصر ابن خالويه ص ١٦٠ والمحاسب لابن جلي ٣٠٤/١.

(٤) الفراء: معاني القرآن ج ١ ص ٤٥٣ والنحاس ج ٢ ص ٤٣٨.

(٥) البحر المحيط: ج ٥ / ١٠٤، والبيان في أعراب القرآن ٤٠٦/١.

(٦) النسفي: مدارك التنزيل ٢١٢/٢.

(٧) النساء: ١٦٢.

(٨) البحر المحيط: ج ٣ / ٣٩٥، والبيان لابن الانباري ٢٧٥/١، وإملأ من به الرحمن ١٢/١ والكشاف ١٧٨/٢.

والقرب لابن عصفور ٣٠٣ ومع الهوامع للسيوطي ١١٩/١.

ففى النموذج الأول لم يخرج النسخى عن إجماع السابقين أو اللاحقين، ويضيف معنى جديداً للتوجيه النحوى فى النموذجين الثانى والثالث، مما يدل على تميز وشخصية علمية مستقلة استوعبت ما استطاعت من معارف عن السابقين وصهرتها فى بوتقة واحدة فكان هذا التفسير الموجز، وعلى وجازته فقد احتوى توجيهات سديدة للأوجه النحوية مما يدل على تمكن النسخى فى ذلك.

٢- المفعول لأجله :

- عرف النحاة المفعول لأجله بأنه المصدر المذكور علة لحدث شاركه فى الزمان والفاعل ^(١) ومن شروطه عندهم:
- أن يكون مصدراً خلافاً ليونس.
 - أن يكون معللاً ومن أفعال النفس الباطنة.
 - المشاركة فى الوقت والفاعل.
 - أن يكون نكرة عند المبرد والجرمى والرياشى ورده الجمهور ^(٢).

أما عامله، فيتفق الزجاج مع النحويين فى تسميته بالمفعول له، وأنه يفيد التعليل، وأنه على تقدير اللام، ولكنه يخالفهم فى عامله، إذا جعل العامل فعلاً محذوفاً من لفظ المصدر، فيكون إعرابه كإعراب المفعول المطلق، ولقد سار على هذا فى كثير من الآيات فى كتابه (معانى القرآن) ومن ذلك قوله تعالى:

- ﴿بَغِيًّا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ﴾ ^(٣) حيث قال: «ونصب بغياً مصدراً ومفعولاً له، كما تقول: فعلت ذلك حذر الشر، أى لحذر الشر، كأنك قلت: حذرتُ حذراً ومثله من الشعر قول الشاعر (طويل)
- وَأَعْرِضْ عَوْدَاءَ الْكَرِيمِ إِذْ خَارَهُ . . . وَأَعْرِضْ عَنْ شَتَمِ السَّيِّئِ تَكْرَمًا ^(٤)

(١) ابن النظم: شرح الألفية ص ٢٧١.

(٢) السيوطى: همع الهوامع ١/١٩٤.

(٣) البقرة: ٩٠.

(٤) لحاتم الطائى فى الكتاب لسبويه ج ١ ص ٣٦٨، ج ٢ ص ١٢٦، والمقتضب للمبرد ٢/٣٤٨، والجمل للزجاجى ج ١ ص ٣١٠، والأصول لآبى السراج ج ١ ص ٢٠٧ والأشمونى ج ٢ ص ١٨٩، وشرح التصريح ١/٣٩٢.

فالمعنى: أغفر عوراء الكرم لادخاره، وأعرض عن شتم اللئيم للتكريم، وكأنه قال: أدخر الكرم ادخاراً، وأتكرم على اللئيم تكهماً؛ لأن قوله (وأغفر عوراء الكرم) معناه أدخر الكرم^(١).

قال الرضى: المفعول لأجله هو المفعول المطلق عند الزجاج^(٢).

وقد ذكر البغدادى أن المبرد جعله من باب المفعول المطلق كذلك، والتقدير عنده أى: أدخره ادخاراً، وأتكرم تكهماً^(٣).

ويرى أبو حيان: أنه إذا اجتمعت شروط المفعول لأجله، فلا يعدل عن إعرابه إلى إعرابه حالاً، ولو كان نكرة؛ لأن وقوع المصدر حالاً لا ينقاس ففى قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٤)، قال أبو حيان: «حسداً: مفعول لأجله، وجوزوا أن يكون حالاً، وضعف بأن جعل المصدر حالاً لا ينقاس، والأول أظهر؛ لأنه اجتمعت فيه شروط المفعول لأجله^(٥) وقال مكى والنحاس «مصدر»^(٦)، وقال الفراء: «انقطع الكلام ثم قال: (حسداً) فالمفسر لم ينصب على أنه نعت للكفار، إنما هو كقولك للرجل: هو يريد بك الشر حسداً وبغياً»^(٧).

وقال النسفى: «حسداً مفعول له، أى لأجل الحسد، وهو الأسف على الخير عند الغير»^(٨).

مما سبق يتعين أنه ليس هناك إجماع من النحويين على أساليب يتعين منها أن تكون مفعولاً لأجله، ولا يجوز فيها المصدرية أو الحالية.

(١) معانى القرآن للزجاج ج ١ ص ١٧٣.

(٢) الرضى: شرح الكافية ج ١ ص ٥٠٨.

(٣) البغدادى: خزانة الأدب ج ٣ ص ١٢٢.

(٤) البقرة: ١٠٩.

(٥) البحر المحيط ج ١ ص ٣٤٨.

(٦) اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٥٦، ومشكل إعراب القرآن لمكى ج ١ ص ٦٨.

(٧) معانى القرآن للفراء ج ١ ص ٧٣.

(٨) النسفى: مدارك التنزيل ١/١١٧.

- وفي قوله تعالى: ﴿أَحِلُّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْسَّيَّارَةِ﴾^(١)، فمتاعاً عند أبي جعفر النحاس «منصوب على أنه مصدر، لأن معنى أحل لكم هذا متعم به متاعاً»^(٢) أو مفعولاً لأجله^(٣)، قال النسفي: «مفعول له أى أحل لكم تمتعاً لكم»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ حَبِّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ، فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾^(٥)، ففضلاً مفعول له أو مصدر^(٦)، قال النحاس «قال أبو إسحاق: فضلاً مفعول من أجله، أى للفضل»^(٧).

وقال النسفي: «الفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام، والانتصاب على المفعول له أى حبيب وكره للفضل والنعمة»^(٨).

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ تَقَاتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾^(٩)، (شهوة) عند بعض النحاة «مصدر في موضع الحال، أو مفعول لأجله»^(١٠).

قال النسفي: «مفعول له أى للاستشياء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة»^(١١).

وهكذا فقد اختار النسفي توجيهاً نحويّاً واحداً وفقاً لمنهجه في الإيجاز، وكما هو واضح فهذه الوجوه تناولها النحاة والمفسرون في مصنفاتهم قبل الزمخشري وبعده.

(١) المائدة: ٩٦.

(٢) إعراب القرآن ج ٢، ٤٢، ومكي شكل إعراب القرآن ٤٦١١.

(٣) الكشف ٢٩٧/٢، وإملا ما من به الرحمن للعكبري ١٢٧/١، والبحر المحيط ٢٣/٤.

(٤) النسفي: مدارك التنزيل ٤٣٧/١.

(٥) الحجرات: ٨، ٧.

(٦) ابن الأنباري: البين ج ٢ ص ٣٨٣ والعكبري إملاء ما من به الرحمن ١٢٦/٢، والبحر ١١٠/٨، ١١١.

(٧) النحاس: إعراب القرآن ج ٤ ص ٢١١.

(٨) النسفي: مدارك التنزيل ٢٤٨/٤.

(٩) الأعراف: ٨١.

(١٠) العكبري: إملاء ما من به الرحمن ١٥٥/١، والبحر المحيط ٣٣٤/٤.

(١١) النسفي: مدارك التنزيل ج ٢ ص ٩٩.

النموذج الرابع : من سورة يوسف :

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ، إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ، قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَعَلِّلِينَ ، إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْسَنَا مَنْ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝ (١) .

يحاكي النسفي أستاذه الزمخشري في اللغة والنحو والأسلوب، ولكن كعادته في الإيجاز مع حفاظه على استقلال شخصيته العلمية فيما يختار ويتقن، ويحذف ويبقى، ويقطع ويوصل / وغرضه بيان وتوضيح النص المعجز.

١- ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يقول الرجلان: تلك إشارة إلى آيات هذه السورة / والكتاب المبين السورة، أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة، آيات الظاهر أمرها في إعجاز العرب، أو التي تبين لمن يتدبرها أنها من عند الله، لا من عند البشر، أو الواضحة التي لا تشبه على العرب معانيها، لنزولها بلسانها أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام، فقد روى أن علماء اليهود قالوا للمشركين: سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام؟ (٢) .

(١) يوسف: الآيات من ١ - ١٠ .

(٢) الديسابوري: أسباب النزول ص ٢٠٤، والطبري: جامع البيان ج ١٢ ص ٩٠ .

- ﴿نا أنزلناه قرآنًا عربيًّا﴾، أى: أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف عليه السلام فى حال كونه قرآنًا عربيًّا، وسمى بعض القرآن قرآنًا؛ لأنه اسم جنس، يقع على كله وبعضه.

واسترسل الزمخشري فى مفهوم القصص: فذهب إلى أنه علي وجهين: يكون مصدرًا بمعنى الاقتصاص، تقول: قص الحديث يقصه قصصًا، كقولك: شله يشله شللاً إذا طرده.

ويعملون فعلاً بمعنى مفعول، كالنقص والحسب، ونحوه؛ النبأ والخبر فى معنى النبأ به/ والخبر به.

ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر، كاخلق والصيد، وإن أريد المصدر، فمعناه: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا إليك هذا القرآن)، أى: بإيحائنا إليك هذه السورة.

على أن يكون أحسن منصوباً نصب المصدر؛ لإضافته إليه، ويكون المقصود محذوفاً؛ لأن قوله: (بما أوحينا إليك) هذا القرآن مغن عنه، ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص، كأنه قيل: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص بإيحائنا إليك، والمراد بأحسن الاقتصاص أنه بـ (نقص) على أبدع طريقه، وأعجب أسلوب^(١).

فلخص النسفى ما استرسل فيه الزمخشري، وكان يزيد نتيلاً من هنا ونتفاً من هناك لتدل على استقلال شخصيته فى التفسير، وأنه لا يكتفى بالأخذ والمحاكاة من مثل قوله: «القاص: هو الذى يأتى بالقصة على حقيقتها عن الزجاج»^(٢).

- ﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ فقالوا: (إن) مخففة من الثقيلة، واللام فارقه بينها وبين النافية، يعنى: وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الجاهلين به^(٣).

- ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت﴾ وفيها يقول النسفى: (إذ قال) بدل اشتمال من أحسن القصص؛ لأن الوقت مشتمل على القصص، أو التقدير اذكر.

(١) الزمخشري: الكشف ج٣ ص ٢٥٠.

(٢) النسفى: مدارك التنزيل ج٣ ص ٣٠٣ نقلاً عن الزجاج من معانى القرآن ج٣ ص ٨٨.

(٣) النسفى: نفسه ج٢ ص ٣٠٣ مع الكشف ج٣ ص ٢٥١.

- ﴿يوسف﴾ اسم عبراني لا عربي، إذ لو كان عربياً لانصرف غلوه عن سبب آخر سوى التصريف.

- ﴿يا أَيْتَ﴾ أبت شامي^(١)، وهي تاء التانيث، عوضت عن ياء الإضافة لتناسبهما؛ لأن كل واحدة زائدة في آخر الاسم، ولهذا قلبت هاء في الوقف، وجاز إلحاق تاء التانيث بالمذكر، كما في (رجل ربعة)، وكسرت التاء، لتدل على الياء المحذوفة، ومن فتح التاء، فقد حذف الألف من: يا أَيْتَا، واستبقى الفتحة قبلها^(٢)، كما فعل من حذف الياء في: يا غلام^(٣).

وزاد الزمخشري في هذا المقام زيادة لم يشر إليها النسفي؛ لأنها تخرج به عن مقام الإيجاز. وهي تدخل في بناء مسائل النحو واللغة والقراءات، وفيها يقول الزمخشري: فإن قلت: فما تقول، فيمن قرأ (يوسف) بكسر السين، أو يوسف بفتحها^(٤)؟ هل يجوز على قراءته أن يقال: هو عربي؛ لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف، وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل؟.

قلت: لا؛ لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية، فلا تكون عربية تارة، وأعجمية تارة أخرى، ونحو يوسف: يونس، رويت فيه هذه اللغات الثلاث^(٥)، ولا يقال: هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع بوزن (آنس) و(أنس).

- وقرئ (إني رأيتُ) بتحريك الياء^(٦)، وأحد عشر بسكون العين^(٧)، تخفيفاً لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد، وكذا إلى تسعة عشر إلا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان^(٨).

(١) قراءة السبعة ما عدا ابن عامر، في السبعة لابن مجاهد ٣٤٤٠، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ١٠٣، ١٠٤.

(٢) ابن عامر وحده في جميع القرآن كما في السبعة ٣٤٤، وغيث النفع للصفاقسي ١٤٦.

(٣) النسفي: مدارك التنزيل ج ٢ ص ٢٠٣.

(٤) بالكسر قرأ طلحة وابن وثاب كما في مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٦٦، وبالفتح الحسن في إعراب النحاس ج ١/٥٠٦، وكذلك النخعي وابن وثاب في البحر المحيط ج ٣ ص ٣٩٧.

(٥) حكى العكبري في إعراب القراءات الشواذ أن فيها ست لغات ج ١ ص ٦٧٩.

(٦) يزيد بن القعقاع في مختصر الشواذ ص ٦٧، والبحر المحيط ٢٧٩/٥، وهو الأصل في ياء المتكلم.

(٧) أبو حنفي في المحتسب ٣٣٢/١، والاتحاف ١٤٠/٢ ومعاني الأخفش ٥٨٧/٢، وطلحة في البحر المحيط ٢٧٩/٩.

(٨) الزمخشري: الكشاف ج ٢٥٤، وهو رأى الفراء في معاني القرآن ج ٢ ص ٣٢، ٣٣، ٣٤.

- فإن قلت: ما معنى تكرار رأيت؟ قلت: ليس بتكرار، إنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله: إني رأيت أحد عشر كوكبا: كيف رأيتها؟ سائلاً عن حال رؤيتها، فقال: (رأيتهم لى ساجدين) ^(١).

- ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ يقول الإمام النسفى محاكياً الزمخشري فى الكشف: ومثل ذلك الاجتباء الذى دلت عليه رؤياك (يجتبيك ربك) يصطفيك والاجتباء والاصطفاء، افتعال من جَبَبْتُ الشئ إذا حصلته لنفسك وجَبَبْتُ الماء فى الحوض جمعته، و(يعلمك) كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه، كأنه قيل: وهو يعلمك (من تأويل الأحاديث) أى تأويل الرؤيا وتأويلها عبارتها وتفسيرها، وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا، أو تأويل أحاديث الأنبياء، وكتب الله، وهو اسم جمع للحديث، وليس بجمع أحداثثة، (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب) بأن وصل له نعمة الدنيا بنعمة الآخرة، أى جعلهم أنبياء فى الدنيا وملوكاً، ونقلهم عنها إلى الدرجات العلا فى الجنة، وآل يعقوب أهله وهم نسله، وأصل آل (أهل) بدليل تصغيره على (أهل) إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر، يقال: آل النبی، وآل الملك، ولا يقال: آل الحجام، ولكن أهله، (كما أتمها على أبويك من قبل) أراد الجدد، وأبا الجدد (إبراهيم وإسحاق) عطف بيان لأبوك (إن ربك عليم) يعلم من يحق له الاجتباء، (حكيم) يضع الأشياء فى مواضعها ^(٢).

- ﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ أى فى قصتهم وحديثهم، (آيات) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته فى كل شئ (آية) مكى ^(٣)، (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم، وعرفها أو آيات على نبوة محمد ﷺ، للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم من دون سماع من أحد، ولا قراءة كتاب.

- ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا﴾ اللام لام الابتداء وفيها تأكيد، وتحقيق لمضمون الجملة، أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه

(١) الزمخشري: الكشف جـ ٣ ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) النسفى: مدارك التنزيل جـ ٢ ص ٣٠٥.

(٣) ابن كثير فى السبعة ص ٣٤٤، وأبو عمرو الدانى / التيسير ١٠٤.

وانما قيل: أحب في الاثنين؛ لأن أفعل مما لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه، ولا بين المذكر والمؤنث، ولا بد من الفرق مع لام التعريف، وإذا أضيف ساغ الأمران، الواو في (ونحن عصبه) للحال، أى أنه يفضلهما في المحبة علينا، وهما صغيران لا كفاية فيهما، ونحن عشرة رجال كفاة، نقوم بمرافقه، فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما، (إن أبانا لفي ضلال مبين) غلط في تدبير أمر الدنيا، ولو وصفوه بالغلاة في الدين لكفروا، وهذا من إضافات النسفى.

- ﴿اقتلوا يوسف﴾ من جملة ما حكى بعد قوله: (إذ قالوا) كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال: لا تقتلوا يوسف، وقيل الأمر بالقتل شمعون، والباقرن كانوا راضين، فجعلوا أمرين، (أو اطرحوه أرضاً) منكورة مجهولة بعيدة عن العمران، وهو معنى تنكيرها، وإخلائها عن الوصف؛ ولهذا الإبهام نصبت نصب الظروف المبهمة، (يخل لكم وجه أيبكم) يقبل عليكم إقبالة واحدة؛ لا يلتفت عنكم إلى غيركم، والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركون فيها، فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم؛ لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه، وجاز أن يراد بالوجه الذات، كما قال: (ويبقى وجه ربك) ^(١)، (وتكونوا) مجزوم عطفاً على (يخل لكم)، (من بعده) من بعد يوسف، أى من بعد كفايته بالقتل، أو التغريب أو من بعد قتله، أو طرحه، فيرجع الضمير إلى مصدر (اقتلوا) أو (اطرحوا)، (قوماً صالحين) تائبين إلى الله مما جنبتم عليه، أو يصلح حالكم عند أيبكم.

- ﴿قال قائل منهم﴾ وهو يهوذا، وكان أحسنهم فيه رأياً (لا تقتلوا يوسف) فإن القتل عظيم (وألقيوه في غيابة الجب) في قعر البئر، وما غاب منه عن عين الناظر «غيابات»، وكذا ما بعده مدني ^(٢)، (يلتقطه بعض السيارة) بعض الأقوام الذين يسرون في الطريق (إن كنتم فاعلين) به شيئاً ^(٣).

أما المسائل النحوية والصرفية التي أفادها العالمان الجليلان من علماء النحو واللغة فتتلخص من خلال تلك الآيات في هذه المسائل:

(١) الرحمن: ٢٧.

(٢) قرأ نافع وحده (غيابات) جمعاً، والباقرن (غيابت) واحدة، السبعة ٣٤٥.

(٣) النسفى: مدارك التنزيل ج ٣ ص ٣٠٥، ٣٠٦ مع الكشف ج ٣ ص ٢٥٧، ٢٥٨.

- ١ - القصص، مصدر بمعنى الاقتصاص، ويكون فعلاً بمعنى مفعول، أو من تسمية المفعول بالمصدر.
- ٢ - اللام تأتي فارقة بين (إن) المخففة والنافية.
- ٣ - يوسف اسم أعجمي لا ينصرف.
- ٤ - المنادى المضاف إلى ياء المتكلم في (يا أبت) ويا غلام.
- ٥ - لام الابتداء في (ليوسف).
- ٦ - واو الحال في (ونحن عصبه).
- ٧ - عطف الفعل على الفعل.

وفيما يلي عرض موجز للجذور النحوية لأربعة من هذه المسائل على الوجه التالي:

أ - إن المخففة من الثقيلة:

يقول أبو على الفارسي في المسائل العضديات ^(١): «إن المكسورة الخفيفة على أربعة أضرب:

- ١ - أحدها: المخففة من التشديد مثل قوله: ﴿إِنْ كَدَتْ لَتُرْدِينَ﴾ ^(٢) فاللام الداخلة على قوله (لتردين) فإنها تلحق (إن) هذه المخففة من الشديدة لتفصل بينها وبين النافية التي في نحو قوله: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ^(٣)، ومن باب (إن) المخففة قوله: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ^(٤) فاللام قد فصلت بينهما وبين النافية، لأن التي للنفي لا تلحقها اللام، فتخلص بلحاق هذه اللام معها أنها المخففة من الشديدة ومعناها التوكيد والتحقيق.

- ٢ - الضرب الثاني من ضروب (إن) أن تكون للجزاء في نحو: إن يكرمنى أكرمه. و﴿إِنْ يَنْتَهَوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ^(٥).

(١) نسبة إلى عضد الدولة البويهى ت٣٤٨هـ وقد كان تلميذاً لأبى على فى النحو.

(٢) الصافات: ٥٦.

(٣) الملك: ٢٠.

(٤) الزخرف: ٣٥.

(٥) الأنفال: ٣٨.

٣ - والضرب الثالث: أن تكون للنفي كقوله: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾^(١).

٤ - والرابع: أن تكون زائدة (كذا) كالتى فى قوله: (وافر)

وما إِنَّ طَبَنَّا جُبْنَ وَلَكِنْ . . . مَنَّا يَنَا وَدَوْلَةُ آخِرِينَ^(٢)

فهذه زيادة^(٣).

- ✓ والنافية تأتى بمعنى (ما) الحجازية، لأنه لا فصل بينها وبين (ما) النافية فى المعنى^(٤) /
✓ وللنحاة فى عملها عمل (ليس) رأيان: إلحاقها (بليس) فى العمل إذا كانت مثلها فى المعنى /
✓ فرفعوا بها الاسم، ونصب الخبر مثل: «ما هذا بشراً»^(٥)، «وما هن أمهاتهم»^(٦)، وهذه لغة أهل
الحجاز، وهو رأى الكسائى والمبرد^(٧)، والثانى أنها لا تعمل على لغة بنى تميم لعدم اختصاصها
بالأسماء، وهو القياس وكذلك رأى سيويه والقراء^(٨).

وقال عبد القاهر الجرجانى: «وقد يكون دخول لام الابتداء واجباً فى خبر (إنّ) وذلك إذا خففت وأهملت كقولك: إن زيد لمنطلق، فإن مخففة من المثقلة أهمل عملها، وزيد: اسم (إنّ) النافية على خبر (إنّ)، وإذا خففت (إنّ) وأعملت، نحو: إنّ زيدا قائم، فلا يجب دخول اللام فى الخبر لعدم الالتباس»^(٩).

وفى دقة وإيجاز وبصيرة وتمكن يقول النسفى قوله تعالى: «وما هن أمهاتهم» أمهاتهم المفضل^(١٠)، فالأول حجازى، والثانى تميمى^(١١).

(١) الملك: ٢٠.

(٢) لفروة بن سليك فى الكتاب لسيبويه ٥٣/٣ والمقتضب ٥١/١ والأصول لابن السراج ٢٣٦/١ وغيرها.

(٣) أبو على الفارسى: المسائل المضديات - على جابر النصورى عالم الكتب، الأولى ١٩٨٦ ص ٦٩: ٧٠.

(٤) الأزهية فى علم الحروف للهروى ص ٤٥.

(٥) يوسف: ٣١.

(٦) المجادلة: ٢.

(٧) الأزهية فى علم الحروف ٤٦، ورأى الكسائى فى معانى القرآن له ص ١٦٩ وإعراب النحاس ٣٢٨/٢.

(٨) الكتاب ج ٣/١٥٣ - ١٥٤، والأزهية ٤٦، والجنى الدانى: ٢٠٧، ووصف المبانى ١٠٤.

(٩) عبد القاهر الجرجانى: العوامل النحوية بشرح خالد الأزهرى، سابق، ص ٩٠.

(١٠) هو المفضل الضبى عالم الكوفة المشهور صاحب المفضليات وهو من رواة عاصم ت ١٦٨، السبعة لابن

مجاهد ٩٦ و ٦٢٨.

(١١) النسفى: مدارك التنزيل ج ٤ ص ٣٤١.

ومن هؤلاء وغيرهم من النحاة الذين سبقوا الزمخشري والنسفي استقى كلاهما مادته النحوية ومباحثه اللغوية، وفضل السبق والتصنيف في اللغة ومباحثها يكون للزمخشري عن النسفي بلا منازع، وكذلك النحاة المتأخرون^(١).

ب - المنادى المضاف إلى ياء المتكلم:

ينقسم المنادى المضاف إلى ياء المتكلم عند النحاة خمسة أقسام:

١ - ما فيه لغة واحدة، وهي ثبوت ياء المتكلم المضاف إليها مفتوحة وجوباً، إذا كان المنادى المضاف معتل الآخر بالألف مثل قوله تعالى: ﴿يَا بَشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ﴾^(٢) في قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر يفتح الياء وإثبات الألف^(٣).

٢ - ما فيه لغتان، هما ثبوت الياء إما مفتوحة أو ساكنة إذا كان المضاف إلى الياء وصفاً مشبهاً للمضارع في كونه بمعنى الحال أو الاستقبال مثل «يا مجيرى ويا منصفى».

٣ - ما فيه ثلاث لغات وهي الفتح أو الكسر أو السكون، وذلك إذا كان في آخر المضاف إلى الياء ياء مشددة مثل: (بُنَى) تصغير ابن ففي آخره ياءان، ياء التصغير، وياء هي لام الكلمة مقلوبة عن الواو إذ الأصل: (بُنْيُو) فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وعند إضافة هذه الكلمة إلى ياء المتكلم تجمع ثلاث ياءات: المشددة - ياء الإضافة - فيقال: يا بُنَى، يا بُنَى، يا بُنَى^(٤).

وقد قرأ ابن كثير، وقيل عن نافع «يَابُنَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ»^(٥) بوقف الياء^(٦)، وقرأ ابن كثير وقيل وأبو بكر بن عياش (يَابُنَى أَقِمِ الصَّلَاةَ)^(٧) بالكسر^(٨)، وقرأ أبو عمرو وابن عامر

(١) كابن هشام في المغنى ص ٢٢: ٢٧، والمالقي في رصف المباني ١٠٤، والمرادى في الجنى ٢٠٧.

(٢) يوسف: ١٩.

(٣) السبعة لابن مجاهد ٣٤٧، والحجة في القراءات لأبي زرعة ص ٣٥٧، والكشف لمكي ٧/٢ وغيرها.

(٤) أسرارالنساء في القرآن الكريم: إبراهيم حسن إبراهيم - مطبعة الفجالة الجديدة، الأولى ١٩٧٨ ص ٤١، ٤٢، وشرح الرضى للكافية ٣٨٩/١.

(٥) لقمان: ١٣.

(٦) السبعة لابن مجاهد ٥١٢ والتيسير لأبي عمرو ص ١٤٣، وغيث النفعى للصفافسى ص ٢٢٤ وحجة أبي زرعة.

(٧) لقمان: ١٧.

(٨) السبعة لابن مجاهد ٥١٢، ٥١٣، والتيسير لأبي عمرو ص ١٤٣، وغيث النفعى ص ٢٢٤.

وحمزة والكسائي، وحفص عن عاصم بالفتح كقوله تعالى: ﴿يَابُنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾^(١) وكذلك في الآيتين السابقتين^(٢).

٤ - ما فيه ست لغات، وذلك إذا كان المضاف إلى ياء المتكلم غير ما تقدم، وليس كلمة (أب) أو (أم) وأولى هذه اللغات وأجودها حذف ياء المتكلم كما في قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ﴾^(٣)، والثانية إثبات الياء ساكنة كقراءة أبي عمرو (يا عبادي فاتقون)^(٤)، والثالثة إثبات الياء مفتوحة كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٥)، والرابعة: قلب ياء المتكلم ألفاً بعد قلب كسرة المناسبة قبلها فتحة كقوله تعالى: ﴿قَالَ: يَا وَيْلَتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾^(٦)، ومثله: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ: يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ﴾^(٧)، والخامسة: حذف الألف المنقلبة عن ياء المتكلم والاجتزاء عنها بالفتحة كقراءة ابن عباس (يا حسرة على العباد)^(٨) بغير تنوين^(٩)، عند ابن خالويه والأخفش والمازني والفارسي ومنعه الجمهور^(١٠)، والسادسة: حذف ياء المتكلم والاكتفاء من الإضافة بنيتها وضم الاسم المضاف إلى الياء كما يضم المنادى المفرد كقراءة ابن محيصن (يا قوم) في سبعة وأربعين موضعاً^(١١) منها قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمُ إِنِّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾^(١٢).

(١) لقمان: ١٦.

(٢) السبعة لابن مجاهد ٥١٣، والحجة في القراءات لأبي زرعة ص ٥٦٤، ٥٦٥ والمقتضب ٤/٢٤٩.

(٣) الزمر: ١٦.

(٤) في رواية رويس محمد بن المتوكل ت ٢٣٨ هـ في النشر ج ٢ ص ٣٦٢، واتحاف فضلاء البشر ٢/٤٢٨.

(٥) الزمر: ٥٣.

(٦) المائدة: ٣١.

(٧) يوسف: ٨٤.

(٨) يس: ٣٠.

(٩) مختصر الشواذ لابن خالويه ١٢٥، وزاد في المحتسب الضحاك وعلي بن مجاهد مضافاً ج ٢ ص ٢٠٨.

(١٠) البحر المحيط ٣٣٢/٧، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٦٥٤/٣، وأسرار النداء في القرآن ص ٤٤، ومعاني القرآن

للفراء ٣٧٥/٢.

(١١) أتحاف فضلاء البشر ج ١/ ٣٩١.

(١٢) البقرة: ٥٤.

الخامس: ما فيه عشر لغات إذا كان المنادى المضاف إلى الياء (الأب أو الأم) ففيه اللغات الست المتقدمة وأربع لغات أخرى:

٧ - يا أبت فعند البصريين أبدلت تاء التانيث من ياء المتكلم في الأصل: يا أبى وقال الكوفيون / التاء للتانيث وياء الإضافة مقدرة بعدها ^(١).

وقد جاء في القرآن (يا أبت) في ثمانية مواضع ^(٢).

٨ - يا أبت ويا أمت. وهو الأقيس؛ لأن التاء بدل من ياء حركتها الفتح فتحريكها بالحركة أصلها هو الأصل في القياس وبه قرأ ابن عامر في القرآن كله ^(٣).

٩ - يا أبت بضم التاء وأجازه الفراء وأبو جعفر وسيبويه ومنعه الزجاج ^(٤).

وإعراب المنادى في اللغتين الأخيرتين منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل التاء منع ظهورها اشتغال بالفتحة لأجل التاء.

١٠ - يا أبتا ويا أمتا بالجمع بين التاء والألف في الضرورة ^(٥).

وقد أشار النسفي إلى القسم الثالث وهو ما فيه ثلاث لغات في سورة لقمان ^(٦)، والأول عند قوله تعالى: ﴿قال: يا بشرأي هذا غلام﴾ ^(٧).

واو المال :

تقع الجملة الخبرية حالاً لتضمنها معنى الوصف، كما تقع نعتاً وخبراً، ولا بد في الجملة الحالية من ضمير يربطها بصاحبها، أو (واو) تقوم مقام الضمير ^(٨).

(١) شرح الكافية للرصني جـ ١/٣٩١.

(٢) الآيات ٤، ١٠٠ من يوسف، وفي مريم ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، و٢٦ من القصص وفي الصافات ١٠٢.

(٣) السبعة لابن مجاهد ٤٤٤.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣٢/٢، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٣١/٢، والكتاب ٣١٧/١، ومعاني القرآن للزجاج ٩٠/٣.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٨٩/٣، وشرح التصريح على التوضيح ١٧٨/٢.

(٦) النسفي: مدارك التنزيل ٤٠٦/٣.

(٧) نفسه: جـ ٢ ص ٣٠٩.

(٨) ابن الناظم: شرح الألفية ٣٣٦.

قال ابن هشام: «واو الحال الداخلة على الجملة الاسمية نحو: جاء زيد والشمس طالعة وتسمى واو الابتداء، ويقدرها سبويه والأقدمون (بإذ)، ولا يريدون أنها بمعناها إذ لا يرادف الحرف الاسم ومن أمثلة دخولها على الجملة الفعلية: (طويل)

بأيدي رجالٍ لم يشيُموا سيوفهم . . . ولم تكثُر القَتَلَى بها حين سلَّتْ^(١)
ولو قدرت عاطفة لفسد المعنى وانقلب المدح ذماً^(٢).

ومن دخولها على الجملة الاسمية قول رسول الله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»^(٣).

وتكون هذه الواو لازمة إذا كانت الجملة فعلية ذات فعل مضارع مقرون بقدر مثل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾^(٤).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾^(٦) مستأنفة أو حالية^(٧).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطَ، وَامْرَأَتَهُ قَائِمَةً﴾^(٨).
قال العكبري: «وامرأته قائمة حال من ضمير (أرسلنا)^(٩)، ومثله قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾^(١٠).

(١) للفرزدق في لسان العرب (شيم) والانصاف ٦٦٧، وابن يعيش ٦٧/٢ وغيرها.

(٢) ابن هشام: مغنى اللبيب ص ٣٦٠، ٤١١.

(٣) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي، كما في تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن أبي الدبيع ج ٢ ص ٦١.

(٤) الصف: ٥.

(٥) البقرة: ٣٠ والبحر المحيط ١/١٤٣.

(٦) النساء: ١٦٦.

(٧) العكبري: إملاء ما من به الرحمن ١/١١٤.

(٨) هود: ٧٠ - ٧١.

(٩) إملاء ما من به الرحمن ٢/٢٢.

(١٠) الأنفال: ٥.

وقال النسفي في بعض هذه الآيات: «الواو في (ونحن نسبح) للحال كما تقول أتحنن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان»^(١)، وقال: «وقد تعلمون» في موضع الحال أى لم تؤذوننى عالمين علماً يقيناً أنى رسول الله اليكم»^(٢)، ثم قال: «وان فريقاً من المؤمنين لكارهون، في موضع الحال، أى: أخرجك في حال كراحتهم»^(٣).

د - عطف الفعل على الفعل:

أجاز النحاة عطف الفعل على الفعل وإن اختلف زمنهما، فأجازوا عطف الماضى على المضارع كما فى قوله تعالى عن فرعون «يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار»^(٤)، وكذلك المضارع على الماضى مطلق «إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ»^(٥).

✓ قال النسفي فى الآية الأولى منهما: «وجى يلفظ الماضى؛ لأن الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به، فكأنه قيل: يقدمهم فيوردهم النار لا محالة»^(٦)، لكنه قال فى الثانية: «وهم يصدون للحال»^(٧).

والنسفي يجيز عطف الفعل على الفعل كما فى قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٨)، فقال هى (عطف على: ﴿يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾^(٩)،^(١٠) ومثلها: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاجِكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍ﴾^(١١)، قال

(١) النسفي: مدارك التنزيل ج١/٧٩.

(٢) نفسه: ج٤/٣٦٩.

(٣) نفسه: ج٢/١٣٦.

(٤) هود: ٩٨.

(٥) الحج: ٢٥ وينظر: الرضى: شرح الكافية ٢/٣٩٤، والسيوطى: مع الهوامع ٢/١٤٠.

(٦) النسفي: مدارك التنزيل ج٢ ص ٢٩٢.

(٧) النسفي: مدارك التنزيل ج٣ ص ١٤٩.

(٨) الصافات: ٥٠.

(٩) الصافات: ٤٥.

(١٠) النسفي: نفسه ج٤ ص ٣٣ والبحر المحيط ٧/٣٦٠.

(١١) آل عمران: ١٥٢.

موافقا للزمخشري^(١) ، «فأثابكم عطف على (صَرَفَكُمْ) في الآية السابقة وهي قوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾»^(٢).

وجاء في البحر «وفيه بُعد لطول الفصل بين المتعاطفين، والذي يظهر أنه معطوف على (تصعدون ولا تلوون) لأنه مضارع في معنى الماضي؛ لأن (إِذْ) تصرف المضارع إلى الماضي»^(٣). وقد أخذ النسفي من مصادر متعددة منها:

- ١ - التبيان في علوم القرآن للعكبري المعروف بإملاء ما من به الرحمن^(٤).
- ٢ - الكتاب لسيبويه^(٥).
- ٣ - معاني القرآن للزجاج^(٦).
- ٤ - معاني القرآن للفراء^(٧).

بخلاف كتب القه والتفسير والقراءات مثل:

- ١ - الإيجاز والإعجاز لمحمد بن داود الظاهري ت ٢٩٧.
- ٢ - شرح تأويلات أهل السنة لمحمد بن محمد أبو منصور الماتريدي ت ٣٣٣.
- ٣ - الكشف للزمخشري.
- ٤ - اللباب في تهذيب الأنساب لعلي بن محمد بن الأثير الجزري وغيرها.

(١) الكشف ج ١ ص ٦٤١.

(٢) آل عمران: ١٥٢.

(٣) البحر المحيط: ٨٤/٣.

(٤) النسفي مدارك التنزيل ٣/٣٥٦، من إملاء ما من به الرحمن ج ٢ ص ١٨٠.

(٥) النسفي: مدارك التنزيل ج ٤ ص ٢٩٧ من الكتاب ٤/٢٣٩ - ٢٤٠ وغيرها.

(٦) النسفي: مدارك التنزيل ج ١ ص ١٩٠ من معاني القرآن للزجاج ١/٣٢١ وغيرها.

(٧) النسفي: مدارك التنزيل ج ٤ ص ٤٥٩ من معاني القرآن للفراء ج ٣ ص ٢٠٧ وغيرها.

الخاتمة

يعد تفسير الإمام النسفى من التفاسير العلمية المحررة، ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، والناظر فى هذا التفسير يجد فيه فهماً واعياً وخبرة دقيقة وإطلاعاً واسعاً، وحسن استفادة من هذا الإطلاع.

فالنسفى يذكر مجموعة من الآيات الكريمة، تمثل موقفاً مترابطاً، ويهرع إلى الكشف وصاحبه، فيستعين بفكره وأسلوبه فى هذا الموقف ملتزماً بالإيجاز الذى لا يخل بمجال التفسير، واقفاً عند مسائل اللغة والنحو والصرف، بما يتطلبه المقام الذى يجلى المعنى، ويقربه إلى نفوس الخاصة والعامة، وكما قال فى مقدمته «ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل».

وكان النسفى أراد لتفسيره أن يقرأه خاصة الناس الذين يرغبون فى الإيجاز ولا يأنسون إلى التطويل، وعامة الناس الذين يتوقون إلى الفهم وإدراك المعانى القرآنية، من أقرب الطرق وصولاً إلى عقولهم المتواضعة، فتشيع فائدة هذا التفسير، وتنتشر جدواه بين المسلمين^(١)، وكان هؤلاء العلماء لا يأنفون من الأخذ، مادام الأخذ موصولاً إلى الغاية النبيلة، وهى إدراك المعانى القرآنية، وفهم كتاب الله العزيز.

والزمخشرى نفسه يستفيد بنظرية النظم التى أسس قواعدها وفلسفها الإمام عبد القاهر الجرجانى فى كتابيه الراندين: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وطبقها تطبيقاً راعياً فى تفسيره الذى يأخذ صفة التفسير البلاغى بين كتب التفسير^(٢).

وبهذا التركيز أخذ النسفى عن الزمخشرى ولم يفض فى مسائل اللغة والنحو والصرف كما أفاض الزمخشرى، وليس هذا عن جهل بهذه المسائل؛ لأن الذى يعرض لتفسير القرآن لا بد أن يكون عالماً باللغة والنحو والصرف وغيرها^(٣)، إنما هو منهج ارتضاه الرجل لنفسه فى التفسير، منهج الإيجاز الذى يبين، أو منهج البيان الذى يوجز، فلا يكون هناك خلل فى الفهم، ولا إبهام فى المعنى، بل وضوح وكشف وجلاء.

(١) ولذلك قرر الأزهر تدريس هذا التفسير المختصر لطلاب المرحلة الثانوية.

(٢) فتحى أحمد عامر: بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ - منشأة المعارف، الاسكندرية، الأولى ١٩٨٣، ص ١٨٠.

(٣) أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين - دار الفد العرى - الثانية ١٩٨٦ ج ١ ص ٢٩.

وإذا كان النسخى لم يذكر الزمخشري أو كتابه إلا قليلاً فهذا منهجه مع جميع المصادر التي أخذ عنها.

وقد استفاد النسخى من تفسير البيضاوى وكشاف الزمخشري فأخذ من الأول معناه الدقيق وفهمه الواعى وتوجيهه السديد وإيجازه المركز وأخذ من الثانى خبرته الواسعة باللغة ومناقشاته للآراء المتعددة واختيار ما يراه ومع ذلك لم يقع فيما وقع فيه الزمخشري من تعصب لمذهب المعتزلة بل انتصر لمذهب السنة والجماعة.

وقد التزم النسخى فى تفسيره بما ذكره فى مقدمته فجاء كتابه «وسطا فى التأويلات جامعاً لوجوه الإعراب والقراءات» وإن لم يتوسع فى وجوه الإعراب ولم يدخل فى تفصيلات فرعية تشتت الذهن وتبعد القارئ عن الجوهر القرآنى.

أما القراءات القرآنية فقد كان النسخى إماماً بصيراً بها رواية ودراية، فقد استند إلى الضوابط التى اعتمد عليها مصنفوا القراءات فى مصنفاتهم وهى: موافقة الرسم وصحة السند وموافقته العربية ولو بوجه

وقد أورد النسخى فى تفسيره قدراً كبيراً من القراءات المتواترة سبعة أو عشرية وكذلك من القراءات الشاذة، ناسباً كل قراءة إلى قارئها غالباً دون خلط أو غفلة.

وقد كان النسخى بصيراً بالقراءات القرآنية وتخريجها من حيث اللغة تخريجاً يدل على أنه متمكن من أدواته اللغوية والقراءات، ويمكن القول أنه بالإضافة إلى كونه مفسراً فهو لغوى بصير بالقراءات.

وقد جمع النسخى فى تفسيره الكثير من الوجوه الإعرابية للعديد من القراءات القرآنية سواء أكانت متواترة أم شاذة مستنداً فى ذلك إلى خبرة لغوية نافذة وبصيرة بالقراءات ثاقبة ويدل على ذلك أنه قد عارض الزمخشري فيما ادعاه من تفرد حمزة بقراءة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة الأنفال: ٥٩.

ولم يتابع النسخى النحاة كثيراً فى رفضهم لبعض القراءات القرآنية ولم يطعن على قراءة سبعة طعناً مثيلاً كما فعل بعض النحاة كالمبرد مثلاً أو ابن الأنبارى وغيرهم، لكنه جاراهم فى الانتصار للقاعدة التى تمنع عطف الاسم الظاهر المجرور على المضمحل المجرور دون إعادة العامل وهو حرف الجر فى قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ النساء: ١، فى قراءة حمزة بجر الأرحام.

وانتصر النسخى للعديد من القراءات القرآنية المتواترة التى ضعفها بعض النحاة فى عدة مستويات: صوتية وصرفية ونحوية ومن ذلك (همزة) (ضغزى) و(برينة) - (ونبى) فى المستوى الأولى وهذه القراءات قد رفضها بعض النحاة كما سبق.

وفى المستوى الصرفى انتصر النسخى لقراءات متواترة كقراءة نافع. فى جمع معيشة على معاش بالهمزة فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً﴾ الأعراف: ١٠.

وقد حظى المستوى النحوى بجهد أكبر من ضوابط التوجيه التى ارتضاها النسخى للقراءات القرآنية المتواترة خلافاً لبعض النحاة ومن ذلك: الفصل بين المتضامين كما فى قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لَكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾ فى قراءة عبد الله بن عامر وكذلك جواز مجيء ميم العدد المركب اسماً مفرداً كما فى قراءة حمزة والكسائى لقوله: ﴿ثَلَاثَةَ سِنِينَ﴾ الكهف: ٢٥، ومن ذلك أيضاً جواز مجيء جملة الحال وفعلها ماض غير مسبوقه لقد كما فى قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صَدُورُهُمْ أَنْ يِقَاتِلُوكُمْ﴾.

وهكذا فإن النسخى رحمه الله تعالى - بصير بأدوات المفسر وآداب التفسير فقد كان مفسراً فقيهاً قارئاً نحوياً من الطراز الأول. فجازه الله خيراً عما بذله ونسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا - إنه نعم المولى ونعم النصير.

وبالله التوفيق...

قائمة المصادر والمراجع

- ١ - اختلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة: للزبيدي: تحقيق طارق الجنابى، عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٩٨٧.
- ٢ - تحاف فضلاء البشر بمعرفة القراءات الأربعة عشر: للدمايطى، تحقيق شعبان إسماعيل/ الكليات الأزهرية، الأولى ١٩٨٧.
- ٣ - الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة التراث القاهرة، الأولى ١٩٦٧.
- ٤ - إحياء علوم الدين للغزالي، دار الغد العربى بالقاهرة، الثانية ١٩٨٦.
- ٥ - إحياء النحو: إبراهيم مصطفى، القاهرة، الأولى ١٩٥٥.
- ٦ - أدب الكاتب لابن قتيبة: تحقيق على قاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ٧ - ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى: تحقيق مصطفى النماس، مكتبة الخانجي، القاهرة، الأولى سنة ١٩٨٩.
- ٨ - الأزهية فى علم الحروف للهروى: تحقيق عبد المعين الملوحي: مجمع اللغة العربية بدمشق/ الأولى سنة ١٩٩٣.
- ٩ - الأساليب الإنشائية فى النحو العربى: عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، الثالثة، ١٩٨١.
- ٩ - أساس البلاغة للزمخشري: لجنة تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ الأولى، ١٩٨٥.
- ١٠ - أسباب النزول للنيسابورى، مكتبة الثقافة الإسلامية بالقاهرة، د.ت.
- ١١ - الاستشهاد والاحتجاج باللغة: محمد عيد، عالم الكتب، الثالثة، ١٩٨٨.
- ١٢ - أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الأولى ١٩٩١.
- ١٣ - أسرار العربية لابن الانبارى: تحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقى بدمشق، ١٩٥٧.
- ١٤ - أسرار النداء فى القرآن الكريم: حسن إبراهيم حسن، الفجالة الجديدة، الأولى ١٩٧٨.

- ١٥- أسس علم اللغة - ماريوباي - ترجمة أحمد مختار عمر - عالم الكتب، الثانية ١٩٨٧.
- ١٦- الأشباه والنظائر للسيوطي: تحقيق طه عبد الرؤوف، دار الكتب العلمية - بيروت / الأولى، ١٩٨٨.
- ١٧- الاصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني طبع كلكتا، الهند ١٨٥٣هـ.
- ١٨- إصلاح المنطق لابن السكيت - تحقيق أحمد شاکر وعبد السلام هارون - دار المعارف / القاهرة، الرابعة ١٩٨٧.
- ١٩- الأصوات فى رواية حفص عن عاصم: أحمد أبو الخير - المكتبة الفنية، القاهرة / الأولى، سنة ١٩٨٩.
- ٢٠- أصول تراثية فى علم اللغة: كريم زكى حسام الدين - مكتبة الأنجلو المصرية - الثالثة / سنة ١٩٨٣.
- ٢١- الأصول فى النحو لابن السراج: تحقيق عبد الحسين الفتلى - مؤسسة الرسالة، الثالثة، سنة ١٩٨٨.
- ٢٢- الأضداد لابن الأنبارى: محمد بن القاسم: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الكويت - الأولى سنة ١٩٦٠.
- ٢٣- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه - مكتبة المتنبى، القاهرة، د.ت.
- ٢٤- إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه: تحقيق عبد الرحمن العثيمين، اخفانجى / القاهرة، الأولى ١٩٩٢.
- ٢٥- إعراب القرآن المنسوب للزجاج: تحقيق إبراهيم الأنبارى، دارالكتب الإسلامية، الأولى / سنة ١٩٨٨.
- ٢٦- إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس، تحقيق زهير غازى سلطان، عالم الكتب، بيروت، الثالثة، سنة ١٩٨٨.
- ٢٧- الإعلال والإبدال فى الكلمة العربية: شعبان صلاح - دار الثقافة العربية، القاهرة، الأولى / سنة ١٩٨٩.

- ٢٨- الأفعال للسرقسطى: تحقيق حسين شرف، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الثانية ١٩٩٢.
- ٢٩- الاقتراح فى علم أصول النحو للسيوطى: تحقيق أحمد قاسم - المجلد العربى - القاهرة، الأولى، ١٩٧٦.
- ٣٠- الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسى: تحقيق مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الأولى، ١٩٨٣.
- ٣١- الأمالى الشجرية لابن الشجرى: دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الهند، الأولى ١٣٤٩هـ.
- ٣٢- الأمالى النحوية لابن الحاجب: تحقيق فخر قدارة، عمان، الأردن، ١٩٨٩.
- ٣٣- إملاء ما من به الرحمن فى إعراب القرآن للعكبرى - إبراهيم عطوة - دارالحديث - القاهرة، د.ت.
- ٣٤- إنباه الرواة على إنباه النحاة للقفطى: تحقيق محمد أبو الفضل، دار الفكر العربى، الثانية ١٩٨٢.
- ٣٥- الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الإنبارى: تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، الأولى ١٩٥٥.
- ٣٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٩٨٨.
- ٣٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصارى - تحقيق حنا فاخورى، دار الجيل، بيروت، الأولى ١٩٩٥.
- ٣٨- الإيضاح فى شرح المفصل لابن الحاجب: تحقيق موسى بنائى العليلى - الرشيد - بغداد، الأولى، ١٩٧٣.
- ٣٩- البحر المحيطة لأبى حيان الأندلسى: دار الكتاب الإسلامى - القاهرة - الثانية ١٩٩٢.
- ٤٠- البرهان فى تجويد القرآن للمغربى: تحقيق محمد أبو الفضل - دار الفكر العربى - الأولى، سنة ١٩٥٥.
- ٤١- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى: محمد أبو الفضل - دار الكتب - القاهرة، ١٩٦٤.

- ٤٢- بصائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزى: تحقيق محمد على النجار، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ت.
- ٤٣- البلغة فى المذكر والمؤنث لابن الإنبارى كمال الدين: تحقيق رمضان عبد التواب وآخرين، الخانجى، الثانية ١٩٩٦.
- ٤٤- بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ: فتحى أحمد عامر - منشأة المعارف، الاسكندرية، الأولى ١٩٨٣.
- ٤٥- البيان فى غريب إعراب القرآن لابن الإنبارى: تحقيق: حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الأولى، سنة ١٩٨٠.
- ٤٦- التأنيث فى اللغة: إبراهيم بركات، دار الوفاء بالمنصورة، الأولى ١٩٨٨.
- ٤٧- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: تحقيق السيد أحمد صقر، التراث، القاهرة، الثانية، ١٩٧٣.
- ٤٨- تاج التراجم فيمن صنف من الحنفية لابن قطوبا الحنفى: تحقيق إبراهيم صالح، دار المأمون، دمشق، الأولى ١٤١٢هـ.
- ٤٩- تاج العروس من جواهر القاموس للفيروزى: دار الفكر، القاهرة، د.ت.
- ٥٠- تاريخ الأدب العربى، كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرين، دار المعارف بالقاهرة، الثانية ١٩٨٦.
- ٥١- التبيان فى إعراب القرآن: إملاء ما من به الرحمن للعبرى، المكتبة التوفيقية، القاهرة، سنة ١٩٨٩، «نسخة أخرى من الإملاء» السابقة برقم (٣٣).
- ٥٢- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب فى علم مجازات العرب للأعلم الشنتمرى: تحقيق زهير سلطان، الرسالة، الثانية، سنة ١٩٩٤.
- ٥٣- التحفة العنبرية لعمود رفاعة الطهطاوى: الجهاز المركزى للكتب الجامعية، ١٩٨٠.
- ٥٤- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك: تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربى، د.م، الأولى سنة ١٩٦٧.
- ٥٥- تصحيح الفصيح وشرحه لابن درستويه، تحقيق محمد بدوى المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الأولى، ١٩٩٨.

- ٥٦- التصريح على شرح التوضيح لخالد الأزهرى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الأولى /
سنة ١٣٢٠هـ.
- ٥٧- التعريفات للشريف الجرجاني: طبع عيسى البابى الحلبي، الأولى ١٣٥٧هـ.
- ٥٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
- ٥٩- التفسير الكبير لابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى /
سنة ١٩٨٨.
- ٦٠- التفسير الوسيط محمد سيد طنطاوى: دار المعارف، القاهرة، الأولى ١٩٨٩.
- ٦١- التفسير والمفسرون ل محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الرابعة، ١٩٨٩.
- ٦٢- التمهيد فى أصول الدين للنسفى أبو المعين ٥٠٨هـ، تحقيق عبد الحى قابيل - دار الثقافة /
القاهرة، ١٩٨٧.
- ٦٣- التوابع بين القاعدة والحكمة لمحمود عبد السلام شرف الدين، دار الثقافة العربية، الثالثة /
سنة ١٩٨٩.
- ٦٤- توضيح المقاصد والمسالك للمرادى: تحقيق عبد الرحمن سليمان، الكليات الأزهرية /
الأولى، سنة ١٩٧٨.
- ٦٥- تهذيب إصلاح المنطق للتبريزى: تحقيق فوزى مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب /
القاهرة الأولى، ١٩٨٦.
- ٦٦- تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن أبى الدبيع الشيبانى، دار
التراث، القاهرة، د.ت.
- ٦٧- التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى: عناية أوتويرتزل - استامبول، الأولى ١٩٣٠.
- ٦٨- جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى، دارالريان للتراث، الأولى ١٩٨٧.
- ٦٩- الجامع الصحيح للترمذى: تحقيق أحمد شاكرو آخر دار الحديث ، القاهرة، الأولى ١٩٣٨.
- ٧٠- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى، تحقيق الأحمدي أبو النور، دار التراث /
الأولى ١٩٨٩.

- ٧١- الجمل في النحو للخليل بن أحمد تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، الثانية، سنة ١٩٨٧.
- ٧٢- الجمل في النحو للزجاجي - تحقيق على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، الثالثة ١٩٨٦.
- ٧٣- الجملة النحوية: فتحى الدجنى، مكتبة الفلاح، الكويت، الثالثة ١٩٨٧.
- ٧٤- الجملة النحوية: محمد زين العابدين، بحث منشور بمجلة الأزهر، العدد ١١٣، السنة ٥١ ديسمبر سنة ١٩٨٣.
- ٧٥- الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى: تحقيق فخر الدين قباوة وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٩٩٢.
- ٧٦- جمهرة اللغة لابن دريد تحقيق منير بعلبكي - إحياء العلم للملايين، بيروت الثانية ١٩٩٣.
- ٧٧- الجواهر المضيفة فى طبقات الحنفية لابن وفاء القرشى: تحقيق عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة، الأولى ١٩٩٣.
- ٧٨- حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل/ تصحيح يوسف البقاعى، دار الفكر العربى القاهرة، الأولى ١٩٩٥.
- ٧٩- حاشية الصبان على شرح الأشموني: دار إحياء الكتب العربية، الأولى، ١٩٥٥.
- ٨٠- الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه: تحقيق عبد العال سالم، مؤسسة الرسالة، الخامسة، سنة ١٩٩٠.
- ٨١- الحجة فى القراءات السبع وعللها لأبى على الفارسي/ تحقيق على النجدى وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الأولى سنة ١٩٨٣.
- ٨٢- حجة القراءات لأبى زرعة بن زنجلة: تحقيق سعيد الأفغانى، مؤسسة الرسالة، الخامسة، سنة ١٩٩٧.
- ٨٣- الحيوان للجاحظ: تحقيق عبد السلام هارون: عيسى البابى الحلبي، القاهرة، د.ت.
- ٨٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى: تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي

بالقاهرة، الثالثة، سنة ١٩٨٩.

٨٥- الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الثالثة، سنة ١٩٨٦.

٨٦- دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عزيمة، دار الحديث بالقاهرة، الأولى، سنة ١٩٧٢.

٨٧- دراسات في فقه العربية: صبحى الصالح: دار العلم للملايين، بيروت، الثالثة عشر ١٩٩٧.

٨٨- دراسة تطبيقية في تصريف الأفعال: عبد الرحمن شاهين، مكتبة الشباب، الأولى ١٩٨٣.

٨٩- دراسة تطبيقية في تصريف الأفعال: محمد بدوى المختون، مكتبة الشباب بالقاهرة، الأولى، سنة ١٩٧٧.

٩٠- الدرر اللوامع على جمع الهوامع شرح جمع الجوامع للشنيطي: تحقيق عبد العال سالم / مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٩٨٥.

٩١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند سنة ١٣٤٩هـ.

٩٢- الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ٤٦٣هـ: تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، الثانية ١٩٩١.

٩٣- دروس في المذاهب النحوية: عبد هـ الراجحي - دار المعرفة الجامعية الاسكندرية / الأولى ١٩٩٢.

٩٤- درة الغواص في أوامير الخواص للحريري: تحقيق محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، القاهرة، الثالثة ١٩٩٧.

٨٧- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني: تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الثانية ١٩٩٢.

٩٥- ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، الخامسة سنة ١٩٩٠.

٩٦- ديوان جرير: تحقيق نعمان طه، دار المعارف، القاهرة، الثالثة ١٩٨٦.

- ٩٧- ديوان النابغة الذبياني: تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، الثانية ١٩٨٦.
- ٩٨- الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي: تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الثانية / سنة ١٩٨٨.
- ٩٩- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي: تحقيق أحمد الخراط، مجمع اللغة العربية بدمشق، الأولى ١٩٩٤.
- ١٠٠- روح المعاني للألوسي: دار إحياء الكتب، بيروت، الرابعة ١٩٨٥.
- ١٠١- الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الإنباري محمد بن القاسم: تحقيق حاتم الضامن / مؤسسة الرسالة، الأولى ١٩٩٢.
- ١٠٢- السبعة في القراءات لابن مجاهد: تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، الثانية ١٩٨٠.
- ١٠٣- سنن ابن ماجه: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الأولى ١٩٩٤.
- ١٠٤- سنن النسائي: المجتبى - للنسائي - دار الريان للتراث، الأولى ١٩٨٧.
- ١٠٥- سنن أبي داود: تحقيق محمد محيي الدين - دار الفكر العربي القاهرة، د.ت.
- ١٠٦- السيرة النبوية لابن هشام بن عبد الملك: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث القاهرة، الأولى، د.ت.
- ١٠٧- شذا العرف في فن الصرف لأحمد الحملاوي: تحقيق حسنى عبد الجليل، دار التراث بالقاهرة، الأولى ١٩٩٢.
- ١٠٨- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة / الثانية ١٩٨٨.
- ١٠٩- شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد على صبيح، القاهرة، العشرون، ١٩٧٦.
- ١١٠- شرح ابن الناظم بدر الدين بن جمال الدين محمد بن مالك: تحقيق عبد الحميد السيد / دار الجليل، بيروت، الأولى ١٩٩٨.
- ١١١- شرح الجمل لابن عصفور: تحقيق حاتم الضامن، دار الرشيد، بغداد، الأولى، ١٩٧٢.
- ١١٢- شرح شذور الذهب في كلام العرب لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين

- عبد الحميد، مطبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الأولى سنة ١٩٥٩.
- ١١٣- شرح الشاطبية لعلی محمد الضباع: مكتبة محمد علی صبیح بالقاهرة، الأولى، د.ت.
- ١١٤- شرح الشافية للرضی: تحقیق محمد نور الحسن وآخرین، دار الكتب العلمية، بیروت/ الثانية، سنة ١٩٨٢.
- ١١٥- شرح الكافية للرضی: تحقیق یوسف عمر، بنغازی، الأولى سنة ١٩٧٣.
- ١١٦- شرح الكافية الشافية لابن مالك: تحقیق عبد المنعم هریدی - دار المأمون، دمشق/ الأولى، د.ت.
- ١١٧- شرح القصائد السبع الجاهلیات لابن الإنباری محمد بن القاسم، تحقیق عبد السلام هارون، دار المعارف، الخامسة، سنة ١٩٩٣.
- ١١٨- شرح عدة الحفاظ وعمدة الالاف لابن مالك، تحقیق عدنان الدوری، وزارة الأوقاف العراقية، الأول، سنة ١٩٩٧.
- ١١٩- شرح المفصل لابن یعیش: مكتبة المتنبی، القاهرة، د.ت.
- ١٢٠- شعراء النصرانية فی الجاهلیة، لويس شیخو، مكتبة الآداب بالقاهرة، الأولى ١٩٥٢.
- ١٢١- شواهد الوضیح والتصحیح علی مشكلات الجامع الصحیح لابن مالك: تحقیق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بیروت، د.ت.
- ١٢٢- الصحابی فی فقه العربیة لابن فارس: تحقیق السید أحمد صقر، مكتبة الحلبي، الأولى سنة ١٩٧٧.
- ١٢٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربیة للجوهري: تحقیق أحمد عبد الغفار عطا، دار إحياء العلم للملايين، بیروت، الرابعة ١٩٩٠.
- ١٢٤- صحیح البخاری: تحقیق لجنة كبار العلماء، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة/ الثانية ١٤٠٦ هـ.
- ١٢٥- صحیح مسلم بشرح النووي: تحقیق عبد المعطی قلعجي - دار الغد العربی، القاهرة/ الأولى سنة ١٩٨٧.

- ١٢٦- الضرائر لابن عصفور: تحقيق السيد إبراهيم محمد - دار الأندلس - الثانية ١٩٨٢.
- ١٢٧- طبقات الفقهاء لطاش كبرى زادة: تحقيق أحمد محلية، الزهراء الحديثة، الموصل، الأولى / سنة ١٩٦٠.
- ١٢٨- الطبقات الكبرى لابن سعد: دار الغد العربي القاهرة، الأولى ١٩٨٥.
- ١٢٩- العربية لغة العلوم والتقنية: عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، الثالثة ١٩٨٩.
- ١٣٠- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: محمد حماسة عبد اللطيف، دار الفكر العربي القاهرة، الأولى ١٩٨٣.
- ١٣١- علم الصرف: دراسة وصفية محمد أبو الفتوح شريف، دار المعارف، القاهرة، الأولى، سنة ١٩٨٦.
- ١٣٢- العوامل المائة النحوية / لعبد القاهر بشرح خالد الأزهرى: تحقيق البدرأوى زهران، دار المعارف بالقاهرة، الثانية ١٩٨٨.
- ١٣٣- علم اللغة العام : محمد توفيق شاهين، مكتبة وهبة بالقاهرة، الأولى، سنة ١٩٩٣.
- ١٣٤- العين للخليل بن أحمد: تحقيق مهدى الخزومي، وإبراهيم السامرائي، وزارة الأوقاف والإرشاد العراقية، بغداد الأولى سنة ١٩٨٢.
- ١٣٥- غرائب الفرقان ورغائب الفرقان للنيسابوري بهامش تفسير الطبري، دار الريان، الأولى سنة ١٩٨٧.
- ١٣٦- غريب الحديث لأبي عبيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٩٨٦.
- ١٣٧- غريب الحديث لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ١٣٨- غريب القرآن لابن قتيبة: تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٩٨٠.
- ١٣٩- غيث الفتح في القراءات السبع للصفاقسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٩٩٩.
- ١٤٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الغد العربي، الأولى ١٩٩٢.
- ١٤١- الفرق بين الفرق للأسفراييني، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، الأولى سنة ١٩٩٠.

- ١٤٢- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: حسام المقدسى، المصرية، بيروت، د.ت.
- ١٤٣- فصول فى فقه العربية: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الثالثة سنة ١٩٨٧.
- ١٤٤- فقه العربية فى الكتب العربية: عبده الراجحي، النهضة العربية، بيروت، الأولى ١٩٧٢.
- ١٤٥- الفقه بين المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري، دار الإرشاد للطباعة، د.ت.
- ١٤٦- فقه اللغة: على عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، الرابعة ١٩٨٨.
- ١٤٧- فقه اللغة وعلم العربية: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الأولى ١٩٩٣.
- ١٤٨- فى اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، الأنجلو المصرية، الرابعة ١٩٦٥.
- ١٤٩- الفوائد البهية فى تراجم الحنفية، محمد بن عبد الحى اللكنوى، عناية محمد بدر النعساني، مطبعة السعادة، د.ت.
- ١٥٠- القراءات وأثرها فى علوم العربية: محمد سالم محيسن، الكليات الأزهرية، الأولى ١٩٨٤.
- ١٥١- القرآن وأثره فى الدراسات النحوية: عبد العال سالم، المكتبة الأزهرية، التراث، الأولى ١٩٨٥.
- ١٥٢- قضايا قرآنية فى ضوء الدراسات اللغوية، عبد العال سالم، مؤسسة الرسالة، الأولى سنة ١٩٨٨.
- ١٥٣- قطر الندى وبل الصدى: لابن هشام الأنصارى، محمد محى الدين عبد الحميد، التراث، الأولى، د.ت.
- ١٥٤- القاموس المحيط للفيروزباده: دار الجيل، بيروت، د.ت.
- ١٥٥- الكتاب لسيبويه: تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الثالثة، ١٩٨٢.
- ١٥٦- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من أحاديث على ألسنة الناس للعجلونى، دار التراث القاهرة، الأولى، د.ت.
- ١٥٧- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون: حاجى خليفة، دار الفكر العربى، الأولى سنة ١٩٨٢.

- ١٥٨- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: لمكى القيسى، تحقيق محيى الدين رمضان / مؤسسة الرسالة، الرابعة سنة ١٩٨٧.
- ١٥٩- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشري، تحقيق عادل عبد الموجود وآخر، العبيكان، الرياض، الأولى سنة ١٩٩٨.
- ١٦٠- كنز الحقائق للنسفى: عيسى البابى الحلبي بالقاهرة، د.ت.
- ١٦١- الباب فى علل البناء والإعراب للعكبرى: تحقيق غازى مختار وآخر، دار الفكر، سوريا / الأولى، سنة ١٩٨٥.
- ١٦٢- لسان العرب لابن منظور: تحقيق عبد الله الكبير وآخرين دار المعارف، القاهرة، الأولى / سنة ١٩٨٤.
- ١٦٣- لطائف الإشارات فى فنون القراءات للقسطلانى، تحقيق عثمان عامر وآخر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الأولى ١٩٧٢.
- ١٦٤- اللغة فنندريس: ترجمة عبد الحميد الدواخلى وآخر، مكتبة الأنجلو المصرية، الأولى / سنة ١٩٥٠.
- ١٦٥- اللغة بين القومية والعالمية: إبراهيم أنيس، دار المعارف، القاهرة، الأولى ١٩٧٠.
- ١٦٦- اللغة والفكر: مصطفى مندور، الشباب الأولى ١٩٩١.
- ١٦٧- اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، دار الثقافة بالمغرب، الأولى ١٩٨٧.
- ١٦٨- اللمع فى علم العربية لابن جنى: تحقيق حسين شرف، عالم الكتب، الأولى ١٩٧٩.
- ١٦٩- ما يحتمل الشعر من الضرورة للسيرافى: تحقيق عوض القوزى، دار المعارف، القاهرة / الثانية، سنة ١٩٩١.
- ١٧٠- المتبدأ والخبر فى القرآن الكريم: عبد الفتاح الحموز، دار عمان، الأردن، الأولى ١٩٨٨.
- ١٧١- متن الألفية لابن مالك: مكتبة السنة، القاهرة، الأولى ١٩٩٨.
- ١٧٢- مجالس ثعلب: تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف القاهرة مكتبة ، الرابعة ١٩٨٠.
- ١٧٣- مجالس العلماء للزجاجى: تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الثانية، ١٩٨٣.

- ١٧٤ - مجاز القرآن لأبى عبيدة: تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، الثانية ١٩٥٤.
- ١٧٥ - انجاز فى القرآن الكريم والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعى، دار الفكر العربى / القاهرة، الأولى ١٩٥٥.
- ١٧٦ - مجمل اللغة لابن فارس: تحقيق زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، الأولى، سنة ١٩٨٤.
- ١٧٧ - المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها، لابن جنى، تحقيق على النجدى وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٦هـ.
- ١٧٨ - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافى / دار الكتب العلمية، الأولى ١٩٩٣.
- ١٧٩ - مختصر شواذ القرآن الكريم لابن خالويه، مكتبة المتنبى، القاهرة، سنة ١٩٣٤.
- ١٨٠ - المختصر فى تاريخ البشر لأبى الفداء: تحقيق محمد زينهم وآخرين، دار المعارف / الأولى ١٩٩٩.
- ١٨١ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل: تفسير النسفى للنسفى، تحقيق مروان الشعار، دار النفائس / الأولى، سنة ١٩٩٤.
- ١٨٢ - مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي / الثانية، سنة ١٩٨٥.
- ١٨٣ - مدخل إلى علم اللغة: محمد حسن عبد العزيز، دار الشباب القاهرة، الأولى ١٩٩٠.
- ١٨٤ - المذكر والمؤنث لابن سهل التستري: تحقيق أحمد هريدى، الخانجي بالقاهرة، الأولى / سنة ١٩٨٣.
- ١٨٥ - المذكر والمؤنث للفراء: تحقيق رمضان عبد التواب، دار التراث، القاهرة، الثانية ١٩٨٩.
- ١٨٦ - المذكر والمؤنث للمبرد: تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الثانية / سنة ١٩٨٩.
- ١٨٧ - المذكر والمؤنث لابن الأنبارى كمال الدين: تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٨١.

- ١٨٨- المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي: محمد أبو الفضل، دار التراث، الثانية، د.ت.
- ١٨٩- مسائل نحوية، على أبو المكارم: دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت.
- ١٩٠- المسائل العضديات لأبي علي الفارسي: تحقيق على جابر، عالم الكتب، بيروت/الأولى ١٩٨٦.
- ١٩١- مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي: تحقيق يس السواس دار المأمون، دمشق، الثانية د.ت.
- ١٩٢- المصطلح النحوي: أحمد عبد العظيم، دار الثقافة، الأولى ١٩٩٠.
- ١٩٣- معالم التنزيل للبغوي الفراء: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٩٩٣.
- ١٩٤- معاني القراءات للأزهري، تحقيق عيد درويش وآخر، دار المعارف، الأولى ١٩٩٣.
- ١٩٥- معاني القرآن للكسائي: جمعه عيسى شحاتة، دار قباء القاهرة، الأولى، ١٩٨٥.
- ١٩٦- معاني القرآن للأخفش: تحقيق عبد الأمير الود، عالم الكتب، الأولى ١٩٨٥.
- ١٩٧- معاني القرآن للفراء: تحقيق على النجدي وآخرين، دار الكتب المصرية، الأولى ١٩٥٥.
- ١٩٨- معاني القرآن وإعراجه للزجاج: تحقيق عبد الفتاح شلبي، عالم الكتب، الأولى ١٩٨٨.
- ١٩٩- المعاني الكبير لابن قتيبة: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الهند، الأولى ١٣٤٩هـ.
- ٢٠٠- المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع محمد عيسى صالحية، معهد المخطوطات العربية/القاهرة، الأولى ١٩٩٠.
- ٢٠١- معجم البلدان لياقوت الحموي: دار إحياء التراث، الأولى، د.ت.
- ٢٠٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر العربي، د.ت.
- ٢٠٣- معجم شواهد العربية: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الأولى ١٩٧٢.
- ٢٠٤- المعجم الكبير للطبراني: تحقيق حمدي السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، الثانية ١٩٨٥.
- ٢٠٥- معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة بيروت، الثالثة ١٩٩٣.
- ٢٠٦- المعرب للجواليقي: أحمد شاکر، دار الكتب المصرية، الأولى ١٣٦١هـ.
- ٢٠٧- المغنى في توجيه القراءات العشر: محمد سالم محيسن، الكليات الأزهرية، الثانية ١٩٨٧.

- ٢٠٨- مغنى اللبيب عن كلام الأعراب لابن هشام الأنصارى: تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة محمد على صبيح، الأولى ١٩٥٩.
- ٢٠٩- مفاتيح الغيب للرازى: دار الغد العربى، القاهرة، الأولى، ١٩٨٧.
- ٢١٠- المفردات فى غريب القرآن للأصفهاني: دار التحرير للطباعة، الأولى سنة ١٩٩١.
- ٢١١- المفصل فى علم العربية للزمخشري: تحقيق محمد السعيدى، دار إحياء العلوم، بيروت، الأولى ١٩٩٠.
- ٢١٢- مقاييس اللغة لابن فارس: تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل بيروت، الأولى ١٩٩٢.
- ٢١٣- المقتضب للمبرد: تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الأولى ١٩٧٢.
- ٢١٤- مقدمة فى علوم اللغة: البدر اوى زهران، دار المعارف، الأولى ١٩٨٦.
- ١٩٩- مقدمتان فى علوم القرآن: أرثر الجفرى، الخانجي، الثانية، ١٩٧٢.
- ٢١٥- المقرب لابن عصفور: تحقيق عادل عبد الموجود وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- ٢١٦- المقصور والمدود لأبى على القالى: تحقيق عبد المنعم هريدى - الخانجي - الأولى سنة ١٩٩٩.
- ٢١٧- المكتفى فى الوقف والابتداء لأبى عمرو الدانى، تحقيق يوسف المرعشلى، مؤسسة الرسالة، الثانية سنة ١٩٨٧.
- ٢١٨- الملل والنحل للشهرستاني: تحقيق عبد اللطيف محمد العبد، الأنجلو المصرية، الأولى ١٩٧٧.
- ٢١٩- المتع فى التصريف لابن عصفور، ت فخر الدين قباوة - دار الآفاق، بيروت، ١٩٩٥.
- ٢٢٠- مناهج المفسرين: منيع عبد الحليم، دار الكتاب المصرى اللبنانى، الأولى ١٩٧٨.
- ٢٢١- مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى، دار إحياء الكتب العربية، الثالثة، د.ت.
- ٢٢٢- المنصف فى شرح تصريف المازنى لابن جنى: تحقيق إبراهيم مصطفى وآخرين، وزارة المعارف العمومية، مصر سنة ١٩٥٤.

- ٢٢٣- من كتاب الكفاية فى النحو عبد الرحمن السيد، دار الثقافة، الثانية ١٩٨٩.
- ٢٢٤- الموسوعة الذهبية فى العلوم الإسلامية: فاطمة محجوب، دار الغد العربى، القاهرة، الأولى ١٩٩٢ - ١٩٩٩.
- ٢٢٥- الموضح فى القراءات للشيرازى ابن أبى مريم، تحقيق عمر الكيسى، جامعة محمد بن مسعود، مكة، الأولى سنة ١٩٩٣.
- ٢٢٦- الموطأ للإمام مالك: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشعب، الأولى ١٩٧٠.
- ٢٢٧- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى: محمد أبو الفضل، النهضة المصرية، الأولى، ١٩٩٧.
- ٢٢٨- النوادر فى اللغة: لأبى زيد الأنصارى، تحقيق محمد عبد القادر، الشروق، الأولى ١٩٨١.
- ٢٢٩- الناسخ والمنسوخ من أبى النصر - مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- ٢٣٠- النحو وكتب التفسير: إبراهيم رفيدة، دار الجماهيرية للنشر، مصراتة، ليبيا، الثالثة، ١٩٩٠.
- ٢٣١- النحو التعليمى: محمد عبادة، منشأة المعارف، الاسكندرية، الأولى ١٩٨٦.
- ٢٣٢- نظرية الاكتمال اللغوى: أحمد طاهر حسنين، الأولى ١٩٨٧.
- ٢٣٣- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، د.ت.
- ٢٣٤- نهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشمونى: دار إحياء الكتب العربية، الأولى سنة ١٩٥٥.
- ٢٣٥- نظرية النحو القرآنى: أحمد مكى الأنصارى، دار القبلة، مكة، الأولى ١٩٨٦.
- ٢٣٦- همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى: عناية محمد بدر النعسانى، الأولى ١٣٢٧هـ.

والله ولي التوفيق...

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٢	مقدمة
٦	مدخل إلى الرسالة
١٠	اللغة والقرآن
١٨	الفصل الأول : أدوات المفسر
١٩	التفسير والتأويل
٢٤	العلوم التي يحتاج إليها المفسر
٤٠	النموذج الأول
٤٤	النموذج الثاني
٤٦	النموذج الثالث
٥٤	النموذج الرابع
٦٣	الفصل الثاني : النسخ النحوى
٦٧	الجملة الاسمية
٧٥	الابتداء بالكرة
٨٣	الترتيب
٨٩	المطابقة فى الجملة الاسمية
٩٢	المطابقة فى الجملة الفعلية
٩٥	المطابقة فى التوابع
٩٩	دخول الفاء فى الخبر
١٠٠	الجر على الجوار
١٠١	عطف الظاهر على المضمرة
١٠٣	إعمال اسم الفاعل
١٠٧	الفصل
١٠٨	حروف الصلة

رقم الصفحة	الموضوع
١١٣	الفصل الثالث : النسخى الصرفى
١١٦	الاشتقاق
١٢١	اسم الفاعل وصيغ المبالغة
١٢٣	اسما المرة والهيئة
١٢٥	اسما المكان والزمان
١٢٩	التأنيث
١٣٧	بعض جموع التكسير
١٤٠	الإعلال
١٤٩	الإبدال
١٦٠	الفصل الرابع : النسخى عالم القراءات
١٦٣	الاحتجاج بالقراءات
١٦٨	التمكن من الرواية
١٧٤	القراءات الشاذة
١٧٧	القراءات التى تنازعها النحاة
١٨٢	القراءات المتواترة
١٨٢	موافقة خاتمة للمفكرين
١٨٧	النقد اللاذع
١٩١	انتصار للقراءات السبعة.
٢٠٩	الفصل الخامس : النسخى بين سابقه ولاحقه
٢١٢	النموذج الأول : من سورة الانعام
٢٢١	النموذج الثانى : من سورة التوبة
٢٢٤	النموذج الثالث : من سورة هود
٢٣٩	النموذج الرابع : من سورة يوسف.

رقم الصفحة	الموضوع
٢٤٤	إن المنخفة
٢٤٦	النادى المضاف إلى ياء المتكلم
٢٤٨	واو الحال
٢٥٠	عطف الفعل
٢٥٢	الختامة
٢٥٥	قائمة المصادر
٢٧١	فهرس الموضوعات